

فَقَاءَةُ رَعْلَمُ وَأَسَانِيَةُ لَعْلُ لَعْلُ

المجلس
العلمي

تم احداث
المشروع
في
شهر
مايو
سنة
١٩٨٠
م

1. The first part of the paper is devoted to a review of the literature on the topic. It starts with a general overview of the field, followed by a more detailed discussion of the specific issues at hand. The author then presents his own findings, which are based on a series of experiments. Finally, he concludes with some thoughts on the implications of his work.

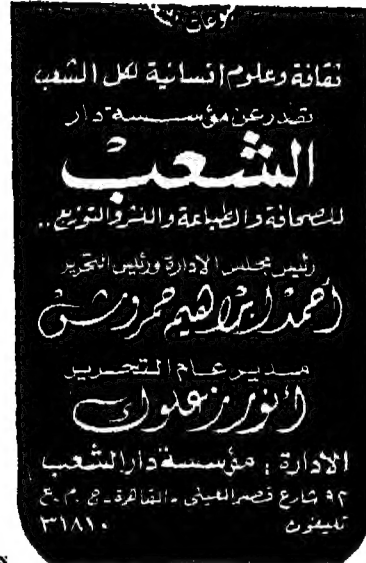
1997

الحرية

مفتی محمد شفیع

118 119 120

[illegible]



مستقل القاهرة دائما قلب العروبة والاسلام النابض
تتبولمكاتها التاريخية والحضارية
في عالم... الفكر.. والثقافة... والنشر.....

■ الطبعة الاولى ■ سبتمبر ١٩٧٥ ■

■ الغلاف والرسوم الداخلية ■

بريشة :

محمد حاكم

الاعداد الفنى :

ثروت الشعراوى

■ الناشر ■

مؤسسة دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني

القاهرة تليفون ٣١٨١٠



الأسبلة صحفية

حافظ محمود

القاهرة

مؤسسة دار الشعب

فرع القاهرة

(١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ)

مقدمة

ربما كان من عظمة الصحافة أن عتاة الذين حكموا العالم كانوا يحاولون أن يضعوها في قفص الاتهام ، فإذا بهذا القفص يتحرك بقوة الدفع الصحفي حتى يأخذ مكانه فوق منصة القضاء . . . فالصحفيون الذين كانوا متهمين من جانب الطغاة العتاة ، يتحولون بقوة الدفع الصحفي إلى القضاة ، وهم القضاة الذين يأخذ التاريخ بالكثير من أحكامهم على أولئك الطغاة .

من واقع هذه الحقيقة كنت أدافع دائماً عن النظرية الصحفية القائلة بأن الصحفيين هم « المخرجون » على مسرح السياسة ومسرح التاريخ ، لأن هناك صلة عضوية لا تنقطع بين تاريخ أمة وبين تاريخ صحافتها .

كنت أعرض هذه النظرية على طلبة الصحافة الذين أسميتهم « زملاء المستقبل » فإذا بعضهم يلبس ثوب الادعاء ليتهم جبلي في الصحافة بالتقصير عن تقديم المادة الكافية التي تؤكد النظرية . . . وأحسست أنه على حق ، فنحن حتى الآن لا نجد من المراجع الصحفية المصرية أو العربية التي كتبها صحفيون ممارسون إلا الشيء القليل وتحت تأثير هذا الإحساس بدأت أكتب أشياء عن الصحافة

— ٤ —

والصحفيين في بلادنا على مر الأجيال السابقة التي عاصرت بعضها بشخصي وعاصرت البعض الآخر بفكري .

* * *

كنت متأثراً فيما كتبت بفكرة « الأرشيف » والأرشيف جهاز من أحدث الأجهزة التي يشكل بها الفن الصحفي . . . وكنت متأثراً بأن تاريخ الصحافة في بلادنا هو صورة طبق الأصل من تاريخ نضالها . . . ثم كنت متأثراً بأن مهنة الصحافة التي أنصت الناس ، كل الناس ، كثيراً ما ظلمت نفسها ، لأنها لم تبذل من الجهد الفني ما يكفي لأن تقدم نفسها للناس كجهاز من أجهزة الجهاد التاريخي .

إنني أحاول هذا التقديم في هذا الكتاب . . . أحاول أن أقدم للقارئ ، بصفة عامة ، وللصحفيين الدارسين الجدد ، بصفة خاصة ، بعض تجارب الصحافة في بلادنا . . . أقول « بعض » لأن استكمال هذا « الأرشيف » يحتاج إلى جهود لا يقدر عليها فرد ولا أحاد الأفراد ، بل يحتاج إلى مؤسسة متخصصة . . .

ودع أنني أشعر بصغر حجم الجهد الذي أقدمه في هذا الكتاب وما قد يتعرض له من نقد ذاتي أو موضوعي أعترف ، مقدماً . أنه يستحقه — إلا أنني في نفس الوقت أحسب أن هذا الكتاب يمكن أن يكون مفتاحاً لأبواب كثيرة فسيحة في تاريخ الصحافة .

* * *

لقد فتحت ، بمحاواتي المتواضعة في هذا الكتاب ثلاثة أبواب :

— ٥ —

الباب الأول : « أسرار صحفية » : وفي هذا الباب بعض صور
الاتحام بين الصحافة والناس وما فيها من أسرار بعض الشخصيات التي
تمثل المجتمع الماضي لكيلا ننسى .

الباب الثاني « ألف باء الصحافة » : وفي هذا الباب موجز مبسط
لما يدور في دور الصحف من التواحي الفنية التي يحسن الوقوف عليها
من جانب قراء الصحف والصحفيين الجدد .

الباب الثالث « المذاهب الصحفية في مصر » : في هذا الباب محاولة
لدراسة تاريخ الصحافة على أسس فنية جديدة ، وإن كانت هذه الدراسة
الشديدة الاختصار تعنى ، في الدرجة الأولى ، دارسى الصحافة . إلا أنها
في نفس الوقت تعطى لسكل قارئ شيئاً من الضوء الذي يريح النظر
عند إلقاء النظرة على تاريخ الصحافة في بلادنا ، وتقدم له أسماء يدعو
الوفاء إلى إزاحة ستار النسيان عن أصحابها .

* * *

إننى أقدم هذا الكتاب على استحياء بصغر هذه الأبواب وقلتها .
ولتأثيرى فيها بأسلوبى الصحفى فقط .

لسكنى أرجو أن يكون هذا الأسلوب من أساليب ما بعد ٦ أكتوبر
« أساليب درء الاتهام الكاذب عن الماضى ونحن على الطريق إلى
مستقبل أفضل فى كل شيء بإذن الله » .

حافظ محمود

يناير ١٩٧٥



بعض أسرار الصحافة

« الغرفة السحرية في كل دار صحفية - انى يتمنى كل قارئ أن يدخلها دون أن تتحقق له هذه الأمنية - هي غرفة الأرشيف
ففي هذه الغرفة تجتمع كل جيلات العالم وكل قاداته وكل شواذ الناس وعباقرتهم ومشاهيرهم في الخير ، والنشر على هيئة صور وقصاصات أوراق و « أفيشات » تحمل الكثير من تاريخ حياة أولئك الناس .

« إن أية غرفة أرشيف في أية دار صحفية هي مجموعة نادرة من المعارض التي تسكن في أدراج منسقة منممة بأرقام خاضعة لترتيب الحروف الأبجدية حتى يسهل على أمين هذه الغرفة تلبية طلبات المحررين . وبعض المحررين الكبار يحتفظون في يوتهم بأرشيف خاص لكل منهم . . . مثل الأسناد التابعى . وبعضهم - مثل شخصيا - لا يعنون بشيء من هذا إننى لا أحتفظ فى بيتى بقصاصة واحدة مع الأسف ؛ لأننى تعودت منذ نشأت أن أترك أية صحيفة أقرأها لغيرى أما الأرشيف الذى استعنت به فى كتابة مائة فصل من ذكرياتى التى نشرتها ، فهو أرشيف بشرى وضعه الله فى رأسى دون ان يكون لى أى فضل فى وجوده أو تنظيمه .

« وعلى كثرة ما كتبت فإن الأرشيف البشرى الذى لا فضل لى فيه لا يزال حاشدا بالكثير من الذكريات التى أحاول نشر بعضها فى

هذه الفصول وسأرتب هذه المحاولة بترتيب الحروف الأبجدية .
تماما كما يعمل أمناء جميع الأرشفات مع ملاحظة مبدئية لابد منها هي
أننى أحصر محاولتى فى هذا الأرشف فىمن وفيما عرفت عن قرب
من الناس ، أو من الأحداث التى لم أتناولها من قبل . أى أن هذا
الأرشف لن يكون أكثر من نموذج أرشفي صير جدا من آلاف
النماذج التى تناولتها الأرشفات الصحفية . . .

* * *

أرشف :

* ليس شك أن أنسب بداية لحرف الألف هي البداية بكلمة
— أرشف — ذاتها أن الأرشف فى الصحافة العربية بمعناه الحديث
شئ حديث أيضا .. أن عمره لا يتجاوز الثلاثين عاما أو تزيد قليلا ..
فقبل قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٦ ظهرت فكرة الأرشف
الصحفى الحديث فى دوائر جريدة الأهرام . الطريف أن هذه الفكرة
لم تظهر ، من الناحية العلمية ، فى أذهان الصحفيين . . . إنما كان
صاحب الفكرة رجلا يشغل بالتنظيم السكتى فى دار الكتب . . .
هذا الرجل هو أحمد لطفى السيد ، وهو شخص آخر غير أستاذ الجيل
لطفى السيد .

* عرفت أحمد لطفى السيد — الصغير — فى الثلاثينيات شابا له
هواية من نوع جديد هذه الهواية هي — أرشفة — جريدة الأهرام
لحسابه الخاص . ولقد ظل هذا الشاب يتابع هذه الهواية فى بيته

سنين . إلى أن اكتشف يوماً أن مسكنه الصغير قد أخذ يضيق بالعدد الضخم جداً من — الكروت — التي أرشف فيها جريدة الأهرام عدداً من السنين . ونجأة طرأت يبال هذا الشاب فكرة مستوحاة من تلال الصناديق التي اجتمعت فيها آلاف الكروت . هذه الفكرة هي أن يتحول بهذه الهواية إلى عمل .

• ذهب الشاب إلى المسؤولين في جريدة الأهرام ليعرض عليهم شراء هذا المجهود الضخم من جهة ، ومواصلة أرشفة الأهرام لحساب الجريدة من جهة أخرى . وكان تقلاً — باشا — صاحب الأهرام رجل أعمال قبل أن يكون صحفياً . وخشى إذاً هو قبل هذا العرض من الشاب أحمد لطفي السيد أن يظل هذا العمل — الصحفي — مسجلاً باسم صاحبه ، فعرض على الشاب عرضاً آخر هو أن يبدأ من جديد أرشفة — الأهرام — داخل الأهرام ذاتها كأي موظف يعمل نصف الوقت في ساعات فراغه من وظيفته ثم ما لبث بعد قليل أن عرض عليه مهمة أخرى ، هي أن يقوم بتمرير بعض شباب الأهرام على فن الأرشفة . وبعد أن قام لطفي السيد — الصغير — بهذه المهمة لمدة عام استغنت الأهرام عن خدماته . . لقد كان صاحب الأهرام قد تنبه إلى دراسة فن الأرشفة الصحفي بالطرق المستحدثة في الخارج وإلى تمرير بعض شباب الأهرام على هذا الفن بالطرق الحديثة التي ظهرت في الخارج . . وأصبح معروفاً أن جريدة الأهرام هي أول جريدة عربية أضافت إلى المجهود الصحفي فن الأرشفة .

ومع هذا فإن الذى حدث فى الأهرام لم يكن هو كل الحقيقة بالنسبة لتاريخ فن الأرشيف الصحفى لـكن بطريقة بدائية . هو الصحفى الأزهرى الشيخ على يوسف منشئ جريدة المؤيد فى سنة ١٨٨٩ . كان الشيخ على يوسف إذا فرغ من عمله اليومى فى جريدته توفر على جمع قصاصات منها ومن غيرها من الصحف فى اللواضيع المتماثلة ثم ضم كل مجموعة من هذه القصاصات فى ملف ثم وضع هذه الملفات فى درج من أدراج مكتبه . فإن هذا الدرج هو غرفة الأرشيف الأولى فى تاريخ الصحافة العربية .

الأهرام :

وبمناسبة - الأهرام - وسبقها إلى تنظيم الأرشيف الصحفى بالأسلوب الثنى الجديد الذى يختلف طبعاً عن أسلوب الشيخ على يوسف - هناك معلومات قد تكون غائبة حتى عن بعض العاملين فى جريدة الأهرام . . إن الأهرام ستحتفل بعيدها الثوى فى هذه السنة - سنة ١٩٧٥ حيث يكون قد مضى على إنشائها مائة عام وهو حدث ليس له مثيل فى تاريخ الصحافة العربية ، بل إن الصحافة العالمية ذاتها ليس فيها غير عدد قليل جداً من الصحف التى تبلغ هذا العمر . وأظهرها جريدة - التيمس - اللندنية .

لقد أنشئت جريدة الأهرام أسبوعية فى أول الأمر وكان مقرها مدينة الإسكندرية . . ثم انتقلت إلى القاهرة لتصدر فيها يومية . . وكان رئيس تحريرها الأول هو منشئها سليم قلا . ثم أخوه بشارة قلا والذى لا يذكره الكثيرون فى رئاسة التحرير فى جريدة الأهرام قد آلت بعد مؤسسيها إلى الشاعر الكبير خليل مطران .

الأخبار :

إن كل ما هو معروف الآن هو جريدة الأخبار اليومية التي أنشأها مصطفى وعلى أمين في ربيع سنة ١٩٥٢ وصدرت عن دار أخبار اليوم التي ظهرت في نوفمبر سنة ١٩٤٤ . لكن هذا الاسم منقول عن اسم جريدة الأخبار - التي أنشأها أمين الرافعي في سنة ١٩٢٠ . وأمين الرافعي أيضاً قد نقل هذا الاسم عن جريدة الأخبار المصورة التي كانت تظهر وتختفي قبله بحيل .

لقد كان رأس مال - أخبار اليوم - الذي أنشئت به في سنة ١٩٤٤ هو خمسة عشر ألف جنيه . . وكان سبب رواجها الأول يرجع إلى سلسلة مقالات افتتاحية بعنوان - الخلاف بين القصر والوفد - وكانت مادة هذه المقالات تستقي رأساً من أحمد حسنين - باشا - رئيس الديوان الملكي في هذه الأثناء .

وبلا شك أن - أخبار اليوم - كانت أول دار صحفية تبنى لها مبنى من عدة طوابق عالية . إن أول مبنى صحفي كان مبنى جريدة البلاغ لصاحبها عبد القادر حمزة - وهو مبنى من طابقين اثنين . . أما مبنى أخبار اليوم فكان يتألف من أحد عشر طابقاً وقد تكلف هذا المبنى مائة وخمسين ألف جنيه . وهذا للمبلغ الضخم كان مجرد سلفة من بنك مصر لهذه الدار الصحفية .

أنتيجوني :

* وينتقل بك أرشيفي الذهني ، مع حرف الإلف ، من المؤسسات الصحفية إلى بعض الأسماء التي ظهرت ثم اختفت من حياتي . .

إنها أتماء يعرفها الجميع . . لكن القليل منها لا يعرفه أحد كما أعرفه ،
ومن هذا القليل إسم انتيجونى الجميلة .

كان زميلنا الأستاذ على الشيخ مكلفاً من جريدة القاهرة -
في سنة ١٩٥٣ بأن يؤسس مكتب الجريدة في اسكندرية . . وبينما كان
الزميل يقوم بعملية اختيار العاملين في مكتب اسكندرية . . طرقت
بابه فتاة جميلة تتكلم العربية بلغة أجنبية لطيفة . واقترحت عليه أن
تشارك في أعمال المكتب . .

ومع أن الزميل رئيس مكتب اسكندرية قد استشارنى بوصفى
رئيس محرير القاهرة إذ ذاك . . فى كل الذين عينهم فى وظائف
للمكتب إلا أنه لم يستمر أحداً فى تعيين هذه الفتاة . . لقد كانت
حريتها أكبر من أن تحتل المناقشة .

وفى أول زيارة منى المكتب اسكندرية قدم إلى رئيس المكتب
زملاءه فى العمل واحداً واحداً ، وأخيراً قدم إلى انتيجونى وأقول
الحق اننى حسبت الزميل يمزح وهو يقدمها إلى مع العاملين فى المكتب
لقد كانت أجل من أن تحتاج إلى العمل الصغير الذى وكل إليها . .
ثم كانت تتكلم العربية بلهجة أجنبية فهى من اليونانيين الذين سمعتم فى
إثينا يطلقون عليهم إسم - اليونانيين المصريين - .

سألت الزميل : كيف تستطيع هذه الفتاة أن تعمل معنا وهى
قليلة الحصول فى اللغة العربية . فإذا به يجرى معها أمانى امتحاناً فى

معلوماتها المصرية ، فإذا بهذه المعلومات معلوماتٍ عريضة وخاصة
في شئون التكوين .

كانت الظاهرة العجيبة في انتيجوني أنها ذواقة في كل الأطعمة
المصرية ، وخاصة الفلفل . . لكن الظاهرة الأعجب أنها كانت
لا تشعر بجهاها . . كانت تسخر من شكلها وتشكو من أن وزنها ثقيل
مع أنها لم تكن كذلك . . بل لقد كانت انتيجوني تسخر من الجمال
النسوي كله وتعتبر أن به شيئاً كثيراً من التصنع . . وتطبيقاً لهذا الرأي
كانت هذه الفتاة لا تصنع شيئاً . . كانت تتحرك وتعمل وتتكلم
وتأكل على الفطرة وببساطة مذهلة . . وقرأت انتيجوني عن مسابقة
طالبة للجمال فتقدمت إليها . . تقدمت من باب السخرية الحلوة اللاذعة
التي كانت تمتاز بها . . وكانت تضمّر من الاشتراك في هذه المسابقة
شيئاً آخر ، لقد كان كل ما يهمها أن الاشتراك في هذه المسابقة
سيتيح لها الفرصة لرحلة ممتعة في أوروبا على حساب مهرجان الجمال
الدولي .

كانت تقول إنها عند الامتحان سوف تهرب . لسكنها ما كادت
تصل إلى مقر المهرجان حتى وجدت باب الهروب موصداً أمامها
فاستعاضت عن هذا الهرب بمشاكسة أعضاء لجنة التحكيم مشاكسة
أظهرت لهم . . من حيث لا تدري . . كل موصفات الجمال التي لم يجدوا
مثلاً في غيرها من المسابقات . . فأجمعت اللجنة على اختيار انتيجوني
ملكاً جمال العالم لسنة ١٩٥٨ وكانت انتيجوني نفسها أول من أدهشته
هذه النتيجة .

إميل الغورى :

أما الإسم الثانى فإميل الغورى المواطن الفلسطينى الذى درس الحقوق ، وكان من الممكن أن يكون محامياً ناجحاً ، لكن اندماجه فى ثورة شباب فلسطين سنة ١٩٣٦ قد غير مجرى حياته . . فقد كان أحد الذين تفرغوا لأعمال الثورة . وكان أولئك - المتفرغون - أول من جرفهم التيار بعد نكبة قيام إسرائيل على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .

أخذ إميل النورى يطوف بالبلاد العربية مع أهل الرأى من إخواننا الفلسطينيين الذين تلقوا فكرة الدفاع عن الأرض السليمة إلى البلاد الشقيقة ، وقد أختير أكثر من مرة ليمثل إخوانه الفلسطينيين فى حضور اجتماعات الأمم المتحدة بوصفه خبيراً فى قضية فلسطين .

فلما أنشئت جريدة القاهرة بمصر سنة ١٩٥٣ وشعارها الدفاع عن القضايا العربية انضم إلى أسرة تحريرها . . كان عمله الرسمى بها هو رئاسة قسم السياسة الخارجية ، لكنه استطاع بمفرده أن يفتح على صفحات الجريدة أبواباً متخصصة فى قضية فلسطين من بدايتها .

ويوم قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى ربيع سنة ١٩٥٨ قال لى اميل للنورى إن مكانه الطبيعى ينبغى أن يكون فى دمشق وأنشأ اميل بمفرده مكتب جريدة القاهرة فى العاصمة السورية . . وفى دمشق أخذت تناديه الدوائر التى تعرف عنه أكثر مما تعرف ، فبين محاضراً بكلية الحقوق فى جامعة دمشق .

لكن . . لقد كانت فلسطين وقضيتها في دم إميل ، فبارح دمشق إلى عمان ، ومع سكان الضفة الغربية وهم الفلسطينيون أصلاً — قامت الحركة التي دفعت بهد منهم إلى عضوية البرلمان الأردني ، وانتخب إميل الغوري ، بالتزكية نائباً عن أعز دائرة على أرض فلسطين وهي دائرة القدس .

وفي تشكيل الوزارة الأردنية عين إميل الغوري وزيراً للشؤون الاجتماعية . . فكان أول صحفي فلسطيني يتولى منصب الوزارة .



أشهر البغداد

في الجيل الماضي

الأرشييف الذهني أرشييف معقد . . إنه لا يعتمد على مراجع ولا على أوراق أو مذكرات مكتوبة . . يعتمد فقط على الأبراج التي منحها الله تعالى للعقل البشري العجيب . . وقد تكون هذه الأبراج مرتبة ترتيباً طبيعياً ، لكننا نحن الذين نفسد ترتيبها بخواطرنا . . إن خواطري وخواطر الناس جميعاً معرمة بالوثب من هنا إلى هنا ، من غير ترتيب ظاهر ، وربما بترتيب لم ندرك سره حتى الآن . . ونحت تأثير هذا الوثب الذهني قفزت خواطري فجأة من حرف الألف إلى حرف الباء في هذا الأرشييف .

حرف الباء

بدوى :

إن أشهر « بدوى » في ذاكرتي هو اسم المرحوم الشيخ علي بدوى . . إنه الرجل الذي علمني « الخط العربي » في المدرسة الابتدائية ، وهو ليس مبدئياً عن رداءة خطي فقد كان هو من أشهر الخطاطين في العشرينيات وكان في نفس الوقت عالماً أزهرياً . . نه صورة من صور الماضي ، عالم أزهرى وخطاط ومدرس .

ويبدو أن اسم « علي بدوى » يقتن من حيث الاستعداد بمهنة تدريس ، لقد كان في وقت ما ألع أستاذ في كلية الحقوق هو الدكتور

على بدوى الذى تولى عمادة هذه السككية ، مراراً وقد اقترن اسمه بهذا العمادة أكثر من اقترانه بمنصب الوزارة . . على أن أشهر بدوى على المستوى العام فى الجيل الماضى هو للرحوم الدكتور عبد الحميد بدوى « باشا » وقد كان . . عبد الحميد بدوى رجل قانون أيضاً ، لكن من طراز آخر . . كان يتولى منصب رئيس هيئة قضايا الحكومة وكانت هذه الهيئة تقوم — قبل إنشاء مجلس الدولة — بوظيفة الإنابة فى كل التشريعات فما من تشريع صدر فى الجيل الأسبق إلا وكان عليه بصمات عبد الحميد بدوى . . وكان عبد الحميد بدوى أقدر من عرفته مصر فى صياغة مشروعات القوانين . . ولهذا كان الأستاذ التابعى يسميه « مفتى القرية » وينشر صورته السكاريكاتورية فى مجا وفوق رأسه عمامة كبيرة .

ولقد عاصر عبد الحميد بدوى نظاماً من أنظمة الدولة فى مصر يبرز فيه أحد كهبد الحميد بدوى ، فما كان يشكل أى وفد رسمى إلى مصر للمحافل الدولية إلا ويكون عبد الحميد بدوى مستشاراً لهذا الوفد . . ولهذا نستطيع أن نقول أيضاً أن بصمات عبد الحميد بدوى كانت وراء جميع الإتفاقات الدولية التى عقدها مصر فى عصره

ثم عين عبد الحميد بدوى وزيراً للعالية ، وبمقلية رجل القانون الذى يرى فى القانون شيئاً أعلى من السياسة — اصطدم ببعض هؤلاء القصر ، وطالب القصر من رئيس الوزراء الاستغناء عن خدمات عبد الحميد بدوى ، ولما كان هذا مستحيلاً فى نظر رئيس الوزراء فقد دبر القصر لعبد الحميد بدوى شائعة خطيرة لعله على الاستقالة

كان بدوى « باشا » رجلا وسيما ، ومن هنا جاءت الشائعة بأنه وهو وزير ، على علاقة عاطفية بإحدى الحسان . . وطلب إلى بدوى أن يستقيل ، لكنه بعقلية رجل لقانون قد تغلب على هذا « القلب » وقال إن استقالته تؤكد صحة هذه التهمة ، فعلى مروجى هذه الشائعة أن ينفوها إذا أرادوا أن يستقيل . . وكان له ما أراد .

ولقد عوض الله عبد الحميد بدوى خيراً بأن اختارته محكمة العدل الدولية قاضياً من قضاتها عند تشكيلها سنة ١٩٤٥ فكان أول شرفي مجلس على منصة القضاء الدولي . وبلغ من تقدير المحكمة الدولية له أن جددت عضويته فيها أكثر من مرة .

بجمل :

كان اسم بدوى « باشا » يقرن أحيانا بالبخل ، مع أنه من أسرة معروفة بالسخاء ذلك أنه كان يحسب لكل شيء حسابه في زمن كان الناس يفتقون فيه بغير حساب . . أما أشهر البخلاء في عصره فهو للرحوم الدكتور يعقوب صروف أحد مؤسسي مجلة اللقطة وجريدة اللقطة كان صروف في بخله رجلاً ظريفاً ومن ظرفه أنه كان يوصي سائق سيارته حين ينتظره أن يتوارى بها عن أعين حراسة السيارات حتى لا يطالبوه إذا عاد إليها بقرش .

و ذات مرة لمح أحد أولئك الحراس وهو خارج من باب محطة مضر فنادى على سيارته ووقف ينتظر نفحات الباشا الكبير . وجلس صروف يبحث بين طيات جيبه عن قرش من فئة الخمس مليات ، وكلاً أخرج قرشا وجده من فئة العشرة للمليات أعاده إلى طيات جيبه

وهو غضبان أسفا ، ثم استعار من سائقه القرش الصغير ليعطيه للحارس الذى تناوله بدوره تناول الذى نذر نذراً أن يحصل من صروف « باشا » على أى شىء يصنع منه « حجابا » يقيه شر الحاسدين .

لكن هذا البخل اليعقوبى هو الذى مكن صروفاً من ثلاثة ملايين من الجنهيات جمعها فى حياته ، والله وحده يعلم ماذا جرى بهذه الملايين بعد مماته .

وهنا تحلو المقارنة بين بخل صروف صاحب الملايين وسخاء حافظ إبراهيم صاحب المرتب الشهير الذى لم يزد السبعين جنهماً .

كان حافظ إبراهيم الشاعر يستأجر العرية « الحظور » من دار الكتب بميدان باب الخلق إلى سكنه فى حي الزمالك بجنيه لا يسأل سائقها عن يقينه . . وذات مرة أراد الشاعر إسماعيل صبرى « باشا » أن يثير دهشة بخل عصره الدكتور صروف فسأل أمامه حافظاً عما تبقى من مرتبه فقال عشرة جنيهات . . فقال صبرى لحافظ . . لقد كنت أحسب أن معك للزيد؛ لأن الاكتتابات التى جمعناها لإقالة عثرة صديقنا فلان تنقصها عشرة جنيهات ، فإذا بحافظ يخرج الجنيهات العشرة الوحيدة فى جيبه فيقدمها لصديقه . . بينما كان الصحفي صاحب الملايين صروف يرسل اللعنات على هذا السفه . . ومع هذا فقد كان الدكتور صروف من خيرة علماء عصره .

• برلمان :

كان الدكتور فارس نمر عضواً بانهيين فى مجلس الشيوخ أحد مجلسى البرلمان فيما قبل ثورة سنة ١٩٥٢ . . لقد كان هناك تقليد بتعيين كبار أصحاب الصحف أعضاء فى مجلس الشيوخ ولم يكن بخيلا بالمال فقط . . بل بالكلام أيضاً . . فلم يحدث مرة واحدة طوال عشر سنين أن نطق بكلمة واحدة داخل هذا المجلس ولست أدري لماذا تسمى هذا بخيلا لماذا لا نسميه حرصاً .

وبهذه المناسبة أذكر أن مصر قد شهدت ما بين الثورتين : ثورة سنة ١٩١٩ و ثورة سنة ١٩٥٢ تسعة برلمانات كان ترتيبها كالاتى : البرلمان الأول الذى أسفرت عنه ثورة سنة ١٩١٩ جاء بزعيدها سعد زغلول إلى الحكم ، وقد افتتح فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ ، وحل فى بداية دورته الثانية فى نوفمبر من سنة ١٩٢٤ ذاتها . . البرلمان الثانى الذى أعقب هذا الحل — وقد حل هو الآخر فى يوم افتتاحه ، أى أن عمره لم يتجاوز ساعة واحدة لان الانتخابات جاءت بصورة طبق الأصل من برلمان سنة ١٩٢٤ . . البرلمان الثالث الذى جاء به ائتلاف الاحزاب فى نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، وهو البرلمان الذى تولى سعد زغلول فيه رئاسة مجلس النواب تاركاً رئاسة الوزارة للعدلى يكن زعيم المعارضة الدستوريين . . لقد جعل ائتلاف سعد مع معارضيه ورياسته للبرلمان من هذا البرلمان أهم برلمانات العهد للماضى . . وقد حل هذا المجلس فى بداية سنة ١٩٢٨ ، بسبب انتهاء الائتلاف ووذى سعد زغلول . وفى نهاية سنة ١٩٢٩ جاء البرلمان الرابع لكنه لم يعمر أكثر من خمسة أشهر حل بعدها . وألغى دستور سنة ١٩٢٣ وظهر

دستور آخر جاء برلمان آخر من صنع رئيس الوزراء إسماعيل صدقي . وهو البرلمان الخامس .

وفي سنة ١٩٣٦ عاد دستور سنة ١٩٢٣ وجاء البرلمان السادس الذي أقر معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ثم حل في إبريل سنة ١٩٣٨ ليحل محله البرلمان السابع الذي حل هو الآخر عقب أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وجاء في إثره البرلمان الثامن الذي انتخب في يناير سنة ١٩٤٥ وهو البرلمان الوحيد في الماضي الذي أكمل دوراته الخمس إلى نهاية سنة ١٩٤٩ ، ثم جاءت الانتخابات التي أجريت في يناير سنة ١٩٥٠ برلمان مغاير هو البرلمان التاسع الذي ظل قائماً إلى سنة ١٩٥٢ حيث جرفته الأحداث التاريخية التي ظهرت في هذه السنة .

وكانت للمعارضة في غالبية هذه البرلمانات معارضة اجتهدت إلى أن تولى الدكتور هيكل « باشا » رئاسة مجلس الشيوخ في سنة ١٩٤٥ فنظم تقاليد المعارضة بأن جعل لزعم المعارضة في مجلس الشيوخ مكتباً خاصاً وسكرتيرية خاصة وكان أول زعيم للمعارضة في هذا التقليد هو المرحوم صبرى أبو علم « باشا » الذي كان سكرتيراً عاماً للوفد وهو حزب الأغلبية .

لكن التقاليد البرلمانية التي أرساها هيكل ، ومنها فتح باب المناقشة الأعضاء في ميزانية القصر الملكي ، قد أدت إلى فصله من

رئاسة مجلس الشيوخ هو وإيمان وعشرون عضواً في سنة ١٩٥١ . .
وكانت هذه السابقة من عناصر الجلو الذي تهيأ لقيام ثورة يوليو
سنة ١٩٥٢ .

تيمور :

حرف التاء

أشهر الأسماء في حرف التاء هو اسم تيمور : وهو اسم الأسرة
التي أنجبت أربعة من مشاهير الأدباء : أحمد تيمور « باشا » وولديه
محمد تيمور ومحمود تيمور وأخته عائشة التيمورية .

كان أحمد تيمور مثال الرجل للموسر الذي تفرغ للعلم . فأنشأ
مكتبتين ، مكتبة من مؤلفات الآخرين تحولات بعد وفاته إلى مكتبة عامة
ومكتبة من مؤلفاته السكينة التي لم تنسح حياته لطبع غالبيتها . فشكلت
لجنة — لا تزال قائمة حتى الآن — لطبع هذه المؤلفات : وكلها
مؤلفات متخصصة في تاريخ الآداب واللغة العربية .

أما أخته عائشة التيمورية فكانت أول سيدة تنظم الشعر باللغتين
العربية والتركية فيما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن
العشرين ، وهي أول وآخر شاعرة في عصر النهضة لا يراها ولا يرى
صورتها الجمهور فقد عاشت وماتت في عصر الحجاب ؛

وأما ولداه محمد تيمور ومحمود تيمور فقد تخصص في القصص . .
كان محمد تيمور في مقدمة من كتبوا القصة القصيرة ، فلما مات شاباً في
مشرق القرن العشرين حمل رايته أخوه محمود تيمور .

وقد بدأ محمود تيمور كتابة القصة في العشرينيات باللهجة العامية ،
وأخرج بهذه اللهجة عدة مجموعات قصصية لعله صار ينكرها : فهو
ما زال يتطور في أدبه حتى أصبح من غلاة المتعصبين للعربية الفصحى ..
وبعد أن كان يكتب في شبابه باللهجة العامية أصبح وهو عضواً بالمجمع
اللغوى متخصصاً في رد كل لفظ عامي وكل لفظ منقول من اللغات
الأجنبية إلى أصله العربي انفصيح أو استبداله بأصل عربي آخر .



الثورة بين جيلين

يقولون أن للحروف أسراراً .. ويبدو أن هذا صحيح .. فهناك حروف غنية باشتراكها في ملايين الأسماء .. وهناك حروف قوية باشتراكها في أعظم المعاني .. هناك حروف لها موسيقى وحروف لها فعالية ، وحروف لا بد من اقترانها بحروف أخرى ، هناك حروف تقبل الاستقلال كحرف «الواو» بينما سائر الحروف لا تستقيم بمفردها .. ويقولون أن هناك علوماً تبين مزايًا هذه الحروف جميعاً ، كعلم الكلام وعلم البيان ، وعلم انفلك .. لكن النتائج التي نخرج بها من هذه العلوم نتائج نظرية قابلة للمناقشة .. أما الذي لا يحتمل المناقشة في هذا البحث فهو فن الأرشيف .. إنك واجد في صندوق «الألف» بالأرشيف حشداً من المعلومات بينما قد لا تجد نصف هذه المعلومات في حرف اثناء وسأروى ما أستطيع أن آتي به من أرشيفي الذهني في حرف اثناء .

حرف اثناء

ثورة :

إزدادت شهرة حرف اثناء ابتداء من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في بلادنا والبلاد العربية فبعد نجاح حركة الضباط الأحرار التي قاموا بها يومئذ أصبحت كلمة « ثورة » التي تبدأ بحرف اثناء شريكة في كل مقال .. لقد دخلت كلمة « ثورة » منذ هذا التاريخ في كل شيء دخلت في الأدب ، وأصبح العنوان الذي كان عجباً منذ أربعين عاماً على

كتاب « ثورة الادب » للدكتور هيكل — شيئاً مادياً في أى مقال يكتب الآن في الادب أو عن الأدب . دخلت في العلم .. بل لقد أصبحت كلمة ثورة جزءاً من العلم منذ قال الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم منذ سنوات « أن الثورة هي علم تغيير المجتمع » .. دخلت في الفن والصحافة والاقتصاد بل لقد دخلت على الجانب المضاد لمفهوم الثورة ذاتها في هذا الجانب باسم « الثورة المضادة » .

ونحن نستطيع عدلاً وأنصافاً — أن نرد هذا الرواج لكلمة « ثورة » إلى الضباط الاحرار الذين نجحت ثورتهم باسم الشعب للمصرى في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. ولقد كانت هناك ثورة شعبية عظيمة في تاريخ ما قبل سنة ١٩٥٢ ، هي ثورة سنة ١٩١٩ لكن أحداً من القادة في السياسة والفكر لم يكن يستخدم كلمة ثورة إذ ذاك كما استخدمها الآن .. إن زعيم ثورة سنة ١٩١٩ نفسه ، وهو سعد زغلول ، له كلمة قالها في أحد مواقفه السياسية الهامة وهي « نحن قوم هادئون لا نحدثنا أنفسنا بثورة » — ربما كانت هذه سياسة .

قال سعد زغلول هذه العبارة بينما كان الشعب وهو على رأسه في قمة الغليان .. إذن فهناك خلاف في مفهوم « الثورة » بين الماضي والحاضر — نحن في الحاضر نعتبر الثورة في إرادة التغيير التي تتحرك في نطاقها بالفعل .. بينما كان الثائرون في الماضي يتجنبون كلمة الثورة كي يتحاشوا ، إن أمكن ، اتهامهم بمخالفة القانون .

كان مفهومنا للثورة في الماضي أنها مخالفة للقانون غير معترف

بها .. أما مفهومنا الآن للثورة فهو مولد لقانون جديد يتعجبه المجتمع .

ظهرت حركة الضباط الأحرار الأولى في ١٦ يناير سنة ١٨٨١ بزعامة أحمد عرابي .. وهكذا نرى أن هناك أشياء كثيرة في حياتنا كانت لها أشباه في الماضي .. فالحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل في بدايات القرن العشرين كان له شبيه باسم الحزب الوطني ظهر في سنة ١٨٧٩ .. وجمعية « مصر الفتاة » التي ظهرت في ثلاثينيات القرن العشرين كان لها شبيه يحمل نفس هذا الإسم في سبعينيات القرن التاسع عشر .. وهكذا التشابه في الأسماء أو للسميات إنما يرجع إلى مفاهيم كلمة واحدة هي كلمة « ثورة » .

ثروت :

ومع كل الدوى الذي تركه كلمة ثورة في كل زمان وكل مكان فإن حرف الثاء الذي تبدأ به هذه الكلمة من أقل الحروف نداء بالأسماء .. إننى لأجد فى أرشيفى الذهبى من هذا الحرف إلا إسم ثروت « باشا » وإسمه بالكامل محمد عبد الحالى ثروت .

هناك قليل من الرجال لم يستطع التاريخ إنصافهم لا فى حياتهم ولا بعد مماتهم .. ومن هذا القليل عبد الحالى ثروت .

إن إسم ثروت يرد فى الأذهان ، وربما فى بعض صفحات التاريخ بين أسماء الذين لم ينتصروا للشعب وثورته فى سنة ١٩١٩ وقد يكون هذا صحيحاً فى ظاهر الأمور ، أما فى الباطن فإن هذا التصوير

— ٣٠ —

يعتبر ظلماً ولكي يتبين هذا الظلم ينبغي أن تكون هناك صورة حقيقية دقيقة للحالة التي كانت البلاد عليها في الفترة التي تولى فيها ثروت الحكم ، وهي بداية سنة ١٩٢٢ .

كانت القوات البريطانية تشغل كل ركن في مصر بما في هذا : قسام الشرطة ، بل كانت رئاسة الشرطة المصرية للإنجليز ، وقيادة الجيش المصري للإنجليز وتمثيل مصر دبلوماسياً في الخارج للإنجليز والتفتيش على كل نواحي الحياة للمصرية في الداخل للإنجليز بل كان رئيس الدولة ، وهو السلطان ، معيناً من قبل الإنجليز وكان هذا التعيين يحدد تلقائياً الوضع والظروف بالنسبة للوزراء الذين يعينهم السلطان .

نعم كانت هناك ثورة ، وثورة عظيمة عارمة . لكن القوات البريطانية كانت تقابل هذه الثورة العزلاء بالمدافع .. وصحيح أن الثورة قد أقلت القوات البريطانية وقتلت الكثيرين من أفرادها ، لكن زمام القتل والقوة المسلحة كانت بالطبيعة في يد الجيش المحتل لا في يد الشعب الأعزل .

أما من الناحية السياسية فكان الوضع كما يأتي ، رفض مؤتمر الصلح الدولي الذي انعقد في سنة ١٩١٩ لتقرير مصائر الأمم أن يدخله وفد من مصر ، وأقر الحماية البريطانية عليها .. طرق الزعماء المصريون باب المفاوضات مع الإنجليز بوفد يمثل الشعب مرة وبوفد يمثل الحكومة مرة وفشل الوفدان في المفاوضات .. لجأ ممثلو الشعب إلى فرنسا وإلى أمريكا خاصة وإلى الضمير العالمي عامة فلم ينصت إليهم أحد .. وفي هذا الجو كان الجنود البريطانيون في شوارع القاهرة

موقفون أى كبير ليحملوه حجارة للشاريس التى كان الشعب يقيمها
فى الشوارع لمنع القوات الإنجليزية من الحركة .. وكان للتدوب
السياسى البريطانى هو الذى يحدد متى تضاء ومتى تطفأ مصابيح
القاهرة ومتى يخرج الأهالى ومتى يعودون إلى ديارهم .. الخ

حين يحىء أى سياسى وينتزع من بريطانيا فى هذا الجو اعترافاً
بأن مصر مستقلة ذات سيادة وأن من حقها أن تنشئ البعث
الدبلوماسية التى تمثلها فى الخارج وأن تنشئ برلماناً يشارك فى إدارة
شئونها فى الداخل .. فإن هذا السياسى يكون قد أزال كثيراً من الغبار
الذى كان الاحتلال يهبه على ثورة الشعب ولقد كان هذا السياسى
هو عبد الحالى ثروت ، وكان هذا الاعتراف هو التصريح البريطانى
الذى اشتهر باسم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

صحيح أن بريطانيا قد قرنت هذا التصريح بأربعة تحفظات تؤثر
فى معنى الاستقلال ، لكن دهاء ثروت قد جعله يصمم على أن يكون
هذا التصريح من جانب واحد هو الجانب البريطانى حتى لا يكون
اشتراك الجانب المصرى فيه ملزماً للمصريين بالموافقة على التحفظات
البريطانية .

إن أى سياسى فى سنة ١٩٢٢ لم يكن يستطيع أن يعمل أكثر
مما عمله عبد الحالى ثروت .. ومع هذا فقد امن الكل ثروت تحت
تأثير الدعاية الجماهيرية للضادة ، مع أن تصريح ٢٨ فبراير الذى جاء به
هذا الرجل دون التزام بشئ من جانب المصريين كان فى واقع الأمر
وعغم عيوبه هو نقطة الانطلاق إلى الحياة الدستورية والحياة

الدبلوماسية التي لم تظهر في مصر إلا بعد هذا الجهد الذي بذله ثروت وكان من نتائجه أيضاً الإفراج عن المعتقلين وفي مقدمتهم سعد زغلول وإن كان أحداً لم يذكر له هذه الناحية ..

حرف الجيم

جمهورية :

كانت كلمة « جمهورية » قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كلمة غريبة على مصر .. بل كان القانون يعاقب من يطالب بتطبيقها في بلادنا ثم أصبح العكس هو الصحيح بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وأخذت الجمهورية في مصر طابعها القانوني ابتداء من ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ .. إن الأرقام التي تحيط بإعلان الجمهورية في مصر تدعو إلى العجب فقد أعلن جمال عبد الناصر قيام الجمهورية في مصر في الساعة السادسة والدقيقة ١٨ من شهر يونيو وهو الشهر السادس من شهور السنة في سنة ١٩٥٣ وأنت إذا جئت أرقام ١٩٥٣ تكون النتيجة ١٨ ؛ إنه كلام يشبه كلام الفلكيين وإن كنت لا أقصد :

جمال :

إذا ذكر إسم جمال بعد منتصف القرن العشرين في التاريخ فإن الأفكار تتجه مباشرة إلى جمال عبد الناصر .. أما إذا ذكر إسم جمال في التاريخ بعد منتصف القرن التاسع عشر فإن الأفكار تتجه مباشرة إلى جمال الدين الأفغانى .

إن مؤلفي قصص حياة المجاهد اللاتيني جيفارا الذي استشهد هنذ قليل لم ينتهوا إلى أن جيفارا في فلسفته ليس إلا تلميذاً غير مباشر لجمال الدين الأفغاني .. وأقصد بفلسفته فاسفة قومية الجواد ، واتساع رتعة هذه القومية لكل البلاد التي تجاهد في سبيل الحق والحرية . . إن كلا منهما يبدأ اسمه بحرف « جيم » وكلاهما تنقل بجهاذه من بلد إلى بلد .. وإذا كان جيفارا قد استخدم في جهاده السلاح فجمال الدين الأفغاني هو القائل — شق قاب ظالمك — .. وإذا كان جيفارا قد مات قتيلاً .. فقد تعرض جمال الدين الأفغاني للقتل بالسم أكثر من مرة ، وإن كان قد نجا حيناً إلا إن الذين درسوا حالة إعياته التي أفضت إلى موته يردون هذا الحالة للسموم التي تعرض لها .. كل الخلاف بين الرجلين أن جيفارا كان يعتمد في جهاده على عقيدة سياسية وأن جمال الدين الأفغاني كان يعتمد على العقيدة الدينية .

على أن هناك علامات استفهام لاتزال قائمة حول نشاط جمال الدين الأفغاني السياسي .. ومنها على سبيل المثال — أنه حين جاء إلى مصر منادياً بمبادئ التحرير في أئذث الأخير من القرن التاسع عشر كان في نفس الوقت صديقاً لرئيس الوزراء رياض باشا الذي كانت تعارضة الثورة الوطنية التي تأثرت فعلاً بآراء جمال الدين الأفغاني .. وأنه كان يعارض الطغیان العثماني لكن هذه المعارضة لم تمنعه من الاتصال أحياناً بالقصر الملكي العثماني في أواخر حياته .. وأنه كان داعية عظيم للدين الإسلامي .. ومع هذا فقد كان يعتمد أحياناً على الصحفي اليهودي الذي أسلم يعقوب بن صنوع .. يبدو أن جمال الدين الأفغاني القائد الديني العظيم كان من دهاء السياسيين أيضاً .

جلال :

أول اسم من أسماء « جلال » في أرشيفي الصحفي هو اسم جلال الحمامصي .

لقد دخل جلال الحمامصي دنيا الصحافة منذ ثلاث وثلاثين سنة من باب .. الرياضة .. كان أول أمره ناقداً رياضياً .. وكشاش تخرج في كلية الهندسة لم يعجبه إخراج ركن الرياضة .. فأعاد تبويبه على نحو رشحه لأن يكون سكرتير تحرير .. ثم ما لبث سكرتير التحرير أن صار رئيساً للتحرير ..

لقد عرفت جلال منذ نشأته الصحفية شاباً أيقناً ، لكن هذه الأمانة لم تمنعه من المداومة منذ صباه على أداء الفرائض الدينية كلها في مواعيدها .. إن دقة المواعيد كانت دائماً جزءاً من شخصيته ، فهو في الساعة صباحاً يؤدي تحية الصباح لمعاونيه في العمل ، وفي الساعة الحادية عشرة يمتنع عن مقابلة الزائرين وفي الساعة الواحدة بعد الظهر يقوم بالرياضة للشئ من دار الجريدة إلى بيته ..

إن دقة مواعيد جلال الحمامصي تنبع من اعتنازه بكرامته .. فما من عمل صحفي تولاه أو تولى عنه إلا وكانت الكرامة سيّله إليه أو سيّله عنه ومع هذا الاعتزاز كله فإنك لا تكاد تشعر في مخالطته بأنه يستعلي على أحد أو يخاضم أحداً .

لقد كانت بيني وبينه معارك كثيرة ونحن وكيلان لثقافة الصحفيين لكني ما رأيت زميلاً يخاضمك في الرأي كجلال .. إن ذرة من وده

— ٣٥ —

أو صداقته لا يمكن أن تتأثر بهذه المحاصمة الفكرية .. إنك تجده دائماً عفيف القلب والقلم واللسان .

كان جلال الحمامصي يبدو خارج عمله واحداً من — أولاد الدوات — لكنتك إذا دخلت مكتبه وجدت رجلاً لا يختلف كثيراً عن العمال .. ففي مكتبه طاولة عليها مساطر ومثلثات وأقلام قلم وألوان .. وهو بهذه الأدوات قد أنشأ مدرسة جديدة في الإخراج الصحفي ينتشر الآن تلاميذها في كل أركان الصحافة دون أن يشعر أحداً بأن مؤسس هذه المدرسة وأستاذها هو جلال الحمامصي :



عجائب حرف الخاء

أليس عجيباً أن الحرف الأول من كلمة « حظ » هو نفس الحرف الذي تبدأ به أجل كلمة في الحياة وهي كلمة « حب » بل أن كلمة « حياة » ذاتها تبدأ بنفس الحرف الذي تبدأ به كلمة « حظ » وكذلك كلمة « حرية » وإن كانت تبدأ به كلمات ذات معان مضادة مثل كلمة « حرب » و كلمة « حسد » .. أقول هذا وأنا أعرف أن الحرب قد تكون حياة وإن الحسد في رأي بعض العلماء نوع من أنواع الجاذبية ولكنها جاذبية مضادة .. هذه مقدمة لا بد منها في هذا الأرشفة ونحن نتحرك نحو حرف الخاء . وهو حرف على غناه في اللغاني ليس غنياً في علم الأسماء بهذا القدر .

* حافظ

اسم حافظ ليس من الأسماء الشاعرية .. لكن أغلب حاملي هذا الاسم كانوا شعراء أو كان لهم بعض سمات الشعراء .. ومن أولئك الشعراء حافظ الشيرازي قديماً وحافظ جميل حديثاً .. ثم حافظ إبراهيم الذي لا يذكر عصر النهضة في الشعر العربي المعاصر إلا ويذكر اسمه .

كان حافظ إبراهيم ثاني اثنين من شعراء الجيل الأول في القرن العشرين وبرغم مرور أكثر من جيل على وفاة شوقي وحافظ اللذين توفيا في عام واحد ، وهو عام ١٩٣٢ — فإن الفراغ الذي تركاه لم يشغله أحد حتى الآن . لأن عبقرية الشعر قد اختفت من بلادنا بل

لأن الجلو الذى عاشا فيه قد تغير تغيراً جذرياً فى حياتنا الفكرية .
ولقد عرف الناس حافظ إبراهيم شاعراً ، لكنهم ، إلا قليلا منهم
لا يذكرون أنه كان ضابطاً .. كان ضابطاً فى جيش مصر الذى
دخل السودان فى نهايات القرن التاسع عشر ثم تمرد على رؤسائه وكانوا
من الانجليز ، ففصل من الجيش ، فظل مشرداً يبحث عن عمل يجرى
عليه الرزق حوالى عشر سنين .. وفى هذه الفترة قال حافظ أعظم
قصائد البؤس فى حياته . ومن هذه القصائد ما يصف فيه خيبة مساعيه
فى الحصول على عمل .. يقول فى مطلع إحداها :

سعيت إلى أن كدت أتعل الدما وأبت وما أعقت إلا التندما
فى هذه الفترة من حياته ترجم حافظ إبراهيم قصة البؤساء أروع
روائع فيكتور هيغو وقيل يومئذ أن حافظ قد استطاع فى هذه
الترجمة أن يدخل بأسلوبه فى تلافيف عقل المؤلف الفرنسى ، مع أنه
لم يكن بهذا التقدر من قوة المتابعة للأدب الفرنسى ، لكنه فى ترجمته
لقصة (البؤساء) إنما كان يترجم أحاسيسه الخاصة ..

ثم انتقل من دنيا الصعكة إلى دنيا الوظائف الكبرى حيث عين
فى وظيفة من وظائف الدرجة الأولى مباشرة .. وهى وظيفة الوكيل
للعام لدار الكتب .. واطمأن حافظ فى هذه الوظيفة إلى رزقه ، لكن
شاعرية الشقاء لم تفارقه إلى آخر حياته ، فعرف بأنه أبلغ شعراء
المرأى فى عصره .. وهذا هو السر فى أن شوقى أمير الشعراء قد تمنى
يوم وفاة حافظ لو كان السباق إلى الوفاة كى يحظى برثاء حافظ ،

وهذا واضح في مرثية شوقي لحافظ التي يقول في مطلعها :
 قد كنت أؤثر أن تقول رثائي يا نصف اللوتى من الأحياء
 كان شوقي يطعن أن يرثيه حافظ كما رثى هو سعداً بقوله .
 شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاهها
 لكن الله أكرم حافظاً بأن كان السباق إلى الوفاة كي يرثيه أمير
 الشعراء الذى لحق به إلى العالم الآخر بعد نصف عام فقط .
 إن التصوير الدقيق لحافظ وشوقي أن حافظاً كان يحظى بحب
 الجماهير وأن شوقي كان يحظى باحترامها .

ويبدو أن أبى كان من عشاق حافظ فأسماني باسمه .. ومن
 يدري .. ربما كان أبى يمتنى أن أكون شاعراً مثله .. وقد بحثت
 فى أرشيفي الذهني عساي أجدر في مستهل حياتي شيئاً من الشعر فلم
 أعتز على تصائد كاملة لكنني عثرت على الأخيصة التي كنت أكتبها في
 صباى الباكر ،

إنى تخيمات فى هذه للقلالات الحلول لمشكلة اللواصلات التي ظهرت
 فيما بعد ومنها أن خطوط المترو ستمتد على قناطر تعلوا سطح المساكن
 فى طول المدينة وعرضها وأن الترولى باس — الذى يسير فوق الأرض
 سيجعل فى مجلاته قضباناً تفرد ثم تدطوى مع العجلات بحيث لا يرى
 الناس قضباناً ممتدة على أرضية الطريق .. وأن بعض السيارات العامة
 ستكون قادرة على السير فوق الماء .. وأن البعض سوف يسير بالطاقة
 الشمسية ..

ثم تخيلت الحلول لأزمة المساكن التي ظهرت فيما بعد .. بأن المدينة ستعمر بالفنادق التي يشتمل كل منها على عدد من الشقق الصغيرة التي تصلح كل منها لسكنى عائلة لا يكون الساكن فيها مسئولاً عن تدبير شئون مسكنه حيث تكون كل النساء والبنات من العاملات وأن غرف هذه المساكن ستبدو فارغة ، لكنك إذا ضغطت زراً برزت من الحائط للمائدة أو السرير أو الأدراج التي تحمل الثياب وغير الثياب .

وذهب بى خيال الصبي في مستقبل بلادى إلى أن علماء سيظهرون بها ، فيكشف أحدهم الدورة الأثيرية ، أى دورة الجسم الأثيرى الذى يقول العلم إنه يحيط بأجسامنا إلى ما بعد الموت .. وأن عالمة مصرية شابة سوف تكتشف العلاقة بين المادة والروح ، .. فيعتبرها العالم كله فى عداد الأنبياء ، وتدعى لزيارة كل دول أوروبا وأمريكا لنشر هذه الرسالة الجديدة التى ترد إلى الناس إيمانهم بالروح عن طريق مكتشفات مادية جديدة .

إلى هذا الحد بلغت أخيلتى فى صباى .. وهذا دليل جى على أن الفكر الإنسانى يتجه بنا خلال الصبي إلى المستقبل ، فإذا ما تقدمت بنا السنون تلفتنا إلى الماضى لتكتب وتقرأ عنه .. وليس فى هذا تناقض ولا رجعية كما يظن البعض .. فما من مستقبل إلا وهو صنيعة للماضى ..

حسن :

إننى حين أتلفت إلى الماضى أذكر ذلك الشاب الوسيم الفارغ الذى

ساهم بنصيب مجهول في تكوين جيلنا .. الشاب الذي قام بمغامرات قل
أن يكون غيره قد قام بمثلها .. ومع هذا فقد نسيه الكثيرون .. ولم
يعد يذكره الآن إلا أعضاء نادى المعادى الذين يتضي أوقات فراغه في
شيخوخته بينهم .

فنحن حين دخلنا دنيا الصحافة طلاباً نتدرب على الأعمال الصحفية
كنا ننظر بإعجاب إلى (حسن صبحى) النصاص الذي كان ينشر
قصص (أوراق البردى) في جريدة (السياسة الأسبوعية) .
من أين جاء حسن صبحى خريج كلية الآداب بهذه الأقاصيص
الفرعونية الفريدة ؟

لقد كان أحد العشرة الأوائل الذي (تطوعوا) للالتحاق بمعهد
الآثار القديمة ثم تخرجوا بعد ثلاث سنوات ليخلفوا علماء الآثار
للمصرية الأجانب وأصبحوا كلهم عدا حسن صبحى — أئمة علوم
الحفريات وأساتذتها ومديرى أعمالها .. أما حسن صبحى ، ثالث
أولئك للتخرجين العشرة .. فقد آثر الصحافة ..

كان دخوله الصحافة مغامرة .. مغامرة على الأقل بالوظائف التي
كانت تنتظره ، بل الوظائف التي كان يشغلها بالفعل ، ومنها نظارة
مدرسة .. لكن حياة حسن صبحى ذاتها كانت مغامرة .

لقد انتقل ، دون مقدمات ، من جريدة السياسة الأسبوعية إلى
جريدة البلاغ فأنشأ فيها ، لأول مرة في الصحافة اليومية المسائية ،
صفحة أخيرة مصورة .. لكن روح المغامرة لم تتركه في هذه الصفحة
الناجحة لحاله ، فإذا به يهاجر إلى السودان .. وفي السودان أنشأ

حسن صبحى بشكليف سودانى أول جريدة يومية سودانية فى الثلاثينيات . وهى جريدة (النيل) . . . وعلى الرغم من أن هذه الجريدة قد احتلت مكانة رفعت حسن صبحى إلى اصدارة انصحفية إلا أن روح المغامرة عادت به إلى القاهرة .

عاد إلى القاهرة لينشئ مكتباً للسياحة قبل أن تكون القاهرة قد رأت أو سمعت عن المكاتب السياحية الوطنية ، وغامر حسن فى هذا المشروع فى مواجهة الأجانب إلى الدرجة التى اضطرته إلى أن يبيع ملابسه .. لكن أى خيط من خيط اليأس لم يمر برأسه ، فتقدم بمشروعه السياحى إلى الزعيم الاقتصادى طلعت حرب ، ولأول مرة تدخل السياحة فى مشروعات بنك مصر ، وأصبح حسن صبحى مدير مكتب مصر للسياحة.

كان يمكن لحسن صبحى أن يقف عند هذه المغامرة دون غيرها بعد أن أصبح فى عداد مديرى الشركات .. لكن عمله كمدير لمكتب مصر للسياحة وما كان يتبعه له من التجوال بين أنحاء العالم الخارجى قد فتح شهيته مرة أخرى لصحافة .. فعاد ليعمل محرراً مرة ، ومرة أخرى ينشئ لحسابه صحفاً أسبوعية مختلفة الألوان حتى استقر أخيراً على مشروع صحفى فريد فى نوعه ، ألا وهو إصدار صحيفة أسبوعية تنطق بلسان ضاحية للعادى ، وهى للصحيفة التى تصدر بانتظام منذ سنين .

وقد يعلم الكثيرون أن حسن صبحى صاحب هذه الصحيفة الفنية ومحررها شاب متوئب وهو فوق السبعين من عمره لا يقلل من

أنشطته أنه فقد بصره .. أنه مازال يجوب العالم الخارجي داعياً لبلاده
وليزود صحيفته الصغيرة التي لا تتخطى ضاحية للمعادي بالمادة التي تعنى
بها كبريات الصحف في كل العواصم الكبرى .

حرف الحاء

* خطأ وخطيئة

ربما كانت أشهر كلمة في باب حرف الحاء هي كلمة خطيئة
وترجع شهرة هذه الكلمة إلى بدء الخليقة الإنسانية . فخطيئة آدم
التي أغرته بها حواء هي التي كانت السبب في خروجها من الجنة —
كما تقول الكتب المقدسة — إلى الأرض لكي ينشأ فيها العمران
فلاستغفار عن الخطيئة له علاقة بعمران الأرض ، وربما كان هذا
هو السبب في كثرة ترديد السيد المسيح لكلمة خطيئة من باب
التحذير والدعوة إلى طرق أبواب النفران ، وبالتالي طرق أبواب
العمران .

ويبدو أن كلمة (خطأ) هي المذكر لكلمة خطيئة ، فالخطيئة
كالمرأة تحمل معنى الإغراء ، والخطأ كالرجل الذي يستجيب لهذا
الإغراء ، ولما كانت الاستجابة إلى الإغراء طبيعة في الإنسان
يتبعها ثم يقاومها ثم يستغفر عنها ويتجنبها — فقد اقترنت كلمة خطأ
بكلمة تجربة .. فالجربون هم الذين يمارسون الخطأ اضطراراً لكي
يتجنبوه من بعد اختيار . وفي هذا المعنى يقول برناردشو (إن الأديب
يلطخ يديه في الوحل لكي يرى الناس أن هذا وحل)

* خبطة :

وفي دنيا الأدب معركة أثارها الصحفيون المصريون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية تعبيراً عنهم عن الخبر أو للوضع الذي يمتاز بسبق صحفي يهز وجدان القراء . . ذلك أن كلمة (خبطة) من كلمات اللهجة العامية التي لا مرجع لها في الفصحى . . فالجبط في اللغة العربية هو الضرب بقدم البعير على الأرض . . . تصور أى وضع يضع فيه أنفسهم أولئك الصحفيون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية .

ومع هذا . . فحتى الآن لم يظهر بدليل لغوى يغنى بلفظ فصيح واحد عن كلمة (خبطة) كما يستعملها بعض الصحفيين . . والخطاب — والخطاب أيضاً من أسماء حرف الخاء — . الخطاب هنا توجه إلى أساتذتنا أعضاء الجمع .



الدساتير المصرية الستة

الأرشفيف الصحفي ، كالعمل الصحفي ، ليست الأسماء فيه هي كل شيء . . . إن الأحداث في الصحافة أهم من الأسماء بكثير ، فقد يكون أمام المحرر مقال لصاحب اسم كبير اسم لادع . . . ثم تأتي الأخبار بجاذب — فما أيسر على المحرر أن يرجي نشر مقال صاحب الاسم اللامع ، بل أحياناً يمزقه لينسج الطريق إلى المطبعة لتفاصيل الحادث الذي وصل إليه . . . إن أي اسم في العمل الصحفي ، مهما كبر ، إذا لم يقتن بخبر أو بموضوع أو حادث ، لا يهم الصحفيين كثيراً .. والأرشفيف الصحفي أيضاً له مثل هذا الطابع .. نجد فيه أسماء كثيرة ما تتوارى في الأرشفيف أمام الأحداث أو للوجودات الأخرى التي تصادف الصحفي في حياته ..

حرف الدال

دائرة المعارف :

إن دائرة المعارف هي التوأم للأرشفيف عند الصحفيين .. كل الصحفيون قد يعرفون دائرة المعارف البريطانية ودوائر المعارف باللغات الأخرى .. إلا باللغة العربية .

لقد كان من أسس للتفكير في إنشاء المجمع اللغوي منذ أربعين عاماً أن تتوفر على وضع دائرة معارف عربية — ومع أن المجمع

للمصرى قد قطع من عمره زهاء ثلث قرن ومع أن الجمع السورى قد قطع من عمره زهاء نصف قرن — فإن أحد المجمعين لم يصل بعد إلى وضع دائرة للمعارف العربية .

هذا الجهد الجبار فى وضع دائرة معارف .. الجهد الذى ماتزال تهيبه الجامع قد أقدم عليه فى الجيل الأسبق رجلاان ، كل منهما على حدة .. الأول هو الأديب للمصرى محمد فريد وجدى .. وأنا ، بحكم النشأة لم أعرف الثانى ، لكننى عرفت فريد وجدى .

كان فريد وجدى قبل نصف قرن صحفياً يصدر جريدة يومية اسمها « الدستور » وهو الاسم الذى اختاره زميلنا للرحوم محمد خالد لجريدته بعد أن اختفت جريدة فريد وجدى .. لقد اختفت جريدة وجدى لأن عقلته الفلسفية لم تتمش مع العقلية السياسية التى كانت تسود عصره ..

نقل فريد وجدى حروف مطبعة الجريدة ، بعد توقفها إلى بيته بحى النيرة .. فشغل بصناديقها غرفتين من غرف الطابق الأول لمنزله — أما الغرفتان الأخرى . فكانت إحداها له ، والثانية لسكرتيه ..

كان فريد وجدى وسكرتيه « مصطفى افندى العلوى » راهبين فى محراب العلم وقد أثمرت هذه الرهبة العلمية زهاء سبعة وعشرين مجلداً متوسط الحجم أطلق عليها فريد وجدى « دائرة المعارف » . وقد اشتهرت هذه المجلدات على عهد صبانا باسم « دائرة معارف

وجدى .. أين ذهبت هذه الشهرة لست أدري .
لقد امتازت دائرة معارف وجدى بما فيها من بحوث علمية فلسفية
روحية ..

.. إن المؤلف نفسه كان فيلسوفاً في حياته .. كان يكف على
كتبه منذ الشروق إلى الغروب في البحث وراء الحروف وما تحمله
من معان العلم والحكمة .. حتى إذا غربت الشمس — صبح سكرتيه
في جولة على الأقدام حول حى المنيرة والأحياء المجاورة .. وكنا
ونحن صبية نقف في ساعة الغروب في مكان ما لنشهد مسيرة هذين
الرجلين اللذين لا يفرقان أبداً واللذين يسدون وكأنهما عودان من
عيدان القصب لا يكسوهما اللحم .. لقد كان كل منهما نباتياً لم يعرف
طعم اللحم في حياته .

ومع أن « دائرة معارف وجدى » هي دائرة المعارف المصرية
الوحيدة حتى الآن فقد أنكرها الكثيرون بعد أن أفاد منها
الكثيرون .. ولست أدري أين البديل ؟ !

الدوائر :

إن كلمة « دوائر ، ومفردها دائرة » كانت تطلق في الأحيال
السابقة بمصر على الدواوين التي كان الأمراء ينشئونها لإدارة
أموالهم .. أو إقطاعهم .. وقد قلدهم في هذا الأسلوب كل
الإقطاعيين .. فكان من المؤلف في تلك الأحيال أن ترى على بعض
اللياني اللافتات المكتوب عليها : « دائرة الأمير فلان أو الأميرة

فلانة» أو دائرة أولاد فلان باشا .

وكانت هذه « الدوائر » منما كبيراً للوزراء والمحافظين وللمديرين السابقين حيث كان أصحاب هذه الدوائر غالباً ما يعضون معظم حياتهم أو نصفها في الخارج وحيث يكونون بحاجة إلى رجال ذوى خبرات ومقامات ونفوذ لينوبوا عنهم في دائرة أعمالهم .

ولقد كان مستوى كل دائرة يرتفع بارتفاع مقام المشرف على أعمالها .. لقد بلغ التنافس في هذا الميدان إلى درجة أن رئيس وزراء سابقاً وهو المرحوم على ماهر ، كان إذا خرج من الوزارة تولى إدارة أعمال دائرة الأمير سيف الدين ..

دائرة انتخابية :

على أن كلمة دائرة ما لبثت بعد ذبوع أنشطة الانتخابات البرلمانية . إن أطلقت على أسماء للناطق اتى يرشح فيها المرشحون أنفسهم لعضوية البرلمان .. وكان من مهام الأحزاب اقيام بعملية « تقسيم الدوائر » بين المرشحين ، فمن كان مشهوداً له من الحزب أعطى دائرة « تسمى الدائرة المفضلة » أى أن الحزب لا يسمح بترشيح أحد في هذه الدائرة غير هذا المرشح أما الدوائر الأخرى فتسمى دوائر مفتوحة ، أى أن لكل إنسان أن يرشح نفسه فيها .. وكان كثير من المرشحين يتنافسون للحصول على الدوائر المفضلة .

وأطرف قصة تروى عن الدوائر الانتخابية أن المرحوم ويسان واصف كان يرأس ذات يوم جلسة مجلس النواب بوصفه وكيلًا

— ٤٩ —

للمجلس ستة ١٩٢٧ ، وجاء رئيس المجلس سعد زغلول بمد يداية الجلسة فجلس في صفوف الأعضاء ، وخطر له أن يرفع يده ليطلب الكلمة ، فإذا بويضا واصف لا يناديه بشيء من أنفاه .. إنما قال :
الكلمة لنائب السيدة زينب .. وهى الدائرة التى كان سعد منتخبا فيها ..

أما أطرف نكتة تروى عن بعض المجالس النيابية فى هذا المجال —
فهى أن رئيس المجلس نادى للكلام نائبا أسماه بنائب دائرة « عمره »
فإذا بعشرة نواب يتزاحمون على منبر الخطابة فى المجلس ..

دستور :

إن الحياة البرلمانية تقوم أساساً على الدستور والدستور فى لغة
للمشرعين هو قانون القوانين .. وقد شهدت مصر فى أقل من تسعين
عاماً ستة دساتير : صدر الدستور الأول فى ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ وقد
حل مجلس النواب الذى أصدره فور صدوره مع أنه لم يكن قد اكمل
من عمره شهرين اثنين . وجاء الاحتلال البريطانى فى صيف سنة ١٨٨٢
نفسها فأصبح هذا الدستور فى خبر كان .

وظلت مصر بلا دستور أربعين عاماً إلى أن صدر الدستور النيبق
عن ثورة سنة ١٩١٩ .. وكان صدوره فى يوم ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣
وقد ألغى هذا الدستور فى سنة ١٩٣٠ وحل محله دستوراً ، هو
الدستور الثالث الذى ألغى هو الآخر فى سنة ١٩٣٦ وماذا دستور سنة
١٩٣٣ إلى مكانه .. وهو الدستور الذى ظل معمولاً به إلى أن قامت

تورد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وقامت في إثرها فترة انتقال لمدة ثلاث سنين تبدأ من ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ حيث صدر الدستور الأول بعد قيام هذه الثورة . وهو الدستور الرابع في تاريخ الدساتير المصرية المعاصرة وذلك في منتصف يناير سنة ١٩٥٦

فلما قامت الوحدة الدستورية بين مصر وسورية في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ كان لا بد من أن يصدر عنها دستور جديد وهو الدستور الصادر في ٥ مارس سنة ١٩٥٨ وكان ترتيبه الخامس في تاريخ الدساتير المصرية للمعاصرة .. أما الدستور السادس فهو الدستور المعمول به حالياً

دستوريون :

إن الأرشيف الذهني يعتمد في ترتيبه على تداعي للعاني .. ومن هنا فإتينا نجد أن كلمة « دستور » تلحق بها كلمة « دستوريون » .. والدستوريون هم الذين شكلوا أول حزب انشق على الوفد للمصري في أعقاب ثورة سنه ١٩١٩ واتخذوا له اسم « حزب الأحرار الدستوريين »

إن هناك غموضاً يكتنف هذا الحزب في التاريخ .. وقد نشأ هذا الغموض نتيجة لأن مؤسسى هذا الحزب كانوا هم الأغلبية بين أعضاء « الوفد » الذى وكلته الأمة فى سنة ١٩١٩ للدفاع عن حقوقها ، ثم اختلفت هذه « الأغلبية » مع رئيس الوفد سعد زغلول « باشا » لكن سعداً كان قد وصل إلى زعامة الشعب فلم يعد انفصال أغلبية

أعضاء الوفد عنه بالشيء الذى يعنيه لأن أغلبية الشعب كانت معه ..
ولقد انتهالت الاتهامات على أولئك المنشقين على سعد نتيجة لأن
وسائل الإعلام وكانت تتلخص فى الصحافة ، كانت كلها مع
سعد زغلول : وكانت إنشاء أية حقيقة تعارض سعداً يعنى
الخسران .. ولهذا تصور الناس خطأ أن الأحرار الدستوريين قد
وجدوا التصفية الثورة التى أخذت طابعاً سعدياً .. وقد يكون هذا
صحيحاً إذا هم خرجوا على الإجماع .. وألقوا حزباً خلال ثورة الشعب
فى سنة ١٩١٩ .. لكن الذى حدث هو أن حزب الأحرار الدستوريين
لم يتشكل إلا بعد وضع الدستور والاستعداد لإجراء الانتخابات
البرلمانية التى كان النظام الدستورى فيها يتطلب أن يكون هناك مؤيدون
ومعارضون فالدستوريون قد أنشأوا حزباً للمعارضة ، ولم
يظهر هذا الحزب إلا فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ أى بعد أن كانت
مسودة الدستور قد وضعت وبعد أن تحولات الثورة بالفعل إلى عمل
سياسى يتخذ الحياة النيابية سبيلاً له .

وليس شك أن للدستوريين ، كما لغيرهم ، أخطاء سياسية كوقف
العمل بالدستور فى بعض شهور سنتى ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ .. لكن الذى
ينسأه للكثيرون بما فهم بعض المؤرخين أن هذه الجماعة هى التى
وضعت الدستور الذى تمسكت به الأمة زهاء ثلاثين سنة ..

ومع هذا فإن الدستوريين الذين ظهر حزبهم فى أخريات سنة
١٩٢٢ لم يكونوا أول دعاة الحياة الدستورية .. لقد سبقهم فى هذه

— ٥٢ —

مصطفى كامل ، وسبق مصطفى كامل الشيخ على يوسف صاحب
جريدة المؤيد الذي شكل من خلال جريدته قبل عامين حزباً باسم
« حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » .

لقد كان الدستور ، هو النقطة التي لاختلاف عليها بين كل
ائساسة .. إنما كان الخلاف في التفاصيل .. وفي أساليب التطبيق
السياسي .



الاحتفالات السياسية الأربعة

في اللغة العربية حرفان شقيان ، و « شقيان » هنا يمكن ردها إلى « الشقاء » باللهجة الفصحى ويمكن ردها إلى « الشقاوة » باللهجة العامية الحرفان هما : اثناء والذال .. فلكي تنطق هذين الحرفين نطقاً سائماً لا بد من إخراج اللسان قليلاً .. وحين كننا تلاميذ صغاراً كننا نتحاشى استخدام هذين الحرفين ما أمكن حتى لا نتعرض لعصا المعلم إذا لم نخرج لساننا .. كان أسعد التلاميذ في نطق هذين الحرفين هو « الأثغ » الذي ينطق السين ثاء .. وقد استظاع أكثر من « أثغ » أن يتحدى ويتفوق على غيره حتى في فنون التعبير كمحمد عبد الوهاب الذي صار أشهر من هذا الجيل الماضي إلى الجيل الحاضر بل وربما الجيل المقبل .. لهذه الأسباب كانت الأسماء التي تبدأ بحرف الاء قليلة ، وأقل منها الأسماء التي تبدأ بحرف الذال .

حرف الذال

ذكرى :

لن أشهر كلمة تبدأ بحرف الذال هي كلمة « ذكرى » وهي كلمة قد تكون حزينة أشد الحزن وقد تكون سعيدة أكثر السعادة .. كان الصديق والزميل الراحل دكتور محمد مندور إذا اختلفنا على شيء .. هل هذا الشيء قد حدث بالفعل أو أنه لم يحدث بعد كان يردد حكمة جميلة تقول : « أن يكون أملاً خير من أن يكون ذكرى » .. لكن

الحزب الذى كان ينتمى إليه مندور فى الماضى ، وهو الوفد ، كان له رأى آخر .. كان يرى — ككل أحزاب الماضى — أن «الذكرى» تنفع لئناس جميعاً .. ولهذا كانت أكبر حفلة يقيمها حزب الوفد هي حفلة «ذكرى سعد» فى ٢٣ أغسطس من كل عام .. وكذلك كان يفعل حزب الأحرار الدستوريين فى الاحتفال بذكرى زعيمهم الراحل محمد محمود فى ٣١ يناير .. ومن قبلهم كان الحزب الوطنى يداوم على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل فى ١١ فبراير ..

زعيم وطنى واحد لم يحظ بالاحتفال بذكراه ، كما لم يحظ بشيء فى حياته هو محمد فريد .. فقد ظلت ذكرى فريد منسية خمسين عاماً — إلى أن تذكرها الأستاذ فتحى رضوان فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، فأقام لها حفلاً كبيراً بدار الأوبرا .. وحتى فى هذه الحفلة قد لاحق الحظ فريداً ، فبدلاً من أن تقام الحفلة فى الحادى عشر من نوفمبر — وهو تاريخ وفاة فريد — لم تقم إلا فى ٢٢ نوفمبر أى بعد موعدها بإحد عشر يوماً :

إن حفلات الذكرى الثلاث التى كانت تقيمها الأحزاب فى الماضى ، بالإضافة إلى ذكرى يوم ١٣ نوفمبر ، يوم للطالبة بالاستقلال ، التى سبقت ثورة سنة ١٩١٩ هذه الحفلات الأربع كانت هي التوافذ السياسية الأربع التى تطل على مسيرة الأحداث فى البلاد حيث كان كل زعيم حزب يدخر ما يريد أن يقوله للاخطاب الذى سيلقيه فى هذه المناسبة وبهذا كانت تتحول هذه «الذكريات» إلى مؤتمرات سياسية ليس لأصحاب الذكرى فيها غير العنوان فقط !.

حرف الراء

رشدى :

أشهر الأسماء التى تبدأ بحرف الراء هو إسم « رشدى » فى الجيل الماضى هو حسين رشدى « باشا » رجل التاريخ الذى ظلمه التاريخ
لقد تولى حسين رشدى الوزارة مرات فى ظروف يعتبر كل ظرف منها نقطة تحول فى تاريخ البلاد .. فىو رئيس الوزراء فى وزارة سنة ١٩١٤ السنة التى أسلنت فيها الحرب العالمية الأولى وأعلنت فيها بريطانيا الحماية على مصر .. وتحت حكم « الحماية » البريطانية نفى الخديو عباس وعين حسين رشدى قائمقام خديو إلى حين تعيين خلف للخديو النفى ..

بعض اللورخين يحملون رشدى مسئولية قبول هذا المنصب تحت هذه الظروف يدوان هذا البعض لايعرف أن بريطانيا كانت تهدد يومئذ بتعيين أحد الأجانب ، مثل أغاخان وغيره رئيساً للدولة فى مصر وتعيين وزراء لرئيس الدولة من الإنجليز .. فقبول حسين رشدى هذه المسئولية قد أعفى مصر من أن يؤول الحكم فيها إلى نظام المستعمرات التى لا يشترك أبناؤها فى الحكم بأى قدر أو أية صورة .

صحيح إن أعباء ثقيلة قد فرضت على كاهل الشعب المصرى فى هذه الفترة لكنها كانت الحرب .. وما إن علم بأن هناك اتجاهات لتشكيل « وفد » يمثل الشعب للمصرى لتحقيق هذا المطلب حتى أفسح رشدى

لتطريق أمام هذا ألوفد . . . كان رئيس الوزراء رشدى هو الذى يعطى التعليمات السرية للعمد والمشايخ بجمع التوكيلات والاكتتابات للوفد ، وحين وجه المندوب الساسى البريطانى نظره إلى ذلك أجابه صراحة بأن هذه حتمية الأمور . .

وصحیح أن رشدى كانت له من بعد آراء أخرى فى التفاصيل . . . لكن . . . يكفى أنه حين كلف بتشكيل وزارته الأخيرة قد اعتذر عنها فظلت البلاد بغير وزارة شهوراً حتى اضطر الإنجليز إلى الموافقة على بعض شروط ثروت « باشا » لتشكيل الوزارة ، ومنها إلغاء الحماية على مصر

لم يذكر للأورخون ، إلا قليلاً ، هذا الوجه من صورة رشدى وإن ذكروا الوجه للضاد من هذه الصورة ، إلى أن خطب سعد زغلول فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ مبشراً بالائتلاف بين الأحزاب وبين الساسة جميعاً فذكر أسماء الذين كان لهم سهم فى دفع الحركة الوطنية من بدايتها ، وفى مقدمتهم مصطفى كامل قبل حركة سنة ١٩١٩ ، وحسين رشدى عند مولد حركة سنة ١٩١٩ .

رخا :

لا أستطيع أن أتجول عن حرف الراء دون أن أذكر « رخا » أحد رفاق السلاح فى مهنة الصحافة . . . اسمه بالكامل ، محمد عبد المنعم رخا . . وأول مرة رأيته فيها فى الثلاثينيات كنا كلانا نزيلين فى سجن الاستغاف . . . أنا لبعض أسابيع ، وهو لأربع سنوات حكم بها عليه

حكماً مشمولاً بالأشغال الشاقة لانتهاكه بما كان يسمى « العيب في الذات الملكية » .

كان عجيباً أن يتهم رسام بالعيب في الذات الملكية .. وهو العيب الذى لم يكن يتم قانوناً إلا بالكلام المكتوب ورخا رسام ، لكن هذا الرسام الشاب استطاع بفنه المستكر أن يرسم ماتراه رسماً كاريكاتورياً عادياً ، فإذا قلبت الرسم على أحد جوانبه تحول الرسم إلى كلام ، وكان هذا الكلام يمثل القذف فى حق الملك فؤاد بعد أن ضاعفته يد مدسوسة عند حفر الرسم للإيقاع برخا ومع أنه لم يكن إلا معبراً عما يقولونه عامة الشعب فى كل مجالاتهم الخاصة دون عقاب .. فقد عوقب لأنه قتل رأى عامة الشعب .. لكن هل أفادت هذه العقوبة القاسية فى تحويل رخا الرسام عن شعبيته . . . كلا .

إن رخا قد تعلم رسم الكاريكاتير من الشعب .. تعلم هذا الفن من حواري حتى عابدين حيث كان التناقض قوياً بين قهر الملك فى هذا الحى وبين سكان الحى الآخرين .

نقد أفاد رخا فى فنه من رسوم « ساتنس » أول رسام كاريكاتير أجنبي استقدمته الصحافة المصرية منذ نصف قرن .. لكن ساتنس أو غيره من زعماء الكاريكاتير الأجانب لم يستطيعوا فرض شخصيتهم الفنية على رخا .. فرخا هو الذى خلق فى الشخصيات الكاريكاتورية التى تعبر عن آلام الشعب وسخريته ، ومن هذه الشخصيات الكاريكاتورية . المصرى الهندى وميمى بك ومحضوض باشا ، ورفيعة

هانم .. فكل شخصية من هذه الشخصيات كانت تعبر عن واقع اجتماعي أو سياسي ملموس .. مهما بلغ من فن الكاريكاتير الأجانب فإن أحداً منهم لم يستطع بالطبع أن يصل إلى ما وصل إليه رضا من تمثيل فن الكاريكاتير في صحافتنا .

فرخا هو صاحب مدرسة الكاريكاتير المصرية في الصحافة . وهو أستاذ هذه المدرسة الأول ، وقد يكون بعض تلاميذ هذه المدرسة قد نبغ نبوغاً فنياً لم يدركه فرخا ، لكن رضا سيظل دائماً هو مؤسس هذه المدرسة في تاريخ الصحافة المصرية .

لقد عمل معي رضا حين كنت رئيساً لتحرير جريدة « السياسة الأسبوعية » وزاماني في مجال نقابة الصحفيين سواء حين كنت عضواً أو قديماً . فكنت أجد فيه شيئاً أعجب من فنه . . . هذا الشيء هو قلبه .. إن رضا في صباه وشبابه وكهولته على السواء له قلب طفل .

ذات مرة في أحد انتخابات نقابة الصحفيين جاءني رضا ليقول لي في براءة الأطفال « أنا سأحاربك حتى تسقط » . فلما لم أسقط جاءني ليقول لي : أنا عملت المستحيل لإسقاطك أما وقد نجحت فلا بد أن يكون خصومك قد غشوني .

وفي هذه الواقعة بكل جوانبها تبرز شخصية محمد عبد النعم رضا . . الرسام .. والإنسان . . .

رودلف فالتينو :

سأخرج على تقاليد هذا الأرشييف مرة وأنا أختتم حرف (الراء) باسم أجنبي .. لكن عذرى أو يعرض عذرى أن جميع فتية وفتيات أواخر العشرينيات — وأنا منهم — كانوا يحفظون هذا الاسم .. اسم رودلف فالتينو .. لقد تحول هذا الاسم في أواخر العشرينيات إلى أسطورة .. أسطورة حب تغلب على كل أساطير روميو وجوليت وقيس وليلى ..

كان رودلف فالتينو نجما من نجوم سينما هوليوود ، ويبدو من اسمه أنه كان إيطالي المولد .. كان أول أمره عاملا من عمال استديوهات السينما ، ثم اكتشفه المخرجون فإذا به بعد ثلاث سنوات فقط يغدو أشهر نجم سينمائي في العالم وهو في السابعة والعشرين من عمره .. وترجع هذه الشهرة كلها إلى الدور الذي مثل فيه حياة أمير عربي تجرى وراءه — الحسان .. لقد تحول هذا الخيال إلى حقيقة .. فبدأت حسناوات هليود بالسعى إلى فالتينو . ثم تبعتهن حسناوات الولايات الأمريكية للتحدة كلها .. ثم سائر حسناوات العالم ..

لقد كانت صورة رودلف كثيراً ماتشاهد بين طيات الكتب والكراريس في مدارس البنات .. كانت صورته كثيراً ماتشاهد في الإطارات المعدنية فوق (التسريحة) في غرف ملايين النساء في جميع أنحاء العالم .. بل لقد كانت صاحبات الملايين يزرن هوليوود لمجرد الأمل في مقابلة رودلف .. وكانت أسعد لحظة بالنسبة لمن تعجز عن

مقابلته هي اللحظة التي تقف فيها وراء أسوار حديقته لتختلس النظرات إليه وهو يسبح في حمام السباحة بحديقة داره . . .
والواقع أن رودلف فالتينو كان من أكمل الشباب جسماً فضلاً عن قسَم وجه تلتقي فيها ملاح الرجولة الباكِرة بحلاوة السمات .. ولعل زودلف فالتينو كان أول من أرسل سِوَالف شعره على النحو الذي يصطنعه الآن (الحذافس) لكنه لم يكن يرسل بقية شعره مثلهم احتفاظاً منه بمظاهر الرجولة الكاملة .. وكان هذا الفتى أنيقاً إنفاقة طبيعية لكن إنفاقه كانت إنفاقة خشنة لا نعومة فيها .. تماماً كالأدوار السينمائية التي كان يمثلها .. لقد كان في تمثيله مثال الرجل الحشن الذي لا يفعل الحشونة . كما يصنع الممثلون الآن ، لكنه يمارسها وكأنه يمارس فناً من فنون الجمال ..

لقد مثل رودلف فالتينو ثلاثة أفلام كبار .. لم تتسع حياته لأكثر منها .. فقد مات بعدها وهو في عز الصبا والشباب حتى تكمل الأسطورة .. لكن هذه الأفلام الثلاثة كان لا يقل عرض الواحد منها في أى بلد من بلاد العالم عن مائة يوم .. مائة يوم مليئة بتأوهات انفتيات من نظارة هذه الأفلام ، وكان يريد رودلف من النظارة محتاج إلى مجموعة من السكرتيرين لا إلى سكرتير واحد .. ومن الطرائف أن بعض الحسان كن يرشبن سكرتيريه ليقدم إليه خطابتهن حيث لم يكن يستطيع أن يطلع على واحد في الألف من هذه الخطابات .

ورودلف فالتينو هو أول نجم سينمى تقام له التماثيل في مدينة

السينما .. لأن عشيقاته قد اكتتب في إقامة هذه التماثيل .. وهو أول .. وأظن أنه آخر ، معبود نساء ترى المجتمعات النسائية العاشقة أنه شركة بينهن .. لعل لنسب في هذه العاطفة المشتركة أنه كان معبود النساء في الخيال .. فلم تكن له عشيقة بذاتها .. ولهذا الخيال استمر هذا العشق له بعد مماته أيضاً .. فألفت عشيقاته ، بالاشتراك مع بعض الفنانين والفنانات ، الجمعيات التي تحمل إسم فالتينو .. وقد قرأت إسم هذه الجمعيات منذ سنوات قليلة بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على وفاته .. وفي هذه المناسبة اكتشف محررو مجلات السينما أن حبه لا يزال مقيماً في قلوب بعضهم حتى الآن .

لقد تحول اسم فالتينو من إسم شخص إلى رمز على الحب والجمال .. فكانت نجمة مسرح ريسيس في القاهرة الثلاثينيات السيدة زينب صدقي تصف كل ما أو من هو محبوب أو جميل بأنه (فالتينو خالص) .. وأول ما أطلقت هذه الصفة في شارع الفن بالقاهرة ، وهو شارع عماد الدين ، أطلقت على نجم مسرح ريسيس إذ ذاك للرحوم أحمد علام الذي صار تقيماً للممثلين فيما بعد .

إِنقَازَ مَا يُمْكِنُ إِنقَازَهُ

أعترف أنني حين قدمت حرف (الذال) قد أخطأت المهجاء ..
 فالأصح لغة أن تقول حرف (الذاي) وها أنا أكرر هذا الخطأ في
 حرف (الزال) فالأصح لغة أن تقول حرف (الزاي) .. لكن من
 هذا الذي يستطيع أن يدعى المعرفة بكل الخطأ وكل الصواب في لغتنا
 العظيمة .. إن الصحيح في رأي بعض الفقهاء قد يكون خطأ في رأي
 البعض الآخر .. والعكس صحيح ...

حرف الزال

زيور :

أحد ساسة العشرينات كان يحاول تطبيق هذه النظرية اللغوية في
 دنيا السياسة وهذا السياسي هو أحمد زيور « باشا » الذي قبل تشكيل
 الوزارة في ظرف من أسوأ الظروف السياسية التي مرت بها البلاد ..
 كان هذا في أخريات سنة ١٩٢٤ .. في أعقاب استقالة سعد زغلول من
 الحكم أثر الإنذار البريطاني الذي وجهه للنندوب السامي البريطاني
 اللورد اللتي إلى سعد زغلول بمناسبة مقتل سيرلي ستاك « سردار »
 الجيش المصري وحاكم السودان إذ ذاك .. وقد وضع زيور لسياسة
 وزارته شعاراً هو « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » . وكان هذا « الإنقاذ »
 هو تنفيذ كل ما جاء في الإنذار البريطاني ..

كان زيور باشا « يسوق الهبالة على الشيطنة » فيقول إنه وزير « إدارى » وليس سياسياً . . . وقيم الدليل على هذا بدعوة لتأخيرين إلى استفتاء جديد لتشكيل برلمان جديد دون أن يتدخل كثيراً في حرية الانتخابات . فلما جاءت الانتخابات برلمان له صورة طبق الأصل من برلمان سنة ١٩٢٤ أصدر زيور مرسوماً بحل هذا البرلمان في يوم افتتاحه . . ثم غطى هذا الخطأ بأنه ليس إلا رجلاً يمهّد لقيام وزارة أخرى ترضى عنها كل الجهات . . وبالفعل جاءت هذه الوزارة برئاسة تروت وبموافقة سعد وتشكيل ائتلافى من الأحزاب جميعاً . .

هل كان هذا كله عملاً إدارياً ؟ . . الواقع أنه كان عملاً فى صميم السياسة التى كانت ترسم لزيور باشا فينفذها حق على نفسه . . ولهذا وصفه عبد العزيز البشرى بقوله « خطوه وزيراً فأنحط » .

زكى :

فى أرشيفى الذهبى ثلاثة باسم « زكى » ؟

أولهم زكى أبو السعود باشا ، وكان رجلاً من تشكيلة زيور باشا . . فعين غضب الملك فؤاد على عبد العزيز فهمى « باشا » وكان يشغل منصب وزير العدل ، لأنه رفض فصل الأستاذ على عبد الرزاق من القضاء بد ظيور كتابه « الإسلام وأصول الحكم » - . . وحين رفض عبد العزيز فهمى أن يستقيل من الوزارة لأنه خالف إرادة الملك — عين الملك أحمد على باشا ثم زكى أبو السعود باشا وزيراً للعدل دون إقالة عبد العزيز فهمى . . !

و ذات صباح ذهب عبد العزيز فهمى إلى الوزارة فوجد الوزير
الجديد فى مكتبه .. فقال له : بما أننى لا أستطيع مبارزتك ، فليس
أمامى إلا أن أنسحب ..

ثانيهم أحمد زكى « باشا » صاحب « المكتبة الزكية » التى نقلها
فى حياته من بيته فى الجيزة إلى قبة النورى لتكون مكتبة عامة .. لقد
كان لأحمد زكى باشا لقب شعبى غير لقبه الرسمى .. هو لقب « شيخ
العروبة » وقد أطلق عليه هذا اللقب أصدقاء من البلاد العربية الشقيقة
فاقرن باسمه حتى كان اسمه لا يذكر فى صحفنا إلا مقترناً بهذا اللقب .

وترجع هذه التسمية إلى أن زكى باشا بعد أن أحيل إلى التقاعد
فى العشرينات من منصب السكرتير الدائم لمجلس الوزراء قد وضع
مخطوطاً واسعاً للوحدة الفكرية بين المثقفين العرب ، وكانت مقالاته
الكثيرة على صفحات الإهرام تدور حول هذا المخطط ، كما كان بيته
على شاطئ النيل بالجيزة مقراً لاجتماعات الوافدين على القاهرة من
البلاد الشقيقة .. تقام لهم فيه الحفلات وتقدّم لهم .. كان زكى
باشا رجلاً غير ذى ولد ، فكان ينفق كل دخله فى هذا الأسلوب
من الحياة .

أما ثالثهم فهو الدكتور زكى مبارك .. وزكى مبارك هو آخر
من حصلوا على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة فى سنة
١٩٢٤ ، وأول من اشتغل معيداً ثم مدرساً فى الجامعة المصرية الجديدة
بعد قيامها فى سنة ١٩٢٦ ..

كان زكى مبارك يريد أن يكون طه حسين آخر .. فقد نشأ
أزهرياً مثله ، وتعلم اللغة الفرنسية في المدارس الليلية ، وسافر إلى
فرنسا — على نفقة — ليحصل على الدكتوراه من باريس .. ولما
كانت هذه الدكتوراه الباريسية ليست نتيجة بعثة فقد تقدم إلى جامعة
القاهرة وهو يعمل بهامدرساً ، للحصول على الدكتوراه منها .. ثلاث
شهادات دكتوراه حصل عليها زكى مبارك في أقل من عشر سنين ..
ولهذا كان يسمى نفسه « الدكاترة زكى مبارك » .

أقول سم نفسه .. لأنه كان أجراً كاتب جامعي يكتب للناس
في أعماق نفسه دون نخرج ..

لقد فصله الدكتور طه حسين بوصفه عميد كلية الآداب من الجامعة
بسبب تهوره في موقف جامعي ، فكتب في جريدة « البلاغ » يقول :
« يوم لا أجد طعاماً لأبنائى فسأشوى لهم لحم الدكتور طه حسين » ..
ولما اشتدت حملته في الصحف على طه وأبدى الدكتور طه أسفه لأن
يكون هذا الأسلوب أسلوباً لأحد (تلاميذه) رد زكى مبارك قائلاً :
« هذا — يا أستاذى — بعض ما علمتى » .

كان زكى مبارك رجلاً عجيباً حقاً ، وأكثر من أعجب به العراقيون
فعينوه أستاذاً للأدب العربى في جامعة بغداد .. لكن حينه إلى
الصحافة المصرية قد عاد به إلى القاهرة ليكتب كل يوم .. ثلاثة أعمدة
في جريدة « البلاغ » .. كان كاتباً سيال انقلم .. يكتب بسهولة عجيبة ..
وليس أدل على هذه السيوالة من كتابه عن « الشعراى » .. لقد كتب

عن صاحب هذه الشخصية فقط مجلدين يكاد يبلغ مجموع صفحاتهما ألف صفحة ..

لقد كان زكي مبارك يبدو كواحد من عتاة أدباء العرب القدامى هرب من الماضي بكل كنوزه ، لا إلى عصره فقط .. بل إلى ما بعد عصره أيضاً . كان يعيش الأدب كما يكتبه ويكتب الأدب كما يعيشه إلى آخر يوم في حياته ، وكان يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ .

زين :

لقد اشتهر زكي مبارك في حياته بأنه كاتب ، لكنه كان يرى أنه شاعر ، وله قصيدة بعنوان « مصر الجديدة » كان يمدتي عنها دائماً بأنه قد نظمها « لينحدي بها كل شعراء العالم » .. ولم يكن زكي مبارك يحسب حساب أحد من شعراء عصره فيما عدا الشيخ أحمد الزين .

لقد عملاً معاً في دار الكتب فترة ، فكانت مناظرتهم في الشعر حديث الدار كلها .

كان أحمد الزين ثاني اثنين في الماضي أعفيا من الكشف الطبي عند التوظيف ، أما الأول فهو ، الطبع ، أستاذنا طه حسين .. ومع هذا فقد كان الشيخ الزين يشتم في دار الكتب مراجعاً .. ولعله كان أكفأ للمراجعين .

ولقد كان الشيخ الزين .. الكفيف .. في مقدمة الذين تاروا على الزى التقليدي للأزهريين .. ليلبس للاباس الأورية ، وتأتق فيها رغم دخله المحدود ، لكنك ما كنت تسمعه يتحدث حتى تشعر بأزهريته

لقد كانت أية ندوة للشعر لا يشترك فيها الزين تعتبر ناقصة ، فقد كان شاعراً من طراز قديم ممتاز .

إن أحمد الزين كان أحد أعضاء انشلائي اثنائي بين شعراء العشرينات والثلاثينيات فكما كان يقال : « شوقي وجافظ ومطران » كان يقال أيضاً : « الكاشف ومحرم والزين » . ومع هذا كله فقد غدا الزين في المنسبين . . . !

زينة :

من الكلمات الزائفة التي قل الآن تداولها كلمة « زينة » .. لقد كانت كلمة زينة تعني في الماضي أشياء غير ما تعنيه الآن .. إنها الآن تنسحب على التزين الذي تسميه السيدات « تواليت » بينما هي في الثالث الأول من القرن العشرين كانت تعني مظاهر الأبهة التي كانت تحيط بالقصر الملكي الذي كان من قبل قصراً سلطانياً ، وكان من قبل قصراً خديوياً ..

وكانت هذه « الزينة » تتألف من سرية من سرايا الحرس « تزدان » بأثواب مزركشة وملونة .. وكانت هذه السرية أحياناً من جنود « السواري » — أي راكبي الخيل وأحياناً من « البيادة » أي المشاة ..

وعند الساعة العاشرة صباحاً تخرج هذه السرية من ثكنات الحرس بميدان عابدين لتقف أمام القصر في طابور تحية للملك أو السلطان أو الخديوى ، بمناسبة استيقاظه من النوم في هذه الساعة ، ثم تظل موسيقاها تعزف الألحان الشجية على آلاتها النحاسية ثلاثين

دقيقة بمعدل لحن كل عشر دقائق ، وبشرط ألا يتكرر عزف لحن منها إلا في الأسبوع التالي أو الذى يليه . . .

وكانت هذه العملية تتكرر بصورة أخرى عند ما يعترم الملك أو السلطان أو الحديو الخروج من قصر عابدين إلى أى جهة أخرى ، وهو ما لم يكن يحدث كل يوم .. وكان الجمهور يعرف من طريقة اصطفااف هذه السرية ومن طريقة استعداد موسيقاها للعزف — ما إذا كانت تستعد لمجرد تجمية للصباح أو هى تستعد لتحية « الملك » بمناسبة خروجه ..

ولهذا ألف شعراء الشعب بروحهم الساخرة المعروفة فى الماضى البعيد زجلا كان يردده الناس فى مجالسهم الخاصة ضاحكين .. وكان هذا الزجل يقول « أفندينا دخل الزينة .. ضربوا له سلام بالمزيك » .. وكنا ونحن أطفال نردد هذا الكلام على أنغام « السلام للملكى » ..

زواج :

وبمناسبة « الزينة » لست أظن أن الناس كانوا يتزينون فى الماضى — كما كانوا يتزينون للزواج .. لم تكن زينة الزواج فى الماضى قلصرة على العروسين .. بل لقد كانت الثياب الجديدة تصنع لكل أفراد الأسرتين المتصاهرتين .. وكان من المألوف بين « بنات الذوات » أن تسمع من إحداهن قولها « هذا الفستان فصلته على فرح فلان أو فلانة » ..

أما زينات حفلات الزوجية فكانت شيئاً هائلا .. أذكر أن إحدى قريباتى قد تزوجت فى طفولتى وهى من سكان ضاحية حلوان ، فإذا

بالعريس يقيم معالم الزينات في جميع شوارع حلوان ابتداء من المحطة إلى الجبل .. وإذا بالموسيقى تعزف في كل هذه الشوارع .. لماذا لست أدري .. ١٩

لقد اخترع الإنسان مخترعات لا حصر لها ابتداء من الحجريين الذين كان يستخدمهما لإشعال النار إلى القنبلة الهيدروجينية إلى الأقمار الصناعية إلى مراكب الفضاء .. بعض هذه المخترعات قد اختفى في طي الأزمان .. وبعضها تطور .. وبعضها تغير . أما الاختراع الوحيد الذي لم يتغير قط ولم يختلف أشكاله ، فهو اختراع الزواج .. إن الزواج هو أول اختراع عرفه الإنسان منذ عشرات الألوف من السنين .. ربما أكثر وربما أقل .. فكل ما كان قبل « الزواج » من متطلبات الفرائز كان مكتشفات . أما تنظيم غريزة الحياة بنظام اسمه « الزواج » فهذا يعتبر اختراعاً .. هو الاختراع الخالد الذي لم ينجح أى بديل له حتى الآن ..

وليس من شك أن الإنسان كان ملهماً في هذا الاختراع .. ذلك أن الزواج هو الذى يجمع بين أسباب الحب والحنان والأبوة والأمومة وتنازع البقاء وبناء الأسرة وبناء المجتمع والحض على الحرب والدعوة للسلام والسعى فى سبيل الرزق وارتفاع هذا السعى إلى مستوى العبادة .. والجرأة فى الدفاع عن البيت .. والبيت هو الوطن .. والحذر من تعريض أهل البيت للمهاك .. والتفكير فى وضع الميزانيات والتفلسف فى إرساء قواعد الترية واعتبار الأخلاق ضرورة ومحاربة الفساد ضرورة أخرى .

تصور عالماً ليست فيه هذه المعاني ؟ .. ولولا اختراع الزواج لما كانت هذه المعاني كلها بالصورة للغروسة في فقاوسنا وضمائرنا وعقائدنا .
وبع هذا كله ، فلزواج قيد لكنه القيد الذي تجبه للمرأة ، وحب الرجل للمرأة غريزة تقود الرجل إلى هذا القيد سواء أراد أو لم يرد .
لقد فكر الإنسان في اختراع بديل عن الزواج .. وكان للفكر دائماً هو الرجل لأن المرأة لا تفكر فيما لا يجدى ، وقد كان تفكير الرجال في هذا البديل لا يجدى دائماً وأقصى ما استطاع أن يقوله الرجل عن الزواج على لسان أحد الفلاسفة هو « أن الزواج شر لا بد منه » .. أو هو بمعنى آخر الخير الذي يثاب عليه المرء رغم أنه ..



سين وصيم

حرفان لا يمكن أن تخلو منهما حياة إنسان : س ، ج . . لقد
 اشتهر حرف السين بأنه « سؤال » وحرف « الجيم » بأنه « جواب »
 وقد أخذت هذه الشهرة طابعاً رسمياً معمولاً به بحكم القانون . .
 فأى قاض أو محقق إذا وجه لأى إنسان سؤالاً فى أى تحقيق قال
 « س » . . فإذا أجاب للمستؤل عن سؤال المحقق قال : « ج » . .
 وتحقيق الناس مع الناس ليس قاصراً على جهات القضاء . . إنه تحقيق
 متواصل فى الحياة اليومية داخل البيوت وخارجها فأنت تسأل الطفل
 فى سنته الثانية عن إمام أبيه . والمدرس يسأل التلاميذ عن دروسهم
 والامتحانات تسمى أسئلة ، وما يقول التلاميذ فيها يسمى أجوبة .

وأنت حين تحب وتتقدم لخطبة من تحبها كان لا بد من الأسئلة . .
 بل المحبة والزوجة لا تستثنى يوماً واحداً بلا أسئلة لمن تحبه أو
 تزوجه ، والزوج أيضاً له أسئلة لا تنبى زوجته وأولاده . . وحتى
 حينما يصل الناس إلى مراكز الصدارة فإن الصحفيين يلاحقونهم
 بالأسئلة لينشروا ما يحصلون عليه من إجاباتهم . . فالسين والجيم
 يقومان بدور « البوهرات » التى لا تخلو منها أى طعام . . أحياناً
 تكون هذه التوابل حلوة وأحياناً تكون مرة للذاق .

حرف السين

سهنورى :

اسم السهنورى هو الاسم السينى الذى يشغل حيزاً خاصاً فى بارشيفى
الذهنى والسهنورى مثل من أمثال العصامية . . لقد توظف بشهادة
البكالوريا ، أى الثانوية العامة ودرس « الحقوق » وهو موظف ،
فكان فى مقدمة الفائزين بشهادة اليسانس ، ولم يكتف باليسانس
فحصل على الدكتوراه من الخارج وأصبح الكاتب الصغير فى أحد
للمرافق أستاذاً فى القانون .

لم أعاصر ، أنا ، هذه الفترة ، فالسهنورى من الجيل السابق .
علينا ، لكننى عاصرت لثقة التى أراد فيها وزير المعارف — أى
التربية والتعليم — أن يعين الدكتور السهنورى وكيلاً للوزارة ، فلما
لم يستطع عينه سكرتيراً عاماً للوزارة . . وكانت هذه هى الخطوة الأولى
لثى تحولت بالسهنورى من كرسى الأستاذية إلى كرسى المناصب الإدارية
إذ ما لبث أن عين وكيل وزارة فوزيراً للمعارف . . وكان مجلس
الدولة قد بدأ يتبوأ مكانه فى أنظمة الدولة ، فرؤى أن أنسب من يتولى
رئاسة هذا المجلس هو السهنورى .

وإذا كان منصب الوزارة لم يظهر كل مواهب السهنورى — فإن
هذه المواهب قد ظهرت فى مجلس الدولة . . ظهرت هذه المواهب إلى
لدرجة لثى أمارت عليه القصر الملكى فى الماضى فطالب القصر الحكومة

بأحد أمرين : إما إلغاء مجلس الدولة ، وإما الاستغناء عن خدمات السنهورى . . وكانت الثانية أيسر سبيلا . . لكنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ عاد إلى رئاسة مجلس الدولة . . إلى أن أحيل إلى التقاعد . .

لكن . . هل تقاعد السنهورى ؟ . . أو هل يمكن للذهنية النابضة أن تتقاعد ؟ الذى حدث أن السنهورى قد ندب لوضع الدساتير فى أكثر من بلد عربى . . ثم عاد إلى بلده ليحول تقاعده ، رغم تقدم السن وتأخر الصحة ، إلى بحوث فقهية .

سيد :

حينما كان السنهورى وزيراً كان لى صديق يشغل وظيفة سكرتير للوزير . . الصديق هو سيد نوفل .

لقد أخرج نوفل فى كلية الآداب سنة ١٩٣٥ وأختير لتفوقه كى يكون أميناً لمكتبة من مكتبات الجامعة ، لكنه كان يتجه بطبيعة ميوله من قبل إلى الصحافة الأدبية بالذات . . فكم من الصفحات الأدبية كتبها نوفل أو أشرف عليها فى الصحف . . لكن الإنسان لا يصنع قدره . . فقد اختاره الدكتور هيكل « باشا » لى يكون سكرتيره فى وزارة المعارف — وزارة للتربية والتعليم — سنة ١٩٣٨ . . وترك هيكل الوزارة ، لكن الوزراء الذين تعاقبوا من بعده كانوا حريصين على وجود نوفل فى مكاتبهم بالرغم من أن معظمهم كان يعلم أن لهذا الشاب آراء تختلف عن آراء . . وهذا هو سر سيد نوفل .

لقد كان دائماً رجل العمل الذى يعرف مسؤولياته جيداً ولم يكن يتخطى هذه المسؤوليات إلا إلى ما هو أفضل .

كل الوزراء الذين عمل معهم سيد نوفل سكرتيراً ثم مديراً لمكاتبهم كانوا يرون فى هذا الشاب عقلاً يرتب لهم أعمالهم ، لا التى ستعمل اليوم ، بل والتى ستعمل غداً ، وكانت له من ثقافته قدرة خاصة على أن يريح وزيره من عداد البيانات أو الخطب أو التصريحات الصحفية . . لقد بلغ من كفاءته فى هذه الناحية أن كان وزيره يفوضه فى تصحيح كلام الوزير نفسه .

ولقد شغل سيد لعدة سنين منصب مدير مكتب رئيس مجلس الشيوخ ، فإذا بهذه الملكة الأدبية فى مراجعة كل أعمال المجلس تؤهله لأن يكون فى نفس الوقت مدير الإدارة التشريعية فى هذا المجلس . . إنها وظيفة تحتاج إلى رجل قانون ، لكن توفر نوفل على دراسة عمله جعله يفوق رجال القانون فى القيام بمهام هذه الوظيفة . . فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وشكلت أول لجنة لوضع الدستور اختارت هذه اللجنة سيد سكرتيراً عاماً لها .

هذه النزعة الدراسية فى حياة هذا الرجل التى جعلته يحصل على شهادتى الماجستير والدكتوراه وهو المسئول عن مكتب الوزير الذى يحمل أعمال المكتب أو الوزارة معه لينجزها فى بيته . ومع هذا فإن هذه الأعمال لم تستطع أن تعطل المسيرة الذهنية فى حياة نوفل وهى المسيرة التى حصل فيها على هاتين الشهادتين ، وأهله لأن يكون مؤلفاً ومحاضراً ممتازاً فى أكثر من معهد رغم الشواغل الجمة التى كانت تلاحقه فى عمله دائماً .

ومنذ سبعة عشر عاماً عين الدكتور سيد نوفل مديراً للإدارة التشريعية بجامعة الدول العربية ، ثم خلا منصب الأمين العام للمساعد للجامعة ، وهو من المناصب التي تحتفظ بها الجامعة العربية للدبلوماسيين البارزين من مختلف الدول العربية .. لكن كفاءة هذا الرجل الذي كان يشغل وظيفة مدير الإدارة التشريعية قد حققت له إجماع مجلس الجامعة على أن يشغل منصب الأمين العام للمساعد .. ومنذ تولى سيد نوفل هذا المنصب وهناك إحساس بأن دماً جديداً قد ظهر في هذا المكان .. وخاصة حين مثل نوفل الجامعة العربية في الدورة العشرين للأمم المتحدة .

حرف الشين

شعراء :

إن نشاط سيد نوفل الأدبي ، إلى جانب نشاطه العملي ، يذكرني دائماً بالشعر .. فقد كان موضوع أول كتاب أخرجته هو « شعر الطبيعة » وقد أحرز بهذا الكتاب درجة الماجستير بتفوق ، لأنه نجح في معارضة القائلين إن الشعر العربي القديم لم يتغلغل في أوصاف الطبيعة كالشعر في اللغات الأجنبية الحديثة .

وبهذه المناسبة أذكر أن هناك خطأ شائعاً في المجالات الأدبية للعاصرة حول الشعر .. بعض الأدباء المحدثين يحسبون أن الشعر للرسائل الذي يزحف في هذه الأيام شيء جديد ، وهذا غير صحيح ، فإن الشعر للرسائل قد ظهر في مصر منذ أكثر من أربعين عاماً ،

والضجة التي تقوم حوله الآن ليست إلا مصغراً للضجة التي ظهرت حوله في الثلاثينيات .. كان النقاد في الثلاثينيات يسمونه « الشعر المنثور » . والشعر المنثور ليس صناعة مصرية في نشأته .. إن أول من اهتم به حديثاً هم الأدباء اللبنانيين ، وخاصة منهم أدباء المهجر ، وفي مقدمتهم جبران خليل جبران ، وله في هذا اللون من الشعر عدة دواوين ، ربما كان أشهرها ديوان « اللواكب والكواكب والدرر » الذي ظهر في العشرينات وكانت الأدبية التابعة « مى » في حها لجبران خليل جبران تصنع مثل ما صنع في كتابه الشعر المنثور .. ولقد ظهر في القاهرة إذ ذاك أدباء شبان شكلوا منذ عشرات السنين مدرسة الشعر المنثور ، ولعل في مقدمتهم الأستاذ حسين عفيف القاضى والأستاذ على مراد وقد أحيلا منذ فترة قصيرة إلى التقاعد .

لقد كانت للشعر دولة في مصر ، وبخاصة في العشرين سنة الثانية من عشرات القرن العشرين .. وكان من مظاهر هذه « الدولة » أن كان من بين وظائف الديوان الملكي وظيفة تسمى « شاعر صاحب الجلالة للملك » وكان يشغل هذه الوظيفة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفي (بك) .. ثم كانت هناك الألقاب التي تمنحها الصحافة للشعراء فشوقي كان أمير الشعراء ، وحافظ إبراهيم شاعر النيل ، وخليل مطران شاعر القطرين ، وراعى شاعر الشباب . . . الخ .

ولقد كان من أسلوب العصر أن يراعى الحفلات السياسية كانت لا تخلوا مطلقاً من الشعر .. ففي كل حفلة سياسية من حفلات حزب الوفد كان لابد من قصيدة للعقاد .. ولما اشدت الخلاف بين الحزب

الوطني وبين الوفد أقام الوفديون حفلة تكريم للعقاد ونادوا به أميراً للشعراء ، وكان الذي أعلن هذا النداء في الحفلة هو أستاذنا الدكتور طه حسين ومعنى هذا أن الشعر كان يخوض المعارك السياسية بحرارة ..

وكانت لدولة الشعر نوادرها .. بل وكان لها شهداؤها .. ومن أطرف نوادر الشعراء أن أبلغ شعراء البؤس المرحوم عبد الحميد الديب كان يمتدح بقصائده إبراهيم دسوقي أباطه « باشا » الذي أنشأ في بيته « رابطة أدباء العروبة » وقد نسي دسوقي أباطة يوماً أن يكافيء الديب على إحدى قصائده ، فإذا بالديب يعبر عن ضيقة لهذا النسيان بقصيدة هجاء لدسوقي من عشرة أبيات وسمع دسوقي بهذه القصيدة وأعجبه بلاغتها فبعث في طلب الديب وقدم له بعدد أبياتها جنهات رغم أنها في هجوه .. وما إن رأى الديب ، وربما لأول مرة ، الجنهات العشرة حتى قال للوزير .. « تسمح أكمل القصيدة يا باشا ؟ » .

ومن طرائفهم أيضاً أن الشاعر محمد مصطفى حمام قد ألف قصيدة في الشكوى من حال مؤذنى المساجد ، وفي حفلة بدار دسوقي أباطة — وكان وزيراً للأوقاف — وقف حمام فآلتي هذه القصيدة على طريقة أذان المؤذنين ، وكان مطلعها : « ياوزير الأوقاف نسألك الإنصاف » .

أما شهيد الشعر الذي رأيت استشهاده فكان الشاعر الكبير علي الجارم .. كانت هناك حفلة بقاعة الجمعية الجغرافية أعد لها قصيدة ،

وفي يوم الحفلة مرض ، لكنه أصر على حضور الحفلة ، ثم زاد عليه التعب فوكل إلى ابنه إلقاء هذه القصيدة .. وبينما كان الابن يلقي قصيدة أبيه إذا بالآب يسلم الروح وهو يردد الأيات التي كان ولده يلقيها .

شهادة :

وبمناسبة الاستشهاد أذكر أن مصر قد رأت عن الاستشهاد ألواناً منذ سنة ١١١٩ حتى الآن .. وكان أعجب هذه الألوان استشهاد الشباب في سبيل العلم .. ففي أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ضاق عدد من الطلاب بالدراسة في مصر ، فسافروا معاً إلى ألمانيا لاستكمال دراستهم .. وفي ألمانيا لحقهم ما كان ينتظرهم من الاستشهاد في مصر ، لكن بأسلوب آخر .. فبينما كان القطار يحملهم من بلد إلى بلد في ألمانيا — إذا به يصطدم بقطار آخر ، فأصيب كل من فيه ، واختار القدر أن يكون الطلاب المصريين هم أصحاب الإصابات القاتلة .. وأطلق عليهم اسم شهداء العلم .

.. وكما في تاريخ مصر من أجداد في الاستشهاد .

صحافة لغة الضاد

الصاد هو أحب الحروف وأقربها إلى الصحفيين .. فن الصاد تبدأ مادة « صحافة » .. و « الصحافة » كلمة جديدة في اللغة العربية لا يزيد عمرها على مائة عام .. وقبل المائة عام كانت الصحف تسمى « غازيته » ثم تطورت كلمة « غازيته » إلى كلمة جريدة .. وكان الصحفي يسمى « جرائدى » وظلت هذه التسمية شائعة في بلاد الغرب العربى إلى منتصف القرن العشرين .. ثم ظهرت كلمة صحافة وانتشرت وأصبح لها مدلول معين يعرفه الناس جميعاً .

وكان من رأى الصحفي العظيم الدكتور محمود عزمى أول من رأس معهد الصحافة العالى فى مصر — كان من رأيه أن العمل الصحفي يسمى « التصحيف » والتصحيف فى اللغة العربية يعنى تفسير الألفاظ .. ومن طرائف اللغة أيضاً أن « الصحفي » هو الذى يأخذ العلم من الصحف بمعناها الأصلية الذى جاء فى القرآن بقوله « فيها صحف قيمة » والواقع أن الصحفيين القدامى كان الجانب الغالب على ثقافتهم ناتجاً عن اطلاعهم قبل أن توجد معاهد الصحافة .. ثم أصبح الصحفي هو الذى يعطى ما يعلم للناس فى صحفه .. ومع هذا فإن الصحفي الذى « لا يأخذ العلم من الصحف » كما تقول قواميس اللغة ، يعتبر صحفياً غير متطور كائى صاحب دهنه لا يطلع على ماجد فيها من مؤلفات .

حرف الصاد

صالح :

أول من عرفت من الصحفيين باسم « صالح » هو « صالح جودت » عرفته وهو طالب بكلية التجارة .. وحين قدمه الأصدقاء إلى حسبه طالباً ، أو متخرجاً ، في كلية الآداب .. لقد كان يتحدث إلينا بآيات من الشعر حسبتها لأول وهلة « مقتبسة » من دواوين كبار الشعراء إلى أن قرأت شعره في بعض المجلات ، فأمّنت بأنه قائلها — لقد كان ناشئة الأدب على عهد صبا نأيدنون بالأدب من الاقتصاد في تحرّكاتهم لمقاطعة البضاعة الأجنبية ودعوتهم إلى تشجيع البضاعة الوطنية .. أما صالح جودت فكان يدنوا باقتصادياته من الآداب .

و حين تخرج صالح كان الإقبال على خريجي كلية التجارة عظيماً من المؤسسات الاقتصادية الجديدة ، ولكن صالحاً فضل على كل الدواوين ديواناً من الشعر ينظمه ثم يخرج به للناس .. ولقد ربط الشعر بين صالح جودت وأهل الفن .. وفجأة ظهر بين صفوف شعراء الأغاني . على أن شعر الأغاني قبل جيلي لم يكن مورداً للعيش فكان ولا بد لهذا للشاعر الشاب أن يعمل وهو مصمم على ألا يعمل بالمحاسبة التي يثرى العاملون فيها .. ومن هنا عرف طريقه إلى الصحافة .

دخل صالح جودت الصحافة من باب دار الهلال ، ولا يزال يعمل بها حتى أصبح أحد نجومها الأوائل لكن .. هل استطاع أن يحصر

شهرته في عمله الصحفي : .. كلا إن صالح جودت حتى بعد أن وصل إلى الصفوف الأولى بين زملائه الصحفيين لا يزال محسوباً في نظر الناس على عالم الشعر والشعراء .

إن هذا الزميل لم يستطع أن يتخلص مرة من سلوب حياته كشاعر .. فنذ بضع سنين قام برحلة صحفية إلى أمريكا ، وعاد فكتب عن هذه الرحلة كأحسن وألح ما يكتب في الرحلات الصحفية .. لكنه ما كاد ينظم في هذا المجال قصيدة واحدة حتى غطى شعره على كل ما كتب ..

لقد عرفت في دنيا الصحافة صالحاً آخر غير صالح جودت .. هو صالح البنساي الذي احتفلت جريدة الأهرام ، منذ سنين يلوغه أربعين سنة من العمل المتواصل فيها .. إنه من الصحفيين القلائل جداً الذين يتركز تاريخ حياتهم في صحيفة واحدة .. وهو بهذه الصفة كان شيخ الأهرام الذي تروح وتجيء عليه العهود والشخصيات وهو في مكانه لا يتغير وليس شك أن أغزر مرحلة في حياته الصحفية هي للرحلة التي كان فيها أنطون الجميل رئيساً لتحرير الأهرام .. إن أنطون هو الذي اكتشف صالح فاتخذة أميناً لسره ، وأعد له غرفة صغيرة تتجاوز غرفة رئيس التحرير ، وكانت هذه الغرفة الصغيرة تتسع لمن تضيق بهم ندوة أنطون الجميل . أي أن جريدة الأهرام في الماضي كانت ذات ندوتين ندوة أنطون الجميل ، وملحقها في ندوة صالح البنساي .. وهي الندوة التي وثقت الملاقاة بين صالح وبين عدد من كبار

الشخصيات .. وعلى أساس هذا التوثيق كانت الأهرام تندب صالحاً لكل المهام الصحفية في القصر الملكي ..

وهنا تعرض صالح لمشكلة .. ذلك أن هذه المهمة لا بد فيها من ثياب رسمية ، والثياب الرسمية لها أبعاد لا تتفق مع حجم صالح الذي يسمى حجم « الكارت بوستال » . لكن صالح نجح في تفصيل هذه الثياب على حجمه إلى الدرجة التي جعلت أناقته فيها تلفت الأنظار ..

في هذا الجو حصل صالح البهنساوي في سنة ١٩٥١ على لقب البيسكوية .. لكن صالح « بك » لم ينس قط أنه « مندوب » يجري وراء الخبر .. وبهذه الروح نجح صالح بعد قيام العهد الجديد .

إن صالح البهنساوي الذي تلقاه فتلقى المرح بكل فنونه لا يغفل عن واجب قط .. لقد أجرينا ذات مرة إحصاء عن الزملاء الذين يسارعون إلى تعزية زملائهم في أي مصاب فإذا باسم صالح البهنساوي يتقدم الجميع ..

وصالح البهنساوي هو أول من فكر في تنفيذ مشروع القصصات الصحفية .. حين اكتشف صالح قلة اهتمام مجتمعنا بهذه القصصات اتخذ من مشروعه خدمة خاصة يؤديها لزملائه مجاملة لهم في المناسبات التي تتصل بأشخاصهم .. وشيء صحفي جديد آخر فقهه صالح هو إنشاء جريدة أسبوعية متخصصة في سباق الخيل .. وكان اسمها « شيخ الصحافة » ولعل القدر قد ربط بين اسم هذه الجريدة وبين

صاحبها الذى كان شيخ الندوين الصحفيين فى مرحلة من أغنى مراحل الصحافة المصرية ..

حرف الضاد

ضمير :

فى جيل الصحافة الماضى لم يكن فى الصحافة العربية كلها -حرف أشهر من حرف الضاد لقد كان هذا الحرف وحده عنواناً على اللغة العربية كلها .. كان الصحفيون والأدباء بل والسياسيون إذا أشاروا إلى اللغة باعتبارها مقوماً من مقومات الوحدة العربية وصنوا هذه اللغة بأنها (لغة الضاد) .

كنا ونحن طلاباً أو صحفيين مبتدئين أينما ذهبنا لنستمع إلى خطباء العروبة الذين ينادون بالوحدة العربية لا بد أن نسمع كلمة « لغة الضاد » وكلما قرأنا مقالاً عن الوحدة العربية كان لا بد أن نجد فيه أكثر من مرة كلمة « لغة الضاد » .

يد أن الصحفيين والأدباء القدامى كانوا مقشعين بأنه يستحيل على غير العرب أن ينطقوا بحرف الضاد .. ويبدو أن هذا الاقتناع قد تضاعف مع زيادة الاتصالات بين العرب وبين شعوب أخرى كثيرة .

أما على عهدنا فقد حلت كلمة ضادية أخرى محل « لغة الضاد » . فى الأوساط الصحفية

هذه الكلمة هى « الضمير الصحفى » فبمد أن أصبحت الصحافة فى البلاد العربية كياناً قومياً وعلماً له آداب تقن وأصول تدرس ظهرت

كلمة « الضمير الصحفي » باعتبارها صفة للمسؤولية الصحفية التي تعددت في وصفها الواوأنح والقوانين والمواثيق والكتب وآخرها بالعربية كتاب « أزمة الضمير الصحفي » للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة العميد السابق لقسم الصحافة بجامعة القاهرة وجامعة بغداد وجامعة أم درمان .

ضجة

ومن أشهر الكلمات الضادية في الصحافة العربية في الماضي كلمة « ضربني وبكى وسبقني واشتكي » لقد كانت هذه العبارة من أشهر العبارات في الصحافة العربية من خلال تعليقاتها على موقف إسرائيل في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات .. كان أسلوبها العدوان فإذا رددنا عدوانها هرعنا إلى مجلس الأمن شاكية كأننا نحن المعتدون وهأت صحافتها في الخارج بالعويل .. وكان من أشهر الكلمات الصحفية في الماضي كلمة « ضجة » فقل إن كان وصف الجلسات البرلمانية يخلو من هذه الكلمة .. ومن أطرف النكت السياسية بهذه المناسبة أن بعض رجال الريف قد عاب على عضو في البرلمان صمته على طول جلسات المجلس .. قال لهم العضو لا بد أنكم لا تقرأون مضابط الجلسات فرد أحدهم بقوله هاهي المضبطة أهأنا ، فأين أنت مما ورد فيها .. وهنا قاب العضو صفحات المضبطة إلى أن عثر على كلمة « ضجة » فقال لهم : أنا هنا ..

حياة كل حرف بحياته

مظلوم حرف الطاء ، فيه كلمة « طماع » وقد جرى العرف على أن الطماع إنسان سيء ، مع أن « الطمع » في اللغة هو الأمل في الحصول على شيء .. لكن « الأمل » كلمة محبوبة جداً ، بينما « الطمع » كلمة بغیضة جداً .. وبحرف الطاء تبدأ « كلمة طمعية » وهي أشهر وأبهى طعام شعبي مصري لكن العرف جرى على اعتبار « الطمعية » طعاماً فارغاً ، مع أن الطعام « الطعم » بضم الطاء هو في اللغة الطعام للشبع .. وكأن للظالم تحفزهم للظلمين كذلك نجد أن أغاب الذين تبدأ أسمائهم بحرف الطاء — مثل الطائي — يتحدثون للآلوف ويخرجون عليه إلى ما يرفع شأنهم .

حرف الطاء

طه :

إن أول دليل حي يحقق هذا المعنى نجده في أستاذنا الدكتور طه حسين — فإنا من إنسان مصري في القرن العشرين يتحدث كل شيء كما يتحدث طه .. يتحدث طبيعة الأشياء حين صار من الكتاب وهو لا يملك الجهاز الطبيعي للكتابة ، يتحدث القوانين الوضعية حين دخل وظائف الحكومة وهو لا يستطيع مواجهة (القويسيون الطبي) .. يتحدث للآلوف حين دخل الوزارة .. وحين دخل الوزارة يتحدث للعرف

أيضاً ، فهو لم يدخلها لتبعيته إلى حزب من الأحزاب أو لجماعة من الجماعات ، إنما دخل الوزارة لأنه طه حسين .

وتبدأ قصة حياة طه حسين في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ يوم مولده .. وكتابه الأيام يصنف المرحلة الأولى من حياته بما يفنى عن الإشارة إليها .. لكنه لم يشر إلى أنه كان أول من حصل على دكتوراه الآداب من مصر .

فقد كانت الجامعة المصرية التي أنشأها الشعب في سنة ١٩٠٨ قد فتحت أبوابها للشباب من مختلف معاهد التعليم ، فافتتح بافتتاحها باب عريض لشباب الأزهر الذين شخصت أفكارهم إلى التعليم المدني ، وكان في مقدمتهم الطالب الأزهرى طه حسين .

وحصل الطالب طه حسين على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية القديمة ، لكنه لم يرح قاعات الدرس فاضطر الجامعة إلى تنظيم قسم الدكتوراه الذي لم يدخله سواه .. وفي سنة ١٩١٤ ثوقش رسالة الطالب طه حسين وموضوعها (ذكرى أبي العلاء) . وحصل بهذه الرسالة الضخمة على أولى شهادات الدكتوراه في الآداب من مصر .

وكانت الجامعة قد أوفدت بعض طلبة الليسانس في بعثات إلى الخارج .. فلم يكن طبعياً أن يحظى بالبعثة حامل الليسانس ولا يحظى بها حامل الدكتوراه .. وهكذا أوفد طه حسين في بعثة لدراسة الآداب في جامعة السوربون ، بينما كانت بعثات زملائه الذين سبقوه إلى جامعات أخرى ليست لها كل وجهة السوربون .

وجاءت الأخبار من باريس بأن مبعوث الجامعة طه حسن قد ظهرت عليه ملامح تجديد وصفه شيوخ الجامعة القديمة بأنه جنوح إلى الإلحاد ، فأرسلت الجامعة في استدعائه إلى القاهرة تمهيداً لإلغاء بعثته بحجة أنه ليس بحاجة إلى الدكتوراه بعد أن حصل عليها من القاهرة .. وفي هذه الأثناء ، في سنة ١٩١٥ بالذات ، كانت قد ظهرت في القاهرة جريدة أسبوعية اسمها (السفور) . وكانت هذه الجريدة منتدى شباب المثقفين الجدد فالضم إليهم ، ونشر على صفحات هذه الجريدة سلسلة من المقالات في نقد الجامعة . وأخذ يفتن في وصف شيوخها .. كيفيك في هذا الوصف أنه قال عن شيخهم أنه كان يدخل قاعة المحاضرات في الجامعة متأبطاً الجهل .. ! !

.. وأثارت مقالات الشاب طه حسين ضجة حول الجامعة كان يمكن أن تنطور إلى خطر عليها لولا أن عبد الحالق ثروت (باشا) بوصفه مقنن الجامعة المصرية القديمة قد أفتى بأن إلغاء بعثة الطالب طه حسين يعتبر خطأ قانونياً .. وأعيد طه حسين لمواصلة بعثته ودراسته في باريس .

عاد طه حسين من البعثة بعد حصوله على درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف ، من جامعة السوربون لينضم إلى صفوف الأساتذة في كلية الفلسفة والآداب بالجامعة المصرية القديمة ، وحدد مرتبه الشهري بأربعين جنيهاً ، وأربعمائة قبل سنة ١٩٢٠ كانت ثروته .. لكن كفاءة طه حسين ونشاطه وشهرته المبكرة قد فتحت أمامه أبواب أعمال أخرى ، وفي مقدمتها القيام بصفحة الأدب في جريدة السياسة نظير سبعين جنيهاً في كل شهر ..

في نهاية سنة ١٩٢٥ صدر المرسوم بتحويل الجامعة المصرية القديمة وكانت أهلية ، إلى جامعة تنشأ الدولة . . وقد عرض هذا المرسوم أساتذة الجامعة القديمة لتتابع عدة ، إذ بدأت الدولة تقيم شهادتهم ، ورواتبهم ، وما يستحقون من درجات على أساس هذا التقييم — إلا طه حسين فقد استثنى من هذا كله ، ونص في قرار تنظيم الجامعة بإعفاء الدكتور طه حسين من كل هذه العمليات التي تقتضيها لوائح الحكومة . . وكان طه حسين هو أول أستاذ أدب في كلية الآداب بالجامعة التي سموها يومئذ (جامعة فؤاد) .

لكن فؤاد الملك حين ذهب ليفتح المباني الجديدة للجامعة في سنة ١٩٣٣ بمناسبة الاحتفال الجامعي بمرور ربع قرن على إنشاء هذه الجامعة شعبيا — وحين رأى الملك فيمن رآهم من الأساتذة الدكتور طه حسين — التفت إلى وزير التعليم الذي كان يرافقه في هذه الزيارة ، وهو حلمي عيسى باشا ، قائلا : ألا يزال هذا الرجل هنا ؟ .. وخرج طه حسين من الجامعة .

خرج طه حسين من الجامعة ليدعم عددا من الصحف بمقالاته السياسية بعد أن أصبح خصما سياسيا للحكومة .. لكن الحكومة ما إن تغيرت بعد قليل حتى عاد طه حسين عميدا لكلية الآداب . ومرة أخرى فصل طه حسين من الجامعة لكنه عاد بعد قليل مديرا لجامعة اسکندرية ، وكان اسمها جامعة فاروق .

ومرة ثالثة فصل طه حسين من الجامعة ، لكنه عاد مع بداية سنة ١٩٥٠ وزيرا للمعارف ..

هذه هي خلاصة قصة التجدي في حياة طه حسين .. أما بقية القصة فيعرفها كل السكاتين وكل القارئ على السواء .

طلعت

رجل آخر يبدأ اسمه بحرف الطاء ، لكن حياته كانت سلسلة من التحديات ، هذا الرجل هو طلعت حرب .. وقد لا يعرف كثيرون أن ثقافة طلعت حرب قانونية ، فهو خريج مدرسة الحقوق التي صارت كلية الحقوق ، ولم يكن علم الاقتصاد جزءاً من دراسة الحقوق قبل مطلع القرن العشرين عندما تخرج طلعت حرب ، ومع هذا فقد كان طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادي في الماضي .

كيف حدث هذا ؟؟

لقد اختتمت طلعت حرب فيمن وقع عليهم الاختيار لتصفية (الدائرة السنية) عند تصفية أملاك الخديو السابق اسماعيل .. وبينما كان الشاب طلعت حرب يمارس هذا العمل أحس بكل المظالم التي كانت تقع على كاهل الفلاح . فالفلاح كان مضطراً إلى الاستدانة ليسد ما عليه من أقساط الإيجارات ، والذين يسلفونه كانوا يهودا يعرفون جيداً كيف يحسبون الحسابات المركبة على الفلاح ، وتكون النتيجة أن رأسمال الفلاح سواء كان سهماً أو قيراطاً أو فدانا على الأكثر معرض للضياع في كل الأحوال ..

أحس طلعت حرب بأن لاضمان للفلاح في هذه الحالة إلا بوجود مصرف وطني يجبر الفلاحين وينقذهم من الضياع لكن نداء طلعت حرب بهذه الفكرة في مشرق القرن العشرين كان مصيره الضياع .

كانت البنوك في مصر كلها أجنبية ، والحقيقة أن غالبيتها كانت يهودية ، وكانت اليهودية الصهيونية تعمل من وراء الستار في هذه البنوك لإضعاف قوى الفلاحين العرب من شدة الحاجة .. وكان الأثرياء والسراة ، وهم غافلون عن هذه الحقيقة ، مقتنعين بأن الأعمال المصرفية صناعة أجنبية يهودية لا يمكن لها أن تتمصر .. لقد بلغ من عنف الدعاية الاستعمارية الصهيونية في هذا المجال ظهور فكرة تبدو الآن مضحكة ، هي أن حسابات البنوك لا يمكن أن تكتب باللغة العربية .. !!

فإذا يصنع طلعت حرب إزاء هذا السيل من الأوهام الباطلة ؟

اعتمد على نفسه بالاشتراك مع صديق حميم له من أسرة «سلطان» وأنشأ شركة مالية باسم (شركة التضامن المالي) هي المعروفة فيما بعد باسم التضامن المالي .. وقد لا يعرف كثيرون أن هذا البنك كان شركة صغيرة رأسمالها آحاد الآلاف من الجنيهات، وأنها أسست سنة ١٩٠٧.

انحصر جهد طلعت حرب في هذه الشركة سنين - إلى أن انعقد (المؤتمر المصري) في سنة ١٩١١ فوقف فيه خطيباً يعرض فكرة إنشاء بنك مصري ، واستطاع بالبحث العلمي الذي قدمه للمؤتمر أن يقنع الحاضرين .. وسارت الخطى التمهيدية لإنشاء البنك في شئ من التعثر ، وقامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فتضت على هذا المشروع فيما قضت عليه من المشاريع الوطنية .

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٩١٨ وأعقبها قيام ثورة سنة ١٩١٩ اقتبس طلعت حرب من الأحاسيس الوطنية قبسا

يضىء به فكرة البنك المصرى .. وفى هذه المرة نجح ، وأعلن قيام
بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ .

على أن هذا النجاح كانت تسببه الدهوع — فقد رفض كثرة
الأغنياء للمساهمة فى تأسيس البنك خوفاً على أموالهم من الضياع . .
ورفض الساسة تشجيع فكرة البنك خوفاً من تفتيت جهود الأمة
فى طاب الاستقلال السياسى .. لكن طلعت حرب لجأ إلى الشباب . .
إلى الطلبة .. وقسم قيمة السهم الواحد من أسهم البنك للعروضة إلى
الاكتتاب لأربعة أقسام كل قسم ثلثه جنيه واحد ليستطيع أى فرد
عادى أن يكتتب .. أما أسهم التأسيس التى تقدر بربع رأس مال البنك
وقيمتها عشرون ألف جنيه فقط ، فتدفعها طلعت حرب هو وستة
من أصدقائه تألفت منهم الجمعية التأسيسية لبنك مصر .. هذا البنك
الذى خطط فيما بعد طريق اقتصاديات مصر من خلال تسع عشرة
شركة أنشأها طلعت حرب فى الوقت الذى كانت فيه مصر لاتزال
محتلة ..

وكانت هذه هى قصة التحدى فى حياة طلعت حرب ، وقد
قوبل هذا التحدى فى النهاية بتحد مضاد .. فبعد هذا كله قررت
تنحية طلعت حرب من إدارة بنك مصر سنة ١٩٣٩ بحجة أنه كان
يعطى سلفيات كبيرة لبعض الأسر بلا ضمانات كافية وكان رد طلعت
حرب أنه بهذه السلفيات كان يدوس أعضاء الأسر التى فقدت ثروتها
فى الجهاد الوطنى ، وأنه يضمن سداد هذه السلف بوطنيتهم ..

— ٩٤ —

يومئذ سخر وامنه .. لكن الأيام أثبتت صحة نظريته ، فإذا بكل هؤلاء قد ردوا للبنك ماله عليهم .. وأقامت البلاد لطلعت حرب التماثيل ..

طاهر :

لعل الذين يحملون إسم (طاهر) هم أكثر الناص الذين تبدأ أسمائهم بحرف الطاء .. وأشهر اسم (طاهر) وهو طاهر (باشا) الذى كان يتطاع لأن يكون والياً على مصر لولا تفوق محمد على .. وقد خلف طاهر (باشا) أسرة كبيرة فى مصر كان من أبنائها فى الماضى الفنان التشكيلى الشهير صلاح طاهر ومن أبنائها فى الحاضر عادل طاهر وكيل وزارة السياحة .

لكن أقسى من قست على شهرته الأيام من أصحاب إسم (طاهر) هو للرحوم طاهر لاشين .

كان طاهر لاشين مهندساً ومدير أعمال فى وزارة الرى ، لكنه كان معروفاً بأنه قصاص .. لقد كانت قصص طاهر لاشين تقف جنباً إلى جنب مع قصص محمود تيمور ومن قبله محمد تيمور ، ومن قبلهما محمود عزمى وحسين فوزى .. إن طاهر لاشين أحد الرواد الأول فى كتابة القصة القصيرة ، وله فى هذا المجال أكثر من كتاب .. لكن هذا كله قد جار عليه النسيان مع أن بعض أقاصيصه أفضل من بعض أقاصيص الذين اشتهر من قبله ومن بعده .

هل هذا حظ ؟ .. لست أدرى ..

العلم بالاضحاك

فجأة خاتني الأرشيف في حرف (الظاء) . . لم أجد في خانة
 هذا الحرف شيئاً يذكر من الأسماء . . وفجأة اكتشفت أن هذا
 الحرف حرف عنيد ، لا يمكن تركيبه مع ثلثي الأحرف الهجائية .
 وكدت أُلجأ إلى اللهجة العراقية التي ينطقون بها الضاد ظاء . .
 فإخواننا العراقيين يقولون « ظجة » بدلاً من « ضجة » . . لكنني
 خشيت أن يختلط الأمر على القراء . . ثم كدت أن أتجاوز عن
 هذا الحرف العنيد . . وأعددت بالفعل الأسباب التي أنخطئ بها
 هذا الحرف . . فهو حرف « الظلم » وحرف « الظمأ » وكلها
 مسميات لا تفتح شهية كاتب ولا قارئ . . وفجأة وقع نظري على
 كتاب في المرأة للمرحوم عبد العزيز البشري التي تتألف فصوله من
 المقالات التي كان ينشرها البشري على الصفحة الأولى بجريدة السياسة
 الأسبوعية ليقدم في كل مقال شخصية من شخصيات عصره بأسلوب
 متمتع تستطيع أن تسميه أسلوب السكاريكاتير في الأدب .

فعندما جاء دور الشيخ رشيد رضا في مقالاته (في المرأة)
 وصفه البشري بقوله (لقد ثقل حتى خف) . . يعني أن هناك شيئاً
 زاد عن حده فإنقلب إلى ضده كما تقول الأمثال العربية . . وفجأة
 أحسست أن هذا الوصف ينطبق تماماً على حرف الظاء . . لهذا
 الحرف العنيد الذي تبدأ به كلمات معنة في القسوة هو نفسه الحرف
 الذي تبدأ به كلمة (الظرف) بفتح على الظاء في الفصحى وبضمه

على الظاء فى العامة ، وهى كلمة تنى خفة الظل والروح وإشاعة
النكتة والفكاهة بين الناس إلى الدرجة التى تدمر عنهم .

حرف الظاء

ظرفاء بالقول :

وهنا تذكرت أننى نشأت فى حبل اشهر بنخبة من الظرفاء
الذين هونوا على أنفسهم وعلى أنفس غيرهم الكثير من الأزمات ،
بما فيها أزمات الحرب والسياسة وكان ظرفهم مادة معنوية لإزالة
الصدأ عن هذه النفوس كى يستطيع الناس أن يستقبلوا ما هم فيه من
جد بروح تملؤها البسمات .

لقد مررنا بمرحلة : لعامها مرحلة العشرين الثانية من عشرات
القرن العشرين ، أى بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ - كان الأدب والظرف
فيها قوايين . . لقد كان الأدباء الظرفاء هم الأغلبية فى هذه المرحلة
وأذكر من هذه الأغلبية ، حافظ إبراهيم وإمام العبد ، والبشرى
ورامى وحمام .

وكان الشاعر : حافظ إبراهيم فى شبابه وبوهيمته الأدبية رقيقاً
دائماً للشاعر إمام العبد . . كانا يتكسبان بالشعر الشئ التليل ،
وقد اتفقا على أن يقتسما كل ما يصل إلى يد أحدهما . . وذات مرة
سمع إمام العبد أن حافظ يقول أنه هو الذى خلق شاعرية إمام العبد
فعمزت عليه نفسه واختصم حافظ اختصاصاً ترتب عليه وقف إقتسام

(الأرياح) . . ولم يدم هذا الحصار إلا شهراً ، وتشاء المقادير أن يصيب إمام العبد في هذا الشهر مبلغاً وفيراً من المال بينما كانت الضائقة تكاد تخنق حافظاً . . فذهب إصاحته إمام العبد وبعد أن تصافيا قال لصاحبه (هات نصيبي مما أعطاك الله) فإذا بصاحبه يقول له منين (يا مولاي . . كما خلقتني) .

وكان الأستاذ عبد العزيز البشري : قاضياً بمحكمة مصر للشرعية وإتدبته المحكة للنظر في قضايا محكمة حلوان يومين كل أسبوع ، فاستأجر بحلوان شقة صغيرة يبيت فيها ليلة واحدة في الأسبوع . وهي إقامة لم تكن تشكل حاجة إلى تأنيث هذه الشقة إلا بالقليل . ولكن أحد اللصوص كان قد سمع براء الشيخ البشري ، وظن أن هذا الثراء ينعكس على موجودات مسكنه في حلوان . فتسلق إلى هذا المسكن ليدخله من نافذة المطبخ حيث لم يجد في هذا المطبخ شيئاً . . وأحس الشيخ بحركات اللص فنهض من فراشه واتجه إلى الحائط ليعطيها وجهه معطياً ظهره لمن يقتحم الغرفة . فلما افتحتها اللص أدهشه موقف الشيخ الذي لا يدير إليه وجهه ولا ينطق بكلمة ، ولو كلمة إستغاثة . واستغرب اللص هذا الموقف ، وقرر أن يحسم أمره بمخاطبة الشيخ مباشرة . . قال له : — ياسيدنا الشيخ ألم تشعر بأن في مسكنك غريباً ؟ . . قال نعم . . قال اللص ألم تتصور أن هذا الغريب لا يد وأن يكون لصاً قال نعم . قال اللص فما بالك تقف هكذا دون حركة ؟ قال الشيخ : لأنني مكسوف منك يا ابني .

وكانت النكتة لا تبرح الشاعر أحمد رامى في شبابه وحتى

حين كان مدرساً كان يخاطب تلاميذه بهذه الروح للرحمة .. ذات مرة ظل يشير إلى إسم بلد على الخريطة وأنا لا أرى هذا الإسم ، وبعد أن أعيته الحيل معى قال لى (ياواد إنت لازم عينك فوق حواجيك)

وذات مرة كانت السيدة أم كلثوم عائدة من رحلة إلى لندن والذي يجري معها حواراً حول مشاهداتها هناك وهو يلوك بعض الكلمات برطانة انجليزية أثارَت ضحكنا .. وأخيراً قال المذيع (والآن تسمعون كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم) فرد عليه المرحوم الشاعر محمد مصطفى حمام بقوله : غلطان .. الآن تسمعون مس لى أم كلثوم ، وأم كلثوم نفسها التى نسميها الآن (سيدة الغناء) كانت معروفة بأنها (سيدة النكتة) ... ذات مرة فى إحدى الحفلات تقدم إليها باشا عجوز يسير فى شىء إلى الإختناء بفعل السنين كى يأخذ بذراعها ، إلى صدر الحفلة .. فتقدم منها المرحوم الدكتور محجوب ثابت وكان هو الآخر منحنى الكتفين ، ليأخذ بذراعها الأخرى ، فنظرت إليهما أم كلثوم قائلة : « أيوه يادكتور بشأن أمشى بين قوسين » .

ظرفاء بالفعل :

على أن الظرفاء فى الماضى لم يكونوا كلهم ظرفاء الكلمة فقط .. لقد كان هناك ظرفاء التحركات أيضاً وكان على رأس هذا الفريق المرحوم حفى محمود (باشا) وزميلنا المرحوم كامل الشناوى والشاعر محمد مصطفى حمام وغيرهم ..

كان حسن صبرى (باشا) الذى صار رئيساً للوزراء فى أوائل

الأربعينيات وأسلم الروح وهو يلقي خطبة الافتتاح في مجلس النواب — كان يرى قبل هذا أن الوزارة قد تأخرت عليه (فزملأؤه وأقرانه جميعاً صاروا وزراء) وهو لم يكن قد دخل الوزارة بعد وكان هذا الرأي يسبب له قلقاً نفسياً كلما بدا في الأفق تشكيل وزارى جديد .. وقد علم حفى محمود بهذا السر الخاص لحسن صبرى ، فانتهاز فرصة تشكيل الوزارة التى يشكلها شقيقه محمد محمود (باشا) فى أول يناير سنة ١٩٣٨ وذهب إلى منزل حسن صبرى قائلاً له إن أخاه قد كلفه بأن يستدعيه لمقابلته فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم بداره . ألح حسن صبرى على حفى محمود لمعرفة السبب فى هذا الاستدعاء لكن حفى قال لا أدرى .. وفتح حسن صبرى صحف اليوم ، فلم منها أن رئيس الوزراء الجديد سيجتمع بالوزراء الجدد فى نفس الساعة التى حددها له حفى استعداداً للتوجه معاً إلى القصر لحلف اليمين الدستورية فاعتقد أنه مدعو للانضمام إلى التشكيل الوزارى وإذا به يرتدى بذلة الردنجوت ويذهب فى الموعد المحدد إلى دار محمد محمود .

والذى لم يكن يعلمه حسن صبرى أن محمد محمود لم يكن يطيقه ، لا شكلاً ولا موضوعاً .. فأن نزل محمد محمود إلى الطابق الأول من داره ليلتقى بوزرائه وما أن رأى بينهم للرحوم حسن صبرى حتى علا وجهه العبوس وهو يقول الوزراء فقط يفضلون بالحقاق بى إلى غرفة المكتب . . وهنا أدرك حسن صبرى أن كلمة (فقط) هذه تعنى استثناءه ، فراجع إلى الوراق مرتبكا ، بينما كان حفى ومن معه يجلسون فى الغرفة للمقابلة لهذا المشهد وهم يكتمون الضحكات . .

كان حفي محمود قاسياً في ظرفه وأرق منه في (المقلب الظريفة)
 كامل الشناوى تلقى كامل الشناوى ذات يوم من أيام شهر
 رمضان .. وكان وقتئذ أحد محررى الأهرام — عتاباً من زميله في
 الجريدة الشيخ العسكرى بعد أن سمع بولائم بيت الشناوى في شهر
 رمضان .. كان الشيخ العسكرى رجلاً يحب الوفرة والأناقة والثراء
 في الطعام وفي كل شيء وكان كامل يعرف عنه هذا السر فوجدها
 فرصة لأن يوجه إليه الدعوة لتناول الإفطار في يوم الجمعة المقبل . .
 كان أحياء الشيخ العسكرى كثيرين ، والراغبون منهم في دعوته إلى
 الإفطار في رمضان كثيرين .. لكن كما حدد له أحدهم موعداً لهذه
 الدعوة يوم الجمعة المقبل اعتذر قائلاً : هذا يوم محجوز لوليمة كبرى
 عند آل الشناوى .

وفي اليوم المحدد ذهب الشيخ العسكرى إلى بيت الشناوى . .
 وجلس الإتمان حول المائدة ساعة أذان المغرب وما أن انطلق مدفع
 الإفطار حتى نادى كامل على خادمه ليأتى بالحساء .. ضحك الشيخ
 العسكرى قائلاً : إحساء بالضأن أم بالدجاج ؟؟ ووضع الخادم أطباق
 الحساء وعلى كل منهم غطاء وما أن رفع الشيخ العسكرى غطاء طبقه
 حتى وجده عدساً . .

وضحك الشيخ العسكرى قائلاً (ظريفة دى يا كامل حتى ندخر
 وسعنا للأصناف الأخرى) .. لكن ما كاد الإتمان يفرغان من تناول
 الحساء حتى نادى كاملاً على خادمه قائلاً : (الحلو يا ولد) . . وكذب

الشيخ العسكري أذنيه لكنه لم يستطع تكذيب عينيه وهو يرى
الخدام يضع أمم كل منهما طبقاً من أطباق البالوطة .

قال الشيخ العسكري : (أأتم تأكلون البالوطة في أول الطعام ؟ ..) .

قال كامل : (بل في آخره .. إيه أنت لسه ماشبعتش ؟ ..)
وضحك الظريفان ...

كان الشاعر حمام أبعد ظرفاً من هذين الظرفين ، لكنه كان
أكثر رقة .. وكان حمام يعلم أن طلعت حرب (باشا) مغرم بالتواشيح
والألحان للموسيقية القديمة .. كان يحفظ الكثير منها .. سماعاً وغناء ..
ف ذات يوم دخل حمام على طلعت حرب يبشرة بأنه قد اكتشف
توشيحاً قديماً لم يسمع به من قبل .. وأنه قد (ربط) موسيقاه مع
الأخوين عثمان ، وكان من للموسيقين .. فطرد طلعت حرب ليلته
يستقبل فيها حماماً وصاحبه للاستماع إلى هذا التوشيح في داره .

وفي للوعد المحدد أقبل ثلاثتهم وهم يحملون أعواد للموسيقى .. وكان
طلعت حرب قد دعا بعض أصدقائه للاستماع معه إلى هذا الاكتشاف
للموسيقى الجديد .. وجلس الثلاثة .. وأصلحوا أوتار أعوادهم ..
وبعد مقدمة (ياليل ياعين) التي كانت تبدأ بها الحفلات للموسيقية بدعوا
يغنون التوشيح المزعوم .. وكان أكثر الحاضرين تحمساً لما يسمعه منهم
رجل اسمه (بدر بك) .

كانوا يغنون أغنية ألّفها حمام لهذا الغرض وهي تبدأ بقولهم :

— ١٠٢ —

(يا لالا بنا نساfer قلوب) .. وظل ثلاثهم يرددون هذا المقطع
بمختلف النغم عشرات المرات ، وطلعت حرب وأضيافه يهزون
رءوسهم طرباً وإعجاباً .. وفجأة انتقلوا إلى الشرطة الثانية ، فإذا بهم
يقولون (يا بدر وشك بالقلوب) ..
وقبل أن تنزل عصا طلعت حرب على رءوسهم كانوا قد أطلقوا
سيقانهم للريح ..



قصة من كفر المصباح

لست أظن أن في لغة من اللغات حرفاً كحرف (العين) يحمل في نقطة معنى أعز الحواس على الناس ، فالعين في تكوين الإنسان هي أول نافذة يطل منها على الوجود .. ولقد كانت (العين) هي فاتحة الغناء في الموسيقى العربية لأجيال طويلة حيث كان الغناء العربي يبدأ دائماً (يا عين يا ليل فسكان العين هي التي تواجه الليل بالنهار ..

حرف العين

عبد العزيز :

لست أعرف في رجال التاريخ الحديث الذي يبدأ من سنة ١٩١٩ رجالا كعبد العزيز فهمي ، وعبد العزيز فهمي هو ثالث ثلاثة واجهوا في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ .. تمرد بريطانيا في مصر مطالبين بالغناء الحماية ورد حرية المصريين إليهم .. وبالرغم من شهرة عبد العزيز فهمي فقليلون جداً هم الذين يعرفون أنه التوأم الروحي لأستاذ الأجيال أحمد لطفي السيد ..

كانا زميلين .. لكن لطفي السيد قد سبق عبد العزيز بسنتين من سنى العمر ، وسبقه بسنتين في التخرج من مدرسة الحقوق فلما تخرج عبد العزيز فهمي اتجه مباشرة إلى مكتب لطفي السيد المحامي ليؤلفاً أول شركة في مكاتب الحمامة .. فلما ترك لطفي الحمامة وظائف النيابة العامة

— ١٠٤ —

استقل عبد العزيز فهمى بمكتبهما وحده .. وظل يصعد مدارج المحاماة حتى غدا نقيباً للمحامين .. وكان عبد العزيز فهمى هو النقيب الثانى فى تاريخ نقابة المحامين .. أما النقيب الأول فهو ابراهيم الهلباوى .. وقد اختير عبد العزيز فهمى لمزاملة سعد زغلول وعلى شعراوى فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بوصفه نقيباً للمحامين الى جانب صفته كزعيم من زعماء الجمعية التشريعية .

إن أبناء الجيل الأسبق يقولون أن عبد العزيز فهمى كان صاحب للعقلية الأولى بين أولئك الثلاثة .. لكن عقليته كانت عقلية العالم للفتن ، بينما كانت عقلية سعد زغلول عقلية الزعيم للتوئب ومن هنا كانت له الرئاسة ..

ولقد تولى عبد العزيز فهمى منصب الوزراء ، فكان فى عصره ، من أعجب الوزراء سلوكاً .

يوم عين وزيراً لأول مرة وجد ياب داره التى لم تتغير بضاحية مصر الجديدة سيارة منتظرة ، هى سيارة الوزارة . فصرقها قائلاً لسانتها : إنى أملك سيارة فكان أول وزير فى مصر يعالج مشكلة السيارات الحكومية .. فلما ألحوا عليه باستعمال سيارة الوزارة باعتبارها من تقاليد للنصب صار ينفق فى الخدمات العامة بالقدر الذى كانت تكلفه هذه السيارة .

إن عبد العزيز فهمى قد خلق لكى يكون قاضياً .. وحتى حين كان محامياً كان يدرس القضايا بعقلية قاض عظيم .. لقد روى لى

الشاعر العظيم خليل مطران — وكان من أصدقاء عبد العزيز فهمى — أنه لجأ إليه للدفاع في قضية أيتام ضاع حقهم أمام المحكمة الابتدائية وكان هذا الحق يقدر بستة عشر ألف مليم .. ومع هذا فقد قدروا اتباعاً للمحامى الذى يدفع عنهم أربعمئة جنيه حملها .. مطران إلى عبد العزيز فأبى أن يلمسها قبل أن يدرس القضية ..

وترك مطران ملف القضية أمام عبد العزيز فهمى المحامى . وذهب إلى سهرته — وبينما كان فى طريق عودته من السهرة فى الواحدة صباحاً . وقد تصادف أن كان طريق العودة ماراً بالمبنى الذى يقع فيه مكتب عبد العزيز — فإذا به يلمح النور مضاء فى مكتبه فلما صعد إليه رآه متكباً على دراسة ملف القضية ما يزال .. وما أن رأى مطران أمامه حتى قال له : لقد قبلت إقامة هذه الدعوى ..

وحاول مطران أن يعيد عليه الكلام فى « أتعابه » لكنه رده عن هذه المحاولة قائلاً : دع هذا إلى أن تكسب الدعوى .. وكسب الدعوى ..

فلما حصلوا على هذا المبلغ قال عبد العزيز فهمى لمطران : دعهم يستمتعوا بهذا المبلغ كاملاً ولكن أتعابى « هدية لهم » .. كان هذا هو سلوك عبد العزيز فهمى بل كان هذا هو عبد العزيز فهمى نفسه .. فلما أنشأت محكمة النقض منذ أربعين عاماً أو تزيد كان تعيين عبد العزيز فهمى رئيساً لها محل الإعجاب .. لكن هذا التعيين كان أيضاً محل الاستغراب ..

ذلك أن عبد العزيز فهمى هو الذى خاصم الملك فؤاد عندما كان

وزير العدل من قبل على كتاب الشيخ على عبد الرازق .. ورفض أن
يفصل الشيخ على من القضاء كما كان للملك يريد . لكن عبد العزيز فهمي
كان قد شغل من بعد منصب رئيس محكمة الاستئناف وما أن سمع بأن
بعض أعضاء البرلمان يتناقشون حول مرتبه حتى استقال لأنه كان يرى
أن ضمير القاضي لا يطاوعه على أن يجلس مجلس القضاء وهناك من
يشكك في مستحقاته . وأحسن الملك فؤاد أنه أمام رجل غير عادي ،
فتناسى له موقفه من مسألة الشيخ على عبد الرازق وعينه رئيساً لمحكمة
النقض . وما أن سارت أعمال هذه المحكمة وسرت في الأوساط
القانونية أحكام عبد العزيز فهمي فيها حتى أطلقوا عليه لقب
قاضي القضاء .

لقد كان عبد العزيز فهمي وارث الضياع للزرعة في بلده .
كفر للصليحة رجلاً زاهداً .. توفيت زوجته وهو دون الأربعين فلم
يتزوج بعدها .. عرضت عليه الناصب الوزارية فرفضها أكثر من مرة
.. انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين فاشتراط ألا تزيد مدة
رياسته على تسعة أشهر .. أنعم عليه بأكبر قلادة في الدولة بمناسبة
الذكرى الخامسة والعشرين لقيام ثورة سنة ١٩١٩ فقال لندوب الملك
وماذا أصنع بهذه القلادة ..

وأذكر أنه قال لي يومئذ في شجاعة عجيبية وهو دون السبعين من
عمره : يا بني لقد حان وقت القطاف . وأنا أنقل هنا تعبيرة حرفياً عن
استعداده بالإيمان القوى للملاقاة ربه . وليس معنى هذا أن عبد العزيز
فهمي كان ملاكاً . لقد أخطأ — كما يخطئ كل البشر — مرتين :

مرة حين قال «إن الدستور ثوب فضفاض» وكان يقصد أنه الثوب الأكبر .. ومرة أخرى حين اقترح كتابة حروف الهجاء العربية باللغة اللاتينية وكان يقصد التيسير على الإعلام المصرى فى الخارج .. لكن الإنصاف يقتضى أن نذكر له إزاء هذين الموقفين موقفه فى لجنة الدستور سنق ١٩٢٢ . ١٩٢٣ أن مناقشاته فى هذه اللجنة حول حقوق الشعب إزاء ما كان يسمى باسم حقوق العرش ، كانت قمة من قمم الشجاعة الديمقراطية .. ثم موقفه فى مجمع اللغة العربية حين عين عضواً به إزاء الهجوم على هذا المجمع .

وفوق هذا كله فإن عبد العزيز فهمى « فلاح » كفر المصلحة العظيم هو الذى قضى فى بلدته على الأمية والبطالة فكانت القرية الوحيدة فى مصر التى خلت من العطل والأمية بفضل مثالية عبد العزيز فهمى فى الخدمة العامة .



تاريخ ثلاث مصاصات

تبدو الحروف وكأنها كائنات حية يجرى عليها ما يجري على سائر الكائنات من الحظوظ .. ومن حظوظ الإنسان أن يشتهر حيناً وأن تنطفئ شهرته حيناً ، وكذلك حظوظ الحروف فحرف — الغين — كان إلى ما قبل سنة ١٩٣٩ حرفاً تقليدياً كسائر الحروف الهجائية التي يكمل بعضها بعضاً في الكلمات العادية .. لكن هذا الحرف قد قفز فجأة في سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلى الصف الأول من الحروف التي تتركب منها الكلمات الجديدة التي أصابت الشهرة .. فبقيام الحرب العالمية الثانية أصبحت — تداول في كل يوم كلمة — غارة — وكلمة — الجنرال غورو — وكلمة — مبادئ غاريبالدي — ومنذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ونحن نردد كل يوم اسم مدينة — غزة — .. وهكذا ظهرت على السطح غالبية — وغالبية نفسها كلمة غائبة — غالبية الكلمات التي تبدأ بحرف الغين والتي كانت قليلة الاستعمال من قبل فأصبحت محلاً للاستعمال اليوم .

حرف الغين

غائ :

كانت الكلمات الغائبة في الماضي غالبية لأنها قليلة التداول ، أو هكذا ظن الناس .. ولقد قابلت هذه القلة كثرة اختيار اسم

« غالى » عند إخواننا الأقباط .. وافتد ظهر من هذه الكثرة ثلاث
اشتهرت أسماءهم بين الناس .. وكان أولهم بطرس غالى — باشا —
وحوالى سنة ١٩١٠ حدثت أشياء أثارت غضب المواطنين منها موافقة
رئيس الوزراء بطرس غالى على سياسة الإنجليز فى السودان .. ومنها
صدور قانون المطبوعات المقيّد لحرية الكلمة — ومنها قبول الوزارة
لمناقشة طلب شركة قناة السويس بمد امتيازها إلى مائة عام .

فى جو هذا الغضب وجدت جمعية سرية لمقاومة هذه المشروعات
بالسلاح وانتدبت الجمعية الشاب ابراهيم الوردانى لينفذ حكمها فى بطرس
غالى — باشا — رئيس الوزراء وذهب الوردانى ذات صباح إلى دار
رئاسة الوزارة بلاظوغلى ، ووقف فى انتظاره .. فإ أن ظهر
بطرس غالى حتى أطلق عليه الوردانى ثلاث رصاصات أردته قتيلًا ،
وكان الوردانى يردد على دسمعه أن هذه الرصاصة من أجل حرية
الصحافة ، وهذه الرصاصة من أجل قناة السويس إلخ ..

ولم يفر الوردانى .. ولم يعترف على أحد من شركائه ، وكانت
محاکمته وثبات جأشه فيها ، إلى جانب صباه وضعف صحته ، مما أحرق
به القلوب وقد عبر الفنانون عن هذا الشعور فى أوسية تنفيذ حكم
الإعدام فى الوردانى بأغنية ظل الشعب يرددها سنين وهى الأغنية التى
أعبد صوغها وتلحينها وغناها أخيراً على لسان للطربة شادية ..
الأغنية التى تقول — قولوا لعين الشمس ماتحماشى ، لحسن غزال
البر صابح ماشى ..

ويشاء القدر أن يبرأ إخواننا الأقباط من سياسة بطرس غالى الذى
كان الأقباط أول من ثاروا عليه — فإذا بغال آخر من بيت بطرس
غالى يرفع رأس مصر فى الخارج .. ذلك هو واصف بطرس غالى
باشا —

كان واصف غالى يعيش منذ صباه فى الخارج بعد حادث أليه
بطرس وقد اختار باريس مقراً له ، فأتقن اللغة الفرنسية إتقاناً يز فيه
الفرنسيين أنفسهم . . وأصدر فى باريس ديوان شعر باللغة الفرنسية
حتى اعتبره الفرنسيون من شعرائهم الجدد وتحت هذا الإحساس حاول
بعض الاستعماريين أن يجتذبوا الشاب واصف غالى إلى صفوفهم فأبى ،
وأنشد فى هذا الآباء من القضاة الفرنسية ما يعتبر مرجعاً .

فلما وصل وفد مصر فى ثورة ١٩١٩ إلى باريس انضم واصف
غالى إلى عضويته وكان المتحدث باسم هذا الوفد لما له من صداقات
بالصحفيين الفرنسيين ولما له من علم باللغة الفرنسية والقانون الدولى .
وعندها تعددت آراء أعضاء الوفد كان واصف غالى يقف دائماً
على جانب الرأى الذى يقف فيه سعد زغلول ، فكان واصف غالى بهذا
الموقف أحد الأقطاب الذين حققوا غناق الصليب مع الهلال فى ثورة
١٩١٩ ، وكان على حداثة سنه أحد وزراء سعد زغلول فى سنة ١٩٢٤ .
ولما عادت إلى الوفد بعد وفاة سعد نزعة التعدد فى الآراء آثر
واصف غالى الحيدة إلى آخر حياته حتى لا ينصر لفريق دون فريق .

* * *

وفى سنة ١٩٥٠ ظهر اسم غالى ثالث . . لكن فى مجال آخر غير

مجال السياسة . . في مجال الحب والغرام ، وإن كان غراماً شغل
الأوساط السياسية وقتاً طويلاً .

لقد بدأت القصة في صيف سنة ١٩٤٩ عندما دب الخلاف بين
الملك السابق فاروق وبين أمه الملكة السابقة نازلي ، فقررت أن تترك
مصر وأن تعيش متنقلة بين بلاد أوروبا هي وصغرى بناتها . . كان
أول بلد اتجهت إليه هو سويسرا . وفي سويسرا حشدت السفارة
المصرية إذ ذاك كل طاقاتها لتكون في خدمة الملكة الوالدة . . فلما
طالت إقامتها بعض الوقت كان لا بد أن يتفرغ أحد أعضاء السفارة
لخدمتها ، وقد اختارت هي بنفسها هذا الشخص . وكان هذا الشخص
هو الملحق الشاب رياض غالى .

كان رياض غالى شاباً ذكياً وسيماً ، وقد استطاع بذكائه ووسامته
أن يرضى الملكة الوالدة . . فكان رياض غالى يشاهد مع الملكة
الوالدة وصغيرتها في بعض الأندية الليلية ومع مرور الأيام توطدت صلته
بالاتين حتى غدا لا يفارقهما لحظة . . فلما حانت لحظة الرحيل من
سويسرا فوجئت السفارة المصرية بأن الملكة الوالدة تطلب أن يصاحبها
رياض غالى في سفرهما ، ووقعت السفارة في ورطة ، على الأقل بالنسبة
للاوائح التوظف . . لكن الملكة الوالدة كانت مصرة على تنفيذ إرادتها
رغم الاوائح . . وفي سبيل تحقيق هذه الإرادة أوعزت إلى رياض غالى
أن يستقيل وأن يرحل سويسرا في صحتها .

فلما انتهى بهم المطاف إلى أمريكا أحست نازلي بوصفها أما أن إقدام
رياض غالى على هذه المغامرة بوظيفته لم يكن من أجلها إنما كان من

— ١١٣ —

أجل صغيرتها التي صارحت أمها هناك بأنها تجب رياض وأنها مصممة على الزواج منه . . وقامت قيامة القصر الملكي في القاهرة .

انعقد مجلس البلاط في القصر الملكي بالقاهرة ، وقرر تجريد الملكة وصغيرتها من الألقاب والمخصصات الملكية . . وردت نازلي على هذا القرار في مؤتمر صحفي عقدته في واشنطن بأنها ، كأم لا بد أن تنقف إلى جانب ابنتها . . وتم زواج الأميرة الصغيرة السابقة بعد أن اعتنقت دين عريسها حتى يتم هذا الزواج شرعاً .

لقد كان هذا الحادث هو السبب المباشر في التشريعات التي أعدها القصر الملكي لتقييد حرية الصحافة بعدما أفاضت فيه من أنباء هذا الغرام ، وهي التشريعات التي ثارت الصحافة عابها حتى أوقفت إصدارها .

ومع أن هذا الزواج كان موضع حديث العالم قبل خمس وعشرين سنة — فإن الطلاق الذي تم في العام الأسبق أو الذي قبله لم يهتم به أحد الا هم إلا إشارة عابرة بأن رياض غالى الذي كان زوجاً لصغرى شقيقات الملك السابق فاروق قد أصبح من رجال الأعمال في أمريكا .

حرف الفاء

فتحى :

أشهر الأسماء الفأئية هو اسم — فتحى . . وأول — فتحى — النقيب به في حياتي هو فتحى رضوان . . كنا في عهد الشباب جيراناً وكنا معاً في تأسيس جمعية القلم الأدبية قبل الثلاثينات ونحن في مستوى

طلاب التعليم الثانوى .. وكنا معاً فى بداية الثلاثينيات ضمن الذين اهتموا بحركة الاستقلال الإقتصادى . وكنا معاً بالإضافة إلى الزميل الأستاذ أحمد حسين فى إصدار جريدة الصرخة .. كان أحمد حسين هو القلب النابض فى مشروع هذه الجريدة .. وكنت بوصفى رئيس تحرير هذه الجريدة الفنية أمثل الواجهة فيها .. وكان فتحى رضوان هو الفكر المتحرك بين صفحاتها .. وكانت هذه الحركة تمثل تكوينه الطبيعى .

كان فتحى رضوان طالب الثانوى ابن الثالثة عشرة من عمره . يوم التقينا يلتقى المحاضرات عن مثله الوطنى المفضل مصطفى كامل وعن مثله الإنسانى . المفضل غاندى وكانت له تطلعات ينم عليها عنوان مقالاته الثابت فى جريدة — الصرخة — وهو — نحو المجد — .. وكان يصور هذا المجد — فى المسرحيات التى يشترك فى تمثيلها وهو طالب بالمدرسة الثانوية فى بنى سويف : . لقد كانت كلها مسرحيات تدور حول كفاح الشعوب من أجل النصر والحرية .

ولقد درس فتحى رضوان الحقوق بكلية الحقوق ، وتخرج فيها مع دفعة يونيو سنة ١٩٣٣ . وكان ثالث الخريجين فى هذه الدفعة مع الحصول على مرتبة الشرف .

ولم ينتظر فتحى رضوان فترة التمرين التى ينص عليها القانون لى يكون الخريج محامياً مستقلاً ، بل أنشأ مكتبه فى المحاماة قبل نهاية هذه المدة .. وظل محتفظاً بمكتبه كمحام زغم جميع الأعمال والمناصب التى تولاها .. ورغم السنين التى قضاها بين السجون والمعتقلات فى الماضى .

وبوم استقلت من رئاسة تحرير جريدة الصرخة في العام التالي قام فتحى بحركة لا تخطر ببال أبناء العشرين . . لقد زارنى فى بيتى وطلب إلى أن أعيد النظر فى قرارى قائلاً :

أرجو ألا تعتبر هذا القرار نهائياً إلا بعد بضعة أسابيع حتى يقتنع كلانا بأنه قرار نهائى . .

لقد كانت له عقلية شيخ فى قلب شاب وثاب . . وبهذه العقلية عاد إلى الحزب الوطنى أقدم الأحزاب وبهذا القلب أحدث فى صفوف الحزب الوطنى القديم انقلاباً لحساب الشباب ، شباب الحزب الذين تجمعوا حوله وباعوه بزعامة الحزب الوطنى الحديد . . بهذه العقلية أخرج سلسلة من المؤلفات وبهذه العقلية اعتذر عن قبول منصب وكيل الوزارة البرلماني فى سنة ١٩٤٩ وبهذه العقلية دخل الوزارة عقب قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . . فساهم فى مشروع وزارة الإرشاد القومى التى لم يكن لها وجود قبل قيام الثورة . . وبهذه العقلية وضع كتبياً عقب خروجه من الوزارة بعنوان « نظرات فى إصلاح الأداة الحكومية » .

فيلم :

أما أشهر المسميات الفائية فهى التسمية التى تطلق على الشرائط التى تصور الزوايا السينمائية — بتسميتها باسم — الفيلم — وكلمة — فيلم — كلمة جديدة دخيلة على اللغة العربية . . أن عمر هذه الكلمة فى اللغة العربية لا يكاد يبلغ نصف قرن . . ومع هذا العمر القصير فقد أصبح — الفيلم — عاملاً وُثْراً

— ١١٦ —

في حياتنا . . وقد لا يذكر الكثيرون أن تجارة الأفلام كانت من تجارات الحرب إبان سنى الحرب العالمية الثانية . . كانت الأفلام — كالورق — نشترى بموجب إذن رسمى من الحكومة ثم تباع في السوق التى يسمونها — السوق السوداء — بعشرة أضعاف سعرها الرسمى . . أننى أعرف زميلاً يرحمه الله قد اشترى ستين قداناً من فرق السعر في فيلم واحد .

أما قبل الحرب الثانية فقد كانت هناك تجارة للأفلام المترجمة ، أى التى استنفدت أغراضها في دور العرض السينمى . . كانت هذه الأفلام تباع بقروش ليستعملها الصغار في آلات السينما الصغيرة واتى كانت تباع في محلات بيع اللعب . . كانت هناك آلات سينما يتراوح ثمنها بين خمسين قرشاً وخمسين جنياً . . وكانت بعض هذه اللعب يرتفع مستواها إلى آلات السينما الحقيقية . . فكان الموسرون من الناس يقتنون هذه الآلات لعرض الأفلام التى يختارونها في يوتهم منعاً للصغار والبنات والسيدات من التردد على دور العرض السينمى ، لقد كانت هذه الآلات قبل جيل هى البديل لأجهزة التلفزيون المنتشرة الآن في كثرة البيوت .

ومع تطور فنون السينما أصبحت كلمة — فيلم — تطلق الآن لا على الشريط فقط ، بل على موضوع الرواية ذاتها . . ومن خلال هذا التطور ظهر في الصحافة فن جديد من فنون النقد ، هو نقد الأفلام ، وكنت أنا ضحية هذا النقد في يوم من الأيام .

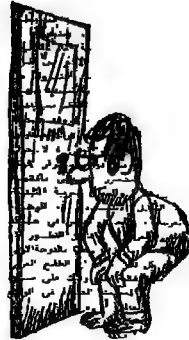
ف ذات يوم كتب الناقد الفنى للجريدة التى كنت رأس تحريرها

— ١١٧ —

نقداً لازعاً لأحد الأفلام الأجنبية وبعد ظهور هذا النقد بأيام دعيت لمشاهدة هذا الفيلم .. وبعد أن أخذت مقعدي في — البنوار — المخصص لي جاءني الخواجة — مدير السينما وانهاى على شتماً للنقد الذى نشرته جريدتي ، ثم طلب إلى أن أبرح دار السينما قبل أن يطلق على الرصاص .

وأحس الجمهور بهذه الحركة فتنجمع الناس من حولنا ، وما أن عرفوا تفاصيل القصة حتى خرجوا معي تاركين لهذا — الخواجة — داره السينمائية وقد خلت من النظارة جميعاً ..

وكانت هذه أول وآخر مظاهرة من نوعها ضد أحد الأفلام .



قافات سعد زغلول

لا جدال في أن لحرف القاف مهابة خاصة .. أنه يستمد هذه للمهابة من كونه الحرف الأول من حروف كتابنا المقدس « القرآن » وهي للمهابة التي نشعر بها إزاء كثرة الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف مثل كلمات قوة . . قضاء . . قدر قراءة . . قلوب . . قنابل . . قارات . . إلى آخر هذه الكلمات . . وهي للمهابة التي تتعكس على الأرشيف . . فلا تجد به الشيء الكثير مما يبدأ بحرف القاف ؛ لا عن قلة ، بل عن شيء من الحذر . . أن منطوق حرف القاف نفسه له مهابة خاصة لقد كان سعد زغلول ، وهو من أعظم خطباء عصره ، لا ينطق القاف في خطبة قافا . بل كان ينطقها أقرب ما تكون إلى حرف الكاف ، حتى صار تقرب القاف من الكاف « موضة » خطائية في عصر سعد زغلول . .

حرف القاف

قضاء

على ذكر قافات سعد زغلول نذكر أن أقدس كلمة قافية بعد كلمة « قرآن » هي كلمة « قضاء » . . ونذكر ما ينسأه الكثيرون حتى من المؤرخين ، أن سعد زغلول كان من رجال القضاء ، بل لعل اشتغاله بالقضاء قد شغل أكبر مرحلة من حياته فاشتغاله بالوزارة لا يتعدى

— ١٢٠ —

آحاد السنين، واشتغاله برياسة الوزارة لا يعمد آحاد الأشهر أما اشتغاله بالقضاء فتزيد على عشر سنين ، فإذا أضفنا هذه المدة إلى مدة اشتغاله بالمحاماة فإنها تكاد تبلغ ربع قرن .

إن اشتغال سعد زغلول بالقضاء يرجع إلى اشتغاله بالمحاماة واشتغاله بالمحاماة يرجع إلى صدور قانون تنظيم المحاكم الأهلية في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ — إنني أذكر الأسرة القضائية في هذه المناسبة بالاستعداد للاحتفال بالعيد الثموى للقضاء للمصري الوطني في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٨١ — ذلك أن القضاء في مصر قبل ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ كان بعضه قضاء عجيباً . . قضاء يتولاه قضاء من الأتراك أكبر مؤهلاتهم أنهم من لابسى العمامة . . وأعجب من هذا أن القضاء الأجنبي في مصر . وكان يسمى بالقضاء المختلط ، قد صدر القانون بتنظيمه في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ . . أى قبل تنظيم القضاء الوطني الذى عرف باسم القضاء الأهلى بست سنوات . . ا

فلما أصدر رئيس النظار ، أى رئيس الوزراء ، شريف باشا قانون ترتيب المحاكم الأهلية في نوفمبر سنة ١٨٨١ لم تكن هناك دراسة أو قوانين خاصة بالمحامين لكن كانت هناك مدرسة الألسن والإدارة التى تحولت إلى مدرسة الحقوق . . ولهذا أعلنت المحاكم الأهلية بعد تنظيمها في نهاية سنة ١٨٨١ عن مسابقة بين للتقنين الذين يرغبون في الاشتغال بالدفاع أمام هذه المحاكم .

كان سعد زغلول ، أو على الأصح الشاب الشيخ سعد الله زغلول

يعمل إذا ذاك محرراً مجريدة الوقائع . . . وكان أحد ثلاثة من شباب
دخلوا هذه المسابقة ، ونجحوا فيها وأصبحوا إذ ذاك أعلام المحاماة
الأوائل في مصر .

وبعد خمسة عشر عاماً من الاشتغال بالمحاماة أختير الأستاذ سعد
زغلول المحامي لكي يكون مساعداً مستشاراً فمستشاراً بمحكمة الاستئناف
وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اختير للوزارة .

لهذا المعنى اشترك القضاة مع المحامين في تكريم سعد زغلول عند
ماتولى رئاسة الوزارة في ربيع سنة ١٩٢٤ . . وفي ظل هذا المعنى كان
سعد زغلول يشترك سراً مع المحامين عن ماهر والنقراشي ، في إعداد
الدفاع عنهما عند ما وجهت اليهما تهمة الاشتراك في التدبير الجنائي
للقبيل سيري ستاك سردار الجيش المصرى في نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

وليس من شك أن الهيئة القضائية في مصر كانت دائماً من مفاخر
القضاء في العالم كله . . . وعلى الرغم من التزام القضاء للمصريين دائماً
عالم القضاء من قداسة خاصة — إلا أنهم كمصريين قد شاركوا سائر فئات
الشعب في ثورة ١٩١٩ وأن تاريخ هذه الثورة لابد أن يذكر مظاهره
القضاة . . يوم هذه المظاهرة خرج القضاة وهم يرتدون ملابسهم الرسمية
في موكب وطني لم تشهد البلاد مثله موكباً في وقاره ونظامه . . لم
تكن هناك هتافات ، ولا لافتات . . لقد كانت شارات القضاء التي
يلبسونها تغنى عن كل هذا . . ولم يسلم هذا للموكب السلمي الرائع من
رصاص الإنجليز .

وبعد هذا اللويز من أرشيفي الصحفي عن القضاء المصري لست .
أجدني مستمداً لإضافة أى شىء آخر من حرف القاف .

حرف الكاف

كلمة

ليس في حرف الكاف ما هو أروع من كلمة « كلمة » .. إن هذه الكلمة هي الشريك الطبيعي الخالد لأعظم كلمتين أخريين . وهما كلمة « كون » ثم كلمة « كتاب » .. إن الأديان كلها مجمعة على أن الله حينما أراد أن يخلق هذا « الكون » قد خلقه « بكلمة » .. وفي هذا المعنى قوله تعالى «... أن يقول له كن فيكون» ولهذا المعنى يعنى رجال الصوفية عناية خاصة بحرفي الكاف والنون الذين تتألف منهما كلمة « كن » ..
وحيثما أراد الله أن ينشر الهدى بين الناس أرسل إليهم الرسل ، فكان لكل رسول « كتاب » لهداية الأمة التي تتبع كل رسول ..

إن قداسة كلمة « كلمة » لأغوار خاصة في حياة الإنسان ، حتى قيل .
نزول بعض الكتب السماوية .. ففي عصر البطالمة ، وبخاصة في عهد الملكة كليوباترة عقد فلاسفة العالم كله مؤتمراً دولياً في مدينة الاسكندرية ليتدارسوا في الأزمة النفسية التي كانت تبتلع العالم ، وبعد مداولات هذا المؤتمر شهراً كاملاً خرج بقرار تاريخي خطير ، هو أن أزمة النفس البشرية في هذا العصر لا علاج لها إلا بأن تجيء « كلمة » من الله .. فلما ظهر النبي عيسى المسيح في أعقاب تلك الأيام أطلق

— ١٢٣ —

عليه الفلاسفة اسم « كلمة الله » . وهى التسمية التى لا تزال الكنيسة
تمسك بها حتى اليوم .

وحينما ظهر اختراع الصحافة فى الأجيال العشرة الأخيرة ظهرت
معها عقيدة جديدة اسمها « حرية الكلمة » .. وهى العقيدة التى
لا تزال الصحافة ومن خلفها الضمير العالمى ، فى جهاد من أجلها إلى
اليوم .. وإلى الغد ..

كامل :

يكاد يكون اسم « كامل » أشهر الأسماء المشتركة بين المسلمين
والمسيحيين على السواء ولست أدري هل هناك علاقة لحرف «الكاف»
بأن يكون هناك عدد كبير من محترفى صناعة « الكتابة » ممن يحملون
هذا الاسم ؟ ..

إن أول كاتب باسم « كامل » (عرفتة فى حياتى هو المرحوم
كامل كيلانى .. كان أول كاتب عرفته لسبب بسيط .. هو أن كامل
كيلانى كان أول كاتب يعنى بأدب الأطفال — لست أدري لماذا
لا يذكرون هذه الحقيقة الآن وهم يقدمون برامج الأطفال فى مختلف
الإذاعات العربية ؟ إتنا حين تعلمنا الهجاء والمطالعة كانت كتب كامل
كيلانى رائداً لنا فى أول خطانا على طريق الثقافة ..

لقد درس كامل كيلانى الفلسفة والآداب فى الجامعة المصرية
القديمة .. كان من طلبة للفوج الذى يلى فوج طه حسين .. وقد حصل
منها على شهادة الليسانس ثم استعد برسالة عن « ابن زيدون » الشاعر

الأندلسي للحصول على درجة الدكتوراه .. لكن اختراع كتب الأطفال باللغة العربية قد شغله عن هذا الطريق .

ولقد كان كيلاني موضع تقدير الأدباء في عصره إلى درجة أن فريقاً منهم حينما احتفلوا بشكريه نادوا به نقيباً للأدباء .. وليس من شك أن هذا النداء كان فيه كثير من المبالغة في عصر العقاد وطه حسين لكن الذي لا مبالغة فيه أن كامل كيلاني هو أول من أنشأ مكتبة الأطفال .. ولا تزال هذه المكتبة باقية حتى الآن ..

حرف اللام

لغة :

لست أظن أنها صدفة أن يجيء ترتيب حرف اللام الذي تبدأ به كلمة « لغة » عقب حرف « الكاف » الذي تبدأ به كلمة « كلمة » .. ذلك أن اللغة هي مجتمع الكلمات .. وأود أن أقول بهذه المناسبة أن هناك خطأ شائعاً بأن هناك لغة باسم اللغة العامية .. إنه مجرد تغيير مجازي .. ذلك أن العامية ليست إلا « لهجة » من لهجات اللغة العربية وهناك دليل فطري على هذه الحقيقة أن الناطقين باللغة العامية يقول أحدهم للآخر « أنا بكلمك بالعربي » ..

إن كل كلمة عامية لها أصل عربي .. وقد تكون هناك كلمات أجنبية دخيلة على العامية ، لكن هذا نفس الشيء الذي نجده في العربية الفصحى حتى في عرية القرآن الكريم .. فكلمة « أباريق »

الواردة في القرآن مثلاً من الكلمات التي احتوتها العربية الأصيلة من لهجات أخرى ..

وفي اللهجة العامية كلمات كثيرة من اللهجة العربية الفصحى ،
 لكن تشدد بعض الناس قد أخفى هذه الحقيقة .. فمثلاً كلمة « علاقة »
 بتشديد اللام التي نعرف بها عامياً عن « الشماعة » كلمة عربية أصيلة
 وكذلك كلمة « علق » في العامية بمعنى وجبة الطعام للبهيم هي الأخرى
 كلمة عربية أصيلة ومن يبحث يجد مئات الكلمات في العامية لها هذه
 الصفة العربية الفصحى .. وقد توفر على هذا البحث عالمان من علماء
 العصر الماضي هما أحمد تيمور « باشا » والدكتور أحمد عيسى ..
 ولست أدري لماذا لا يستأنف مجمع اللغة العربية هذا البحث حتى نصل
 إلى يوم تقرب فيه بين الأسلوب الذي نتكلم به وبين الأسلوب الذي
 نكتب به ..



اللورد كيلرن عدو

الصحافة المصرية

هذا الفصل من أرشيفي الصحفي فصل مفاجيء - لم يكن في حسابي أن أكتبه .. لكن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية الذي أخذت جريدة الأهرام تنشر في أعداد « الجمعة » شيئاً منه بعنوان « ١٥٠ سياسياً مصرية » — ورأى السفير البريطاني فيهم منذ ثلاثين سنة « قد حملني على كتابة هذا الفصل .. لا عن المائة والخمسين سياسياً الذين كتب عنهم السفير البريطاني لوزارة خارجيته بشكليف منها — فأولئك قد أعود أنا أو غيري إلى تسجيل وجهة نظر « مصرية » عنهم .. إنما أنا أكتب هذا الفصل أصلاً عن السفير البريطاني الذي أبدى هذه الآراء فيهم ، لا لتجريح آرائه .. فأراؤه بالطبع هي وجهة نظر « بريطانية » .. بل لأنني أرى أن نشر آرائه يستلزم بالطبيعة تقديم صورة عنه للجيل الجديد في بلادنا وهذا السفير البريطاني هو « رايت أونرابول سير مايلز لامبسون » الذي لقب بعد نجاح سياسته الاستعمارية ، من وجهة النظر البريطانية في مصر ، بلقب « لورد كيلرن » .

أيام الأفيون :

وكلمة « رايت أونرابول » هي لقب من ألقاب « الشرف » القديمة في بريطانيا .. وكان مايلز لامبسون يحمل هذا اللقب عندما كان

مثلا لبلاده في الصين .. الصين بوضعها القديم قبل أن تنجح فيها الثورة الشعبية .. ومن المعروف تاريخيا أن سير لامبسون كان أحد معوقات هذه الثورة من جهة ، وأحد الذين أسفرت سياستهم الاستعمارية عن توليد خواطر هذه الثورة في أذهان الطبقة المثقفة العاملة في الصين من جهة أخرى .. فقد اشتهر عن لامبسون أنه رجل شديد المراس يستخدم الشدة في معاملاته السياسية في البلاد التي يمثل فيها بلاده بوصفه « مندوبا ساميا » والمندوب السامي في العرف السياسي اختصاصات أبعد غوراً من اختصاصات السفير واختصاصات « المندوب فوق العادة » .

ولقد ارتفعت في الصين خلال وجود لامبسون بها أصوات متعددة بالشكوى من انتشار تجارة وممارسة مادة الأفيون .. وقد كانت مادة الأفيون إحدى اللواد التي يعتمد عليها الاستثمار القديم في تخدير الرأي العام حين يثور .. ولهذا كان في مقدمة الأعمال التي قامت بها ثورة الشعب في الصين بعد عهد لامبسون بها هو القضاء على الأفيون وتجارة واستعماله .

البساط الأحمر :

ويرجع التفكير في تعيين سير لامبسون مثلاً لبلاده في مصر إلى ثورة الشباب للمصري في سنة ١٩٣٥ في أعقاب تصريح وزير الخارجية البريطاني « الصهيوني » واسمه سير صمويل هور — التصريح الذي اعتبره الشعب المصري تدخلا في شئونه الخاصة ، لأنه يتناول فيه

بعض المسائل الدستورية الداخلية. بالتعليق وإبداء الرأى المضاد لرأى للشعب المصرى ..

ولقد كانت ثورة شباب سنة ١٩٣٥ فى مصر من الحرارة إلى الدرجة التى اجتذبت القادة السياسيين وراء خطوط الشباب . وبدأ واضحاً أمام الساسة البريطانيين أن الساسة المصريين إذا هم لم يتجمعوا — مجزء — فى عمل سياسى موحء يمنع الخطر الشعبى عن الوجود البريطانى فى الشرق الأوسط ، فإن زمام هذا الوجود سيفلت فى الوقت الذى كانت فيه نذر الحرب العالمية الثانية تترء فى أفق السياسة الدولية وكان هذا العمل السياسى هو تشكيل هيئة من زعماء الأحزاب المصرية جميعاً للاشتراك فى توقيع معاهدة « صداقة وتحالف » مع بريطانيا وهى معاهدة سنة ١٩٣٦

فى هذا الجو عين « الرايت أوراىول سير ما يلىز لاءبسون » الذى راض عضلاته السياسية فى الصين قبل ثورتها — هندوبا ساميا لبريطانيا فى القاهرة .. وقد سبقت قدومه إلى مصر « إرشادات » يرى الئندوب السامى أنها ضرورية بالنسبة لشخصه الذى يحمل لقب « رايت أوراىول » وفى مقدمتها أن يفتح له فى محطة القاهرة الباب الملكى ليجتازة من القطار إلى السيارة وأن يسط البساط « الملكى » الأحمر اللاون ليسير عليه فى هذه الخطوات ..

ولكى تكون الصورة واضحة عن سير لاءبسون ، أو الورد كبلرن ينبغى أن نسجل هنا أنه بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ وتطور وصفه

الدبلوماسى من « مندوب سام » إلى « سفير » كآى سفير آخر
لأية دولة أجنبية أخرى — قد اشترك فى المذكرات الشفهية التى
كان يتبادلها مع حكومة مصر بعد هذا التطور أن يظل « حقه » قائما
فى أنه كلما ذهب إلى محطة القاهرة قادما أو عائداً أن يفتح له الباب
الملكى وأن يسط تحت قدميه البساط الملكى الأحمر .. وأن يعتبر
فى نفس الوقت عميداً للسلك الدبلوماسى الأجنبى فى مصر رغم أنه
لم يكن أقدم السفراء .. وقد عاجلت الدول « الصديقة » هذا الوضع
يأن غيرت سفراءها الأقدم منه فى القاهرة ..

وكان سير لامبسون ، أو اللورد كيلرن ، يتبع فى دار السفارة
البريطانية « بروتوكولات القصور الملكية .. فهو لا يستقبل الضيوف
فى حفلاته ، بل ينتظر فى مكتبه حتى يتجمعوا ثم يقبل عليهم ليكونوا
هم فى استقباله أيا كانت مراكزهم .. وفى المرة الوحيدة التى عقد فيها
مؤتمرا صحفيا خلال الحرب العالمية الثانية لم يجلس إلى مائدة واحدة
مع الصحفيين أو أمام الصحفيين بل لقد أعدت له السفارة منصة عالية
يجلس فوقها ومن حوله رجال حاشيته .. أما الصحفيون من مختلف
الجنسيات ، فيجلسون فى القاعة بعيدا عن منصة اللورد بمترين وتحت
مستواها يترقروا .

ولقد كانت هذه « الحركات » تثير نفوس الأجانب قبل المصريين
لكن قرينة اللورد كانت الدواء المخفف لثورة النفوس .. فقد كانت
سيدة إيطالية شابة جميلة جدا ، تصغر اللورد ، ربما بعشرات السنين

وحينما كان يصل إلى القاهرة ابنه الشاب من زرجته السابقة ، وحينا كان يظهر هذا الابن الشاب مع زوجة أبيه كان الناس يلاحظون أن الابن أقرب إلى اللياقة من أبيه بالنسبة لهذه الزوجة .

لكن اللورد الذى كان يسمى فى المجالس الخاصة للقفلة باسم « اللورد الخفيف » كان على ضخامته الجسدية الهائلة ، كالحمل الوديع إزاء زوجته الحسنة التى كانت تبدو بجانبه من الناحية الجسدية ، وكأنها طفلة صغيرة .

والواقع أن اللورد كان يعامل زوجته معاملة الطفلة المدللة فعلاً .. فكثيراً ما كانت فى عز أيام الأزمات تقترح عليه أن يذهب إلى رحلة « صيد » فى بلدة أكباد أو الفيوم — فىنىسى همومه السياسية ويتبعها فى هذه الرحلة .. فإذا ألحت عليه هذه المصروف ، وكثيراً ما كان يحدث كان يتركها تذهب إلى حيث تشاء بين مجموعته من الأصدقاء والصدقات يختارهم بنفسها ، وكانت هذه المجموعة تمتاز دائماً بالشباب والجمال واللياقة الاجتماعية .

لكن اللورد كان يستطيع فى بعض المواقف أن يغلب طبيعة عمله على طلباتها الأخرى التى كانت تتلخص فى شراء الكثير مما يتكلف الكثير .. أحياناً أكثر من أن تحتمله ثروة اللورد .. ولهذا كثر الهمس حول الصفقات التى كانت تعقد سرّاً باسمه أو باسمها دون علمه أو دون معارضته ، خلال الحرب العالمية الثانية ومن خلال ظروفها .. وهو الهمس الذى كان السبب الأول من أسباب نقله إلى لندن عقب هذه الحرب ..

والمواقع أن أسم لورد كيلرن قد اقترن في التاريخ الدبلوماسى بتاريخ الحرب العالمية الثانية .. لقد كان اختياره لمنصبه في مصر مقترناً بظروف هذه الحرب السابقة واللاحقة وهو الذى استطاع أن يقنع مصر فى أزمة العلمين أن تضع تحت تصرف القوات البريطانية جميع إمكانيات السكة الحديدية .. حتى لقد أنشأت هذه القوات بعربات « البضاعة » خطاً دفاعياً لها فى ميدان معركة العلمين .. وكان هذا الخط من الأسباب الهامة فى تغيير دفة الحرب لصالح القوات البريطانية بعد أن كانت على أبواب الهزيمة .

لقد اعترف اللورد كيلرن بهذه الحقيقة فى حفلة من حفلات نادى محمد على ، الذى أصبح الآن « نادى التحرير » لكن ما كاد الدكتور هيكمل باشا بوصفه إذ ذاك زعيماً للمعارضة فى مجلس الشيوخ يتقدم على هذا الأساس باقتراح جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية بمجرد إتياء الحرب — حتى ثار اللورد ، واعتبر هذا الاقتراح « طعنة » من الحلف ومخالفة لمعاهدة سنة ١٩٣٦ .. ثم عاد وأنكر تصريحه الذى اعترف فيه بأن بريطانيا مدينة لمصر بالكثير فى معركة العلمين .

وحين وضعت الحرب أوزارها وطالبت مصر بالنفقات التى تكبدتها فى هذه المعركة — وكان طلباً مصحوباً بكشف حسابات مفصل — رد اللورد على هذا الطلب بأن مصر هى « للدينة » للقوات البريطانية لأنها دافعت عنها ضد « الغزو » المحورى الألمانى الإيطالى !

أسلوب الفضائح :

واللورد كيلرن هو أحد اثنين من اللندونيين السامين البريطانيين حملوا الإنذارات إلى المسؤولين في مصر .. الأول هو لورد اللتي الذي حمل الإنذار البريطاني إلى رئيس الوزراء سعد زغلول في نوفمبر سنة ١٩٢٤ إثر مقتل سير لي ستاك « السردار » البريطاني للجيش المصري إذ ذاك .. والثاني هو لورد كيلرن الذي حمل الإنذار البريطاني إلى الملك السابق فاروق في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .. والفرق بين الإنذارين وأسبابهما وطريقة تقديمهما تبرز شخصية كل منهما .

لقد ذهب لورد اللتي إلى مقر رئيس الوزراء سعد زغلول ومن حوله كوكبة من جنود الحرس البريطاني ، وكان إنذاره يتركز على مطالب بريطانيا فيما يخص بحادث سير لي ستاك .. أما لورد كيلرن فقد ذهب إلى قصر عابدين في فرقة كاملة من الجيش البريطاني معززة بالدبابات ، وكان إنذاره منصباً على الأوضاع الداخلية في مصر رغم معاهدة سنة ١٩٣٦ ..

وكان لورد كيلرن في هذا اليوم يحمل الطابع الخاص بأسلوبه في السياسة .. فقد حمل مع الإنذار البريطاني ملفاً خاصاً عامراً بالصور الفاشحة لفاروق كوسيلة من وسائل التهديد ..

معلومات شذاذ الآفاق :

ولهذا لم أستغرب فيما نشرته « الأهرام » من أرشيف لورد كيلرن عن « ١٥٠ سياسياً مصرياً منذ ثلاثين سنة » أن تكون

هناك إضافات حذفها « الأهرام » عن السلوك الشخصى لبعض من كتب عنهم .

أن اللورد نفسه كان خيراً فى هذه الشؤون ، وبخاصة منها ما كان يتعلق بالصفقات سواء كانت هذه الصفقات بشرية أو عينية أو مالية .
لكن .. من أين كان يستقى لورد كيلرن معلوماته عن السياسيين وغير السياسيين المصريين .

الذى ليس فيه شك أن الأجهزة البريطانية كانت من أقدر الأجهزة فى العالم فى الحصول على « المعلومات » حتى لا يستطيع أى مؤرخ الاستغناء عن المراجع الإنجليزية فى هذا الباب .. باب « المعلومات » .. أما فى باب « التوصيف » فقد كانت هناك أجهزة انشأها اللورد فى سفارته لشراء البيانات التى تساعدوه هو شخصياً على إبداء رأيه أمام حكومته .

لقد كانت غالبية أعضاء هذه الأجهزة ممن يسمونهم « شذاذ الآفاق » أى الأشخاص الذين لا وزن لهم فى الحلق من مختلف الأجناس .. بل لقد كان الرئيس الأعلى لهذه الأجهزة « لورداً » صغيراً معروفاً بشذوذه فى كثير من أندية الليل التى ظهرت هنا وفى كل مكان خلال سنى الحرب .

ولكى تكمل الصورة عن اللورد صاحب الأرشيف عن المائة والحسين سياسياً مصرياً ، لا بد أن نذكر أنه بوصفه عضواً فى مجلس اللوردات البريطانى كان أحد اثنين اشتدت حملتهما على اتفاقية الجلاء عن مصر فى سنة ١٩٥٦ وأحد الذين باركوا - بضراوة - العدوان الثلاثى على مصر

إذ ذاك جزاء ما قدمت له مصر من اللعونات خلال الحرب العالمية الثانية.. لاستكمال للمقاتلات التي كانت تعدها السفارة البريطانية لوزارة خارجيتها عر مئات للمصريين ، لا عن هذا العدد من السياسيين وحدهم .. فضلاً عن أن الذين كتب عنهم اللورد في هذه « الوثيقة » لم يكونوا كلهم من السياسيين ، بل كان من بينهم أشخاص لا صلة لهم بالسياسة أصلاً فإني أحاول إبداء وجهة نظر مصرية.. إزاء هذه النظرة « الإنجليزية » بالنسبة لأولئك الأشخاص .. على أن الأمانة تقتضى ألا أ تدخل إلا فيما أعرف .. وسأكتفي هنا بواقعة واحدة بالنسبة لكل من الـ ١٣ شخصية من بين الشخصيات الذين نشرت آراء الدبلوماسى البريطانى فيهم وذلك حسب ترتيب أسمائهم أبجدياً على طريقة هذه السلسلة من « الأرشيف الصحفى » .

* أحمد حسنين :

عند ما تحدث لورد كبلرن عن أحمد حسنين « باشا » رئيس الديوان منذ ثلاث وثلاثين سنة بوصفه صديقاً ساعد صداقته لم يذكر السبب في هذا التحول .. السبب أن حسنين باشا في نهايات سنة ١٩٤١ وبدايات سنة ١٩٤٢ كان قد أعد العدة ليشكل وزارة برياسته من الشباب للمستقلين الذين لم يسبق لهم الاشتراك فى الحكم بقصد أن تكون هذه الوزارة سنداً للقصر فى مواجهة كل الأحزاب .. وكانت غلطة حسنين فى نظر اللورد ، وهى تجاهله ، من الأسباب الداعية إلى إنذار ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بقصد تشكيل الوزارة من حزب الأغلبية وبرياسة زعيمها كاحتياط وقائى فى مواجهة الأحداث التى كانت محتملة نتيجة لزحف جيش القائد الألمانى روميل فى معركة العلمين ..

• أحمد ماهر :

يصف اللورد كيلرن الدكتور أحمد ماهر « باشا » رئيس وزراء سنة ١٩٤٥ بأنه كان برلمانياً متحفظاً قليل الكلام — مع أننى، وغيرى من الصحفيين ، قد حضرنا جلسة لمجلس النواب فى سنة ١٩٤٠ تكلم فيها أحمد ماهر بوصفه زعيماً للمعارضة ثلاث ساعات متوالية ، وقال فى هذه الجلسة « لمتنا سنطرد هذه الوزارة — وزارة للرحوم حسن صبرى — من هذا المجلس » .. وليس صحيحاً أن أحمد ماهر كان — كما يقول اللورد — أسوأ أخوته .. الصحيح أنه كان أحسنهم .

• أمين عثمان :

لقد مدح اللورد فى « وثيقته » أمين عثمان « باشا » كثيراً ، وهذا حقه .. فأمين عثمان هو الفائل أن العلاقة بين مصر وبريطانيا كعلاقة الزواج الكاثوليكي الذى لا انفصال فيه مطلقاً » .. لكن اللورد لم يقل كيف ارتقى أمين عثمان من وظيفة سكرتير لوزير المالية فى سنة ١٩٣٠ وهى وظيفة من الدرجة السادسة ، إلى منصب الوزارة فى سنة ١٩٤٢ ..

• حافظ رمضان :

يقول اللورد أن حافظ رمضان « باشا » رئيس الحزب الوطنى كان يتقاضى أموالاً من الخديوى السابق عباس حلمى دون أن يقول يقول كيف كانت تصله هذه الأموال فى عصر كانت كل المصاريف هنا تحت رقابة البنك الأهلى .. الانجليزى .. والمعروف أن حافظ رمضان قد مات فقيراً ..

حافظ عفيفي :

يصف اللورد حافظ عفيفي بأنه زعيم الأحرار الدستوريين .. وهو أمر لم يحدث مطلقاً .. أما أنه قد انتقل من رئاسة مجلس إدارة بنك مصر إلى رئاسة الديوان الملكي لأسباب سياسية — فهذا أيضاً غير صحيح — والصحيح أن فاروقاً — للملك السابق — حينما أراد أن ييسر يده على مشاريع بنك مصر الاقتصادية أختار «أندراوس باشا» أحد رجال حاشيته لرأس مجلس إدارة البنك ، ولم تكن هناك وسيلة للإخلاء هذه الوظيفة من شاغلها « حافظ عفيفي » إلا بتعيينه رئيساً للديوان الملكي ، ثم تركه في رئاسة الديوان الملكي مهملًا دون الاعتماد عليه في غير الشكليات ..

* طلعت حرب :

يصف اللورد خروج طلعت حرب « باشا » من بنك مصر — الذي أنشأه — في أكتوبر سنة ١٩٣٩ بأن ذلك يرجع إلى تصرفات طلعت حرب ، ولم يذكر اللورد أن إخراج طلعت حرب من بنك مصر كان مبيتاً من سنة ١٩٣٥ حينما دعا طلعت حرب مع بعثة اقتصادية مصرية لزيارة مصانع النسيج في بريطانيا في محاولة لإقناعه بالتخفيف من نشاط شركة المحلة الكبرى التي أنشأها ، فلما لم يقتنع — كان لا بد في رأى العناصر البريطانية أن يستبعد طلعت حرب عن دائرة النشاط الاقتصادي .

* عزيز المصري :

ذكر اللورد في « وثيقته » كل شيء عن الضابط المصري العظيم

الفريق عزيز المصرى إلا واقعة انفصاله عن الثورة العربية التى ظهرت فى الحجاز خلال الحرب العالمية الأولى .. لقد نصح المستشار البريطانى « كلينتون » الشريف حسين والى الحجاز بمنح عزيز المصرى أجازة ليعود إلى القاهرة ، فلما عاد وجد أنه من المحظور عليه الرجوع إلى الحجاز ...

• فارس نمر :

كان طبيعياً أن يمتدح اللورد كيلرن صديقه فارس نمر « باشا » . أحد أصحاب جريدة « المقطم » لكن اللطيف أن اللورد يقول أن هذه الجريدة قد أصبحت « فيما بعد » جريدة انتهازية .. كان اللورد ينسى أن جريد المقطم منذ بداية أمرها قد وجدت لحساب الإنجليز وبتأييد منهم .

• محجوب ثابت :

يقول اللورد أن الدكتور محجوب ثابت الذى كان يتزعم حركة العمال فى العشرينيات قد فصل من الوفد لأسباب مالية سنة ١٩٢٢ بينما المعروف أن محجوباً كان أحد الجلساء الأساسيين فى مجالس سعد زغلول الخاصة إلى نهاية حياة سعد زغلول فى سنة ١٩٢٧ ، بل كان أحد أطبائه ، وهو الطبيب الشهير الوحيد الذى لم يعرف الثروة .. حتى ولا اسمها ..

• محمد محمود :

في حديث اللورد عن محمد محمود « باشا » يحاول دائماً أن يصفه بأنه « صديق » ويتناسى اللورد أن محمد محمود كان المعارض الأول في مفاوضات معاهدة سنة ١٩٣٦ وأنه حين تولى الحكم في سنة ١٩٣٨ قد عدل من نصوصها .. لقد كانت السياسة البريطانية تصف بعض السياسة المصريين بالصدقة لها عمداً لكي تزيد هوة الخلاف الذي كانت تعتمد عليه بريطانيا دائماً في السيطرة على البلاد .

• محمود عزمى :

يصف اللورد الصحفي محمود عزمى بأنه كان دائم الطلبات من السفارة البريطانية لمساعدته .. مع أن اللورد نفسه يعترف بأن عزمى كان يقود حملات صحفية ضد المعاهدة البريطانية وضد سياسة الإنجليز في فلسطين ، بل لقد مات عزمى على منبر مجلس الأمن .. بوصفه ممثلاً لمصر ، وهو يدافع عن قضية فلسطين في رده على خطاب المندوب البريطاني .

• الشيخ مصطفى المراغى :

ذكر اللورد في « وثيقته » كل شيء عن الشيخ مصطفى المراغى الذي كان شيخاً للأزهر منذ خمس وثلاثين سنة إلا أنه قد خطب ، إذ ذاك في مسجد الرفاعى ، وفي حضرة الملك ووزرائه مطالباً بإعلان جهاد مصر في الحرب العالمية الثانية .. وأنه عارض فاروقاً الملك السابق في

— ١٤٠ —

طلاق زوجته الأولى مهدداً بالاستقالة إن وقع هذا الطلاق .. وبالفعل
لم يتم هذا الطلاق في عهد مشيخته للأزهر ..

* مكرم عبيد :

وصف اللورد مكرم عبيد « باشا » وصفاً تفصيلياً ، لكنه حينما
ذكر شعبية مكرم لم يذكر أسبابها .. وفي مقدمة هذه الأسباب أن
مكرم كان أحد عمد الاندماج بين المسلمين والأقباط في ثورة سنة
١٩١٩ .. وهو للقائل « أنا مسلم ووطناً » .

* * *



مصر في القرآن

ها نحن قد جئنا إلى أغنى حرف في اللغة العربية .. يكفي أن كلمة « مال » تبدأ بحرف الليم لكي تشعر أن هذا الحرف يمتاز بالغنى ، ليس في اللغة العربية وحدها ، بل وفي لغات أخرى ، ففي الإنجليزية — مثلا تبدأ كلمة « نفوذ » بحرف الليم .. لكنني لا أزن حرف الليم بميزان الذهب ، إن الذهب سوف يذهب ، إنما أزنه بميزان القومية ، القومية الوطنية والقومية الروحية أيضاً .. ففي جانب القومية الوطنية نجد أن أعز اسم عليها هو اسم « مصر » لقد أعز الله اسم مصر بذكرها وحدها دون كل الأقطار في القرآن الكريم . أما من الناحية الروحية فقد اشتهر حرف الليم منذ أربعة عشر قرناً عند مولد نبي الإسلام الذي ألهم الله أهله بأن يسموه « محمد » .. واسم محمد هو الذي يعطى حرف الميم كل هذا الثراء الذي يستمتع به .. ففي آية مناسبة تتلى فيها أسماء للمواطنين نجد أن اسم محمد يستغرق نصف الوقت وبقية الأسماء تستغرق النصف الآخر .. ولقد سبق في علم الله أن اسم « محمد » سيأخذ هذا الحيز كله من أسماء ملايين المسلمين فاخص النبي بأسماء أخرى منها : أحمد ومحمود ومصطفى .. الخ ..

حرف الميم

مصطفى :

أول مصطفى عرفته في حياتي — بعد مصطفى — هو صديق مصطفى الوكيل . . لقد كان أسطورة ، تخرج وهو دون العشرين في كلية العلوم . . كان أول . . الخريجين ، فأوفد في بعثة إلى لندن . . وفي لندن كان فتي العشرين مصطفى الوكيل يعقد للمؤتمرات لأعضاء مجلس العموم البريطاني يحدّثهم في حقوق مصر . . كان هذا وشباب مصر في ثورة سنة ١٩٣٥ . . فجازته الحكومة على جرأته بإلغاء بعثته فأرجع . . استمر في دراسته رغم ذلك حتى حصل على الدكتوراه في العلوم . . وكانت رسالته نظرية علمية جديدة في الرياضة البحتة لاتزال تدرس حتى الآن بلندن .

وعاد مصطفى الوكيل إلى القاهرة يحمل الدكتوراه وفي الرابعة والعشرين من عمره ، لكر الطغيان السياسى لم يرحم هذا النبوغ ففزع من شغل وظيفته في الجامعة فإذا بجامعة بغداد تناديه الأستاذية فيها . . وفي بغداد التقى مصطفى الوكيل بثورة رشيد عالي الكيلاني ، فكان مشعلا من مشاعل هذه الثورة . .

وقامت الحرب العالمية الثانية في أخريات سنة ١٩٣٩ ، اتخذت السلطات الإنجليزية في العراق من الحرب وسيلة للبطش بالثوار ، فإذا بثوار العراق يعمدون لمصطفى سبيل الرحيل . . وإذا به لا يعود إلى

— ١٤٣ —

مصر . . بل إلى برلين ليجد المنبر الذى يهاجم منه الاحتلال البريطانى فى البلاد العربية . . وهناك أراد القدر له أن يختم هذه الأسطورة بأن يموت شهيداً فإذا بغارة من غارات الحرب تمزق صدره ، ليس لشيء سوى أنه كان أثناء الغارة يقوم بخدمة اللاجئين العرب دون أن يأخذ طريقه إلى الخبايا من الغارات . . فبات ، ولكن ذكره لايموت .

* * *

مصطفى الثانى الذى التقيت به فى حياتى العامة هو مصطفى حبيب . . ومصطفى حبيب كان صحفياً ، ثم شغل منصباً من المناصب التى يعتبرها الصحفيون من مراجع أخبارهم . . لكن تجربة مصطفى الصحفية علمته كيف يبعد عن الأضواء .

لقد تخرج فى القسم الإنجليزى بكلية الآداب ، ودرس للصحافة فى معهد الصحافة العالى الذى سبق انشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة الذى انتهى إلى كلية الإعلام . . ولقد عمل فى عدة صحف اختصاصياً فى الترجمة والسياسية الخارجية ، وكان آخر هذه الصحف هى جريدة القاهرة التى جمعت بينه وبينى .

كنت أرى فيه محرراً غير عادى فهو قبل كل شيء المرجع اللغوى فى المصطلحات السياسية . . ولم يكن يترجمها لزملائه هذه المصطلحات بلفظها فقط ، بل وبمعناها أيضاً وبهذا الأسلوب فى الترجمة اعتبر أن مصطفى حبيب ، الذى لم يعيش قط فى أضواء الصحافة ، كان أحد الذين

أدخلوا في لغة الصحافة الشيء الكثير من المصطلحات الأجنبية بلغة عربية سليمة .. وقد ساعد مصطفى على إرساء قواعد العربية الأصيلة في مترجماته أنه قد اختير أستاذاً في كلية اللغة العربية فعماد عيش الفصحى العريقة في هذه الكلية ..

كانت طريقة مصطفى حبيب في عمله الصحفي الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عاماً هي طريقة انتج جميع لأشوات الأخبار الخارجية من مختلف مصادرها وإخراجها موضوعاً واحداً مرتباً .. كانت هذه الطريقة إلى ما قبل الخمسينيات شيئاً جديداً ، وكان لمصطفى حبيب جانب من أكبر جوانب الفضل في هذا الجديد .

لكن مصطفى حبيب ، بعد هذا كله ، لم يتفرغ للصحافة .. لقد كانت وزارة التعليم العالي قد شدته إليها ، حتى وصل في سلم درجاتها إلى درجة وكيل الوزارة في وظيفة المدير العام للثقافة بهذه الوزارة .. ثم انتقل إلى جوار ربه بنفس الهدوء الذي تميز به .

محمود :

وكما يقتزن اسم محمد باسم مصطفى — فهو يقتزن أيضاً باسم محمود .. والذير يحملون هذا الاسم كثيرون ، أولهم بالنسبة لي من الناحية الخاصة كان أبي .. أما من الناحية العامة فكان أولهم بالنسبة لي هو محمود كامل .. لقد كان هذا الاسم يرن في أسماع الشباب طوال الثلاثينيات ، ولست أدري أين ذهب الآن هذا الرنين ؟ !

كان محمود كامل في الثلاثينيات هو الكاتب الأول للقصة القصيرة

العصرية وكلمة « العصرية » هنا ليست مجرد وصف ، بل إنها حقيقة فإ من قصاص ترجم في قصصه القصيرة نقلة الشباب للعصرين إلى أزياء الحياة الاجتماعية الحديثة كما ترجمها محمود كامل . ولو أنك عدت إلى مجاميع أقاصيصه لوجدت فيها كل أضواء المدينة وسهراتها وما يتخلل هذه السهرات من تطور الحياة الأسرية في مصر خلال هذه الفترة ..

لقد اشتهر محمود كامل بهذا الأسلوب العصري ، لأنه هو نفسه كان شاباً عصرياً لم يمتعه نصف العرج الذي يعانيه من أن يكون نجماً من نجوم الحفلات الراقصة ثم تبين أن هذا كله إلى زوال — وأراد أن يقوم بعمل أبعـد عمقاً في الواقع ، فسخر موهبته الكبيرة في الحماسة وإطلاعه الغزير في اللغة الأجنبية — في مشروع جديد هو مشروع الاتصال بين أسرة الحماسة في مصر وأسرة الحماسة في الخارج .. قام محمود كامل وحده بهذا الجهد قبل أن يصبح هذا الاتجاه أسلوباً نقائياً فيما بعد ..

ومن خلال رحلاته في الخارج اكتشف موهبته السياحية فسخرها في مصر فناً جديداً ..

لقد عرفت محمود كامل إلى جانب هذا كله صحفياً يخرج أول مجلة تحمل اسم « الجماعة » لكنه كان صحفياً متخصصاً في كتابة القصة الصحفية إلى درجة أنه كان يذهب أحياناً إلى مكتبه بدار الهلال ، بعد أن عين محرراً بها ، وهو أخلى الذهن تماماً فإذا جالس إلى ورقه وأقلامه استطاع أن يكتب قصة بالسهولة التي تكتب بها اللقالات .

إن محمود كامل طراز من الصحفيين والقصاصين لم يتكرر ..

منصور :

منذ بدأت حرف الميم وأنا أفكر في اسم منصور إنه أعز الأسماء على في حياتي الدراسية ، لأنه اسم الرجل الذي درست عليه الفلسفة ، وهو الدكتور منصور فهمي ..

كان منصور فهمي في سنة ١٩٠٨ طالباً في دراسة الحقوق لكن الاختيار قد وقع على هذا الطالب ليكون أول مبعوث للجامعة المصرية القديمة إلى فرنسا لدراسة الفلسفة والآداب ، ومن جامعة باريس حصل منصور فهمي على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وعاد إلى القاهرة ليشتغل كرسي الأستاذية في الجامعة المصرية القديمة ، لكنه فوجيء فور عودته بأنه مستبعد عن هذه الوظيفة ، ليس لشيء سوى أن شيوخ الجامعة المصرية القديمة الذين لم يكونوا على علم بأسرار اللغة الفرنسية قد قيل لهم أن رسالة منصور فهمي التي نال بها اجازة الدكتوراه من جامعة باريس قد تعرضت لفلسفة الزواج في حياة النبي محمد .

وعبئاً حاول منصور فهمي أن يشرح لشيوخ الجامعة المصرية القديمة ما كتب .. لقد كان هناك صراع بين القديم والجديد ، وكان منصور فهمي أول ضحايا هذا الصراع .. ولم يستطع منصور أن يلتقي الناس في مصر بعد هذه التهمة التي أُلقيت عليه فبحارح مصر إلى تركيا ، وعاش فيها خلال سنى الحرب العالمية الأولى ، وبعد سنى هذه الحرب وقيام ثورة سنة ١٩١٩ التي غيرت الكثير من المفاهيم والأوضاع — أرسلت الجامعة القديمة في استدعاء مبعوثها الأول ليتولى التدريس فيها

وانتقل منصور فهمي من الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة المصرية الجديدة بعد عذاب .. عذاب البحث في مؤهلاته التي ضيعتها السنون وقد أمضى سنى هذا العذاب أستاذاً بدار المعلمين العليا ثم عاد إلى مكانه الطبيعي أستاذاً للفلسفة بجامعة القاهرة .

وحينما تلمذت عليه وجدت فيه فيلسوفاً بالسلوك أكثر مما كان فيلسوفاً بالفكر فهو رجل لم يتوفر على إخراج كثير من المؤلفات لكنه توفّر على إخراج كثير من الطلبة وكان يعتبر طلبته هن كنبه الحية .

ولعل مما ساعد على ندرة مؤلفات الفيلسوف منصور فهمي أنه كان من أكثر الناس اندماجاً في الحياة العامة ، فهو أحد مؤسسي جمعية الرابطة الشرقية ، وجمعية الهلال الأحمر ، تم جمعية الشبان المسلمين . . ومع أن السن قد علت به فوق مرحلة الشباب وكذلك المناصب — فقد صار « باشا » ومديراً لجامعة اسكندرية وأميناً للمجمع اللائى لكن ولاءه لجمعية الشبان المسلمين كان مستمراً .

من أسرار معركة تبور سعيد

ألم أقل لك أن حرف الميم هو أغنى حروف اللغة العربية . . إن الفصل للماضى لم يتسغ لكل ما فى أرشيفى من الأسماء الميمية . . وها أنا أعود البحت فى هذا الأرشيف عن الميمات . . وأنا فى هذا البحت أحاول أن أصحح واقعة . فليس معنى الغنى فى حرف الميم أن كل التسميات للميمية مسميات سعيدة . . أن من حكمة الوجود أن ينتهى الجمال إلى القبح ، وأن تنتهى الحياة إلى الموت ، وأن تنتهى القوة إلى الضعف ، فما من شىء فى هذه الدنيا إلا ويحمل نقيضه فى كيانه .

بقية حرف الميم

مظلوم :

يكفى من إثبات هذه الحقيقة أن حرف الميم الذى يحمل كل هذا الغنى هو الحرف الذى تبدأ به كلمة « مظلوم » وكلمة « مظلوم » كانت أحياناً من أسماء الأضداد . . فى الجيل الأسبق كان هناك رجل من رجال السياسة اسمه أحمد « مظلوم » باشا . . كان مظلوم باشا يكاد يكون صاحب ملايين . . إن أمواله كانت ركناً ركيناً فى أكثر من بنك . . ثم هو كان وزيراً فى مستهل القرن العشرين ثم رئيساً للجمعية التشريعية وقد أهله هذا المنصب لأن يكون رئيساً لمجلس النواب عند قيامه فى برلمان سنة ١٩٢٤ . . إلى هذا الحد كان مظلوم باشا رجلاً محظوظاً . . ومع هذا كله فمن يدرى ماذا كان فى حياته الخاصة .

لكننى تعرفت أخيراً على « مظلوم » آخر ، هو الدكتور محمد مظلوم الشامى ، المحاضر بكلية الشريعة بجامعة الأزهر سابقاً .

لقد أخرج هذا الرجل كتيباً رشيقاً فى وصف الظلم الذى وقع عليه .. إنه ظلم من نوع جديد .. ظلم فسكرى .. ذلك أنه هو صاحب فكرة الإفراج عن تمثال مصطفى كامل من محبسه وإقامته فى أحد ميادين العاصمة فلما لم يجد الاعتراف بهذا الفضل جمع « مستنداته » ضمن هذا الكتيب الرشيق الذى جعل موضوعه عنوانه « لمحة عن مشروع إعادة كتابة التاريخ القومى » وأول هذه المستندات أنه قد نشر فى جريدة الأهرام فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧ كلمة ينادى فيها بإقامة التمثال ..

والجليل أن هذا « المظلوم » كان منصفاً فنشر فى كتيبه تعليق الصحفى العجوز للرسوم توفيق صليب على هذه الكلمة واعتبره شريكاً فى فضل هذه الفكرة .

ألا ترى معنى أن هذا الرجل الفاضل يضع أصابعنا على حقيقة خطيرة هى أن الظلم أنواع أخطرها الظلم الفكرى وأن الظلم لا عمق له إلا بالشعور به .. أما الذين لا يشعرون بأنهم مظلومون فهم السعداء حقاً ..

مريم :

ومن الظلم فى هذا الأرشيف أن غالبية الأسماء فيه أسماء رجال .. لماذا ؟ .. أليست فى الأرشيف الذهبى أسماء نساء ؟ .. إن فى أرشيفى

الصحفى اسم سيدة كان من الظلم فى تاريخ الصحافة للمعاصرة ألا يذكر اسمها . . هذه السيدة هى المرحومة مريم خالد ..

فى ربيع سنة ١٩٥٥ ذات يوم زارتنى فى مكتبى بجريدة القاهرة سيدة شابة يختلط شبابها بشيء من الوقار ، كما يختلط النوثب ييريق الذكاء فى عينها ، وقدمت إلى خطاب تعريف بها من صديق يشغل مركزاً جامعياً مرموقاً فى الإسكندرية . قال الصديق فى خطابه أن هذه السيدة الشابة هى زوجة زميله فى مراكز الأستاذية بالجامعة الإسكندرية وأنها قد قامت بها بعض الدراسة « العلمية » فى جامعة لندن ، لكنها تركت الدراسة كي تتفرغ للزوجية والأمومة . . وفجأة ظهرت عليها ملامح الصحافة . . لكن من الذى يصدق أن هذه السيدة التى بلغت الثلاثين أو جاوزتها يمكن أن تبدأ من جديد .

وضع صديقى هذا السؤال أمامى . . فسألته بدورى عن سر اهتمامها بالصحافة ، وكل الذى يحيط بها كسيدة يوحى بأنها فى غنى عن هذه المهنة . فهى زوجة أستاذ جامعى لامع وهى مشغولة بتربية الأولاد ، وهى كما فهمت — عضو فى غالبية الهيئات الاجتماعية بالعاصمة الثانية . .

قالت إن اشتراكها فى الأنشطة العامة بالإسكندرية هو الذى يشدها للصحافة إن الصحافة فى القاهرة لا تعطى لهذه الأنشطة الإسكندرية حقها بالكامل ، ولقد كان هذا صحيحاً بالفعل إذ ذاك . . لكن : هل تستطيعين يا سيدتى تغطية هذا الجانب صحفياً ؟ وهل سبق لك أن مارست الكتابة فى الصحف ..

قالت : كلا . . لكننى سأجرب ، وإلى أن تنجح التجربة فأنا لا أطالب الجريدة بأى التزام بى من الناحيتين الأدبية والمادية .

وهكذا عرضت هى ما كان يمكن لى أن أعرضه ، فقبلت هذا العرض منها . . وانصرفت . . وبعد أسبوع وجدت فى بريدى أولى رسائلها . . كان شيئاً عجيباً حقاً . . لقد كانت أولى رسائلها مجموعة أخبار وتعليقات تمثل مصغر جريدة تنطق بلسان اسكندرية . . !

وخطر لى أن أبلغ فى امتحانها . . كانت فى ميناء اسكندرية غواصة روسية زائرة محظور على الصحفيين أن يقربوا منها — فقلت لها : آه لو استطعت الكتابة عن هذه الغواصة . .

وفى مساء ذلك اليوم كان مجتمع الصحفيين السكندريين يتحدث عن الصحفية الجديدة « مريم خالد » التى استطاعت أن تتخطى المحظورات وأن تركب الغواصة التى لم يستطع غيرها مجرد الدنو منها . .

واستحقت مريم علاوة بعد علاوة . . وجاءت إلى القاهرة لتشكر . . وبينما هى فى طريق العودة تجتاز ميدان محطة مصر فى يوم عيد الأم سنة ١٩٥٨ . . إذا بحجر يسقط على رأسها فيقضى عليها ، كى تتم هذه الحياة الصحفية الحاطفة بميتة كميته الشهداء . .

موت :

بهذه المناسبة تذكر أن حرف الميم الذى تبد به أعز كلمات الحياة هو البداية أيضاً فى كلمة « الموت » وإن كان المضمون الدينى للموت إنه

ابتداء للحياة في عالم آخر والمضنون الفلسفي الموت أنه تغيير مؤثر
جهاز الحياة من موجة إلى موجة ..

ومع أن كلمة الموت في ذاتها من الكلمات الثقيلة على النفس —
إلا أنها قد تكون معنى كبيراً بالنسبة للصحفيين والمؤرخين الذين
يجدون وراءها من الأخبار أضعاف ما في الحياة ذاتها .. فأى عظيم
يولد — ليس هذا خبراً — لكن أى عظيم يموت — فذلك هو الخبر
الكبير ..

إنني لست أنسى من أخبار « الموت » في حياتي الصحفية عمد قتل
للعثنين في عدوان سنة ١٩٥٦ على بور سعيد .. يومئذ كانت قيادة
الجيش للعادية تذكر عدد ضحاياها .. وفي زيارة لي لإحدى دور
السفارات الأجنبية في مصر عثرت بمحض الصدفة على نشرة مطبوعة
تتضمن صورة لعدد كبير من الالحود التي أعدت في باريس لضحايا
الجيش الفرنسي في بور سعيد .. وكانت هذه النشرة في وضع ههمل
منعني من الاستحواذ عليها وفي اليوم التالي نشرت جريدة القاهرة التي
كنت أراس تحريرها صورة كبيرة على عرض الصفحة الأولى وقد
ظهر في هذه الصور عدد الالحود الكثيرة جداً التي كتبت عليها أسماء
قتلى بور سعيد .. ونشرت الجريدة تحت هذه الصورة عنواناً كبيراً
هو : عدد ضحايا للعثنين .

وما أن ظهرت الجريدة في الأسواق حتى أحدثت هذه الصورة
ضجة كبرى لدرجة أن مراجع مسؤولة في مصر سألتني عن مصدر هذه
الصورة التي اعتبرت ضمن مستندات المعركة التي في صالحنا .. ويؤسفني

— ١٥٤ —

أن سر المهنة قد منعنى من أن أصارح هذه المراجع يومئذ بمصبرى وإن كنت قد كشفت عنه اليوم للذكرى والتاريخ .

حرف النون

نجيب :

ربما كان أكثر الأسماء النونية تداولاً هو اسم « نجيب » . . أنا وحيدى أعرف فى الوسط الصحفى وحده عشرة زملاء يحملون هذا الاسم . بعضهم من جيل سابق وبعضهم معاصرون وهم الرحومون أحمد نجيب صاحب مجلة العالمين ونجيب ولاية صاحب « الجريدة التجارية » والزميلان — أطال الله بقاءهما — مصطفى نجيب للمدير بآباء الشرق الأوسط ، ونجيب المستكاوى المحرر الرياضى بجريدة الأهرام ثم خمسة آخرون يحمل كل منهم اسم نجيب ، وهم للرحومون : نجيب هاشم « الأهرام » ومحمد نجيب « اللقطم » ومحمد نجيب « الوادى » ومحمد نجيب « وكالات الأنباء » . ثم الزميل محمد نجيب « النساء » أطال الله بقاءه . . وليس من شك أن هناك « نجباء » آخرين من زملائنا الصحفيين لكن هؤلاء العشرة هم الذين أعرف لكل منهم قصة سأروى منها قصتين :

كان أحمد نجيب صاحب جريدة الوادى أحد اثنين من الصحفيين لم يخلعوا السواد يوماً واحداً منذ وفاة مصطفى كامل فى سنة ١٩٠٨ . . أما الثانى فهو للرحوم عبد الحليم الغمراوى . . وكان مقر جريدة الوادى على ناصية سوق الفوالة بشارع الساحة — شارع رشدى الآن —

وقد اتخذت بائعة الفجبل مقراً لها إلى جانب باب الجريدة . . وذات يوم كان في زيارة الأستاذ أحمد خيرى سعيد بدار الوادى أحد الضيوف العرب ، وعند انصرافهما معاً لاحظ الضيف مجلس بائعة الفجبل على باب دار الجريدة . . فقال له خيرى ضاحكاً كأنك لا تعرف أهمية هذه البائعة إنها التى يقول فيها أمير الشعراء شوقى « يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الأحلام من ذكراك » وكانت نكتة شغلت الأوساط الأدبية حيناً .

وكان نجيب هاشم «الأهرام» مندوب جريدته في وزارة الأشغال — وزارة الري الآن — وذات يوم لاحظ الوزير أن أبناء الوزارة تسرب إلى جريدة الأهرام قبل أن تصبح قرارات نهائية فأصدر تعليماته بالألا يستقبل الموظفون رجال الصحافة في مكاتهم ، واستدعى في نفس الوقت مندوب الأهرام «نجيب هاشم» وطيب خاطره بأنه هو — أى الوزير — سوف يتولى بنفسه إعطاءه الأخبار .

وفهم الصحفي بذلك أنه فى هذا التلطف خطراً على نشاطه الصحفي فقال للوزير — وكانا كصديقين : شكراً « لمعاليك » فأنا أستطيع أن أحصل على أخبارى دون أن أضيع وقتك .

ضحك الوزير وهو يقول لصاحبه . . لعلك لا تعلم أن أحداً غيرى فى هذه الوزارة لن يعطيك أى خبر ابتداء من اليوم ؟ قال مندوب الأهرام للوزير : ومن قال « لمعاليك » أتنى سأحصل على أخبارى من غيرك ؟

قال الوزير : أستحصل على الأخبار منى دون علمى !!

قال الصحفي : هكذا تقريباً .

واستشاط الوزير غضباً .. واعتبر المقابلة بينه وبين مندوب الأهرام منتهية .. وفي اليوم التالي وجد على الصفحة الأولى من جريدة الأهرام خبر مشروع من مشروعات الوزير كان يتكتمه لدرجة أنه كان يكتب تفاصيل هذا المشروع بخط يده دون الاعتماد على أحد من الموظفين ..

وتساءل الوزير : هل مندوب الأهرام يشتغل بالسحر ؟ !

لم يكن مندوب الأهرام ساحراً بالطبع . . لكنه حين دخل مكتب الوزير في هذا اليوم لاحظ أن « معاليه » قد أسرع إلى تجفيف ورقة كان يكتبها فعلاً ، فانطبعت أسطر هذه الورقة على المنشقة العريضة البيضاء التي كانت توضع على المسكاتب قديماً . . وقد تصادف أن الحائط خلف كرسي الوزير كان محلي بمرآة كبيرة ، فإذا بمحمد نجيب مندوب الأهرام القديم يرى سطور الورقة التي تعتمد الوزير إخفاءها وقد انعكست من المنشقة على المرآة . . فحفظها بذاكرته . . وما أن بارح مكتب الوزير حتى أعاد تدوينها من الذاكرة . . وكانت هذه الأسطر هي مضمون الخبر الذي نشره مندوب الأهرام وظنه الوزير من السحرة .

ومنذ ذلك اليوم بدأ هذا الوزير يستعين بنجيب « الأهرام » ليحل له مشاكله بسحره . .

سر وزارة سرى

من مفاتيح اللغة العربية أن حروفها الهجائية كثيراً ما يتشكل منها حروفان متتابعان أو أكثر في كلمة من الكلمات .. إن هذا يبدو وانحياً من أول حرف في الأبجدية العربية ، وهو حرف الألف الذي يشكل مع الحرف التالي له مباشرة ، وهو الباء ، كلمة « أب » والحروف الثلاثة الأخيرة ، وهى الهاء والواو والياء ، تشكل كلمة من أجل وأعنف كلمات اللغة وهى كلمة « هوى » .. إن « الهوى » بمعنى « الحب » قد شغل جميع آداب العالم ، وللهوى فى الأدب العربى مؤلفات كثيرة جداً ، وأغلب هذه المؤلفات لها اتجاهات درامية عنيفة مثل قصة « قيس وليلى » القديمة .. ولا تزال هذه النزعة الدرامية فى « أدب الهوى » تسرى فى الأدب العربى حتى الآن .. إن أشهر مؤلفات « الهوى » فى لغة القرن العشرين العربية هو كتاب « العبرات » للنفلوطى ، وكتاب « مداهع للعشاق » لىزكى مبارك ، وكلاهما قد ظهر فى العشرينات .. وقد بلغ من عناية المرحوم الدكتور زكى مبارك بأدب الهوى أنه قد اتخذ منه شعاراً للتنحية ، فكانت تحيته للأصدقاء فى الصباح هى « صباح الهوى » وفى المساء هى « مساء الهوى » .

على أن لهذه الأحرف الثلاثة بالذات اتى تتألف منها كلمة (هوى) علاقة وثيقة بالصحافة .. فى مقدمة المجلات التى كانت متخصصة فى تاريخ الأدب وأدب التاريخ مجلة الهلال) اتى أصدرها جورجى زيدان

في القاهرة سنة ١٨٩٢ .. وفي مقدمة المشتغلات بالصحافة من المصريين السيدة .. هند نوفل التي اصدرت مجلة (الفتاة) سنة ١٨٩٢ ايضاً بمدينة الاسكندرية .

اما عن حرف الواو فإن أول جريدة سياسية شعبية لها طابع الصحافة اليومية في مصر هي جريدة (وادى النيل) انى رخص لها بالصدور في سنة ١٨٦٦ تم انتظم صدورها في العام التالى لصاحبها عبد الله أبو السعود .

واما عن حرف الياء ففي الجيل الأول من تاريخ الصحافة المصرية نجد اسم (يعقوب بن صنوع) الذي كان يصدر جريدة (ابو نظاره) وفي الجيل الثانى نجد اسم (يعقوب صروف) الذي اصدر مجلة المقتطف مع زميله فارس نمر بالقاهرة سنة ١٨٨٥ وكانت تصدر من قبل بيروت سنة ١٨٧٦ .. وقد اندجج اسما هذين الزميلين في تاريخ الصحافة إلى درجة كانت تدعو إلى الخطأ في نسبة ما لأحدهما إلى الآخر . . انا نفسى قد وقعت في هذا الخطأ فنسبت مرة إلى يعقوب صروف ما كنت اريد ان اكتبه عن فارس نمر . ولم يكتشف احد هذا الخطأ إلا من كلمة (باشا) ففارس نمر هو الذى كان (باشا) .. أما يعقوب صروف فكان دكتوراً في العلوم والآداب . بل كان من ألمع علماء عصره .

حرف الهاء

هاشم :

إذا تخطينا دائرة الصحافة إلى دائرة السياسة — وهما دائرتان متداخلتان نجد أن السياسى الشاب الذى لمع بين أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات اسمه هاشم .. والاسم بالكامل هو الدكتور محمد هاشم الذى شغل فى هذه الفترة ، وهى من أدق فترات تاريخنا السياسى المعاصر ، منصب وزير الدولة ثم وزير الداخلية ، وقد كان منصب وزير الداخلية فى الماضى هو أخطر المناصب الوزارية ، ولهذا كان يندر أن يتولاها وزير غير رئيس الوزراء . . لكن رئيس الوزراء فى الوزارة التى تولى فيها هاشم هذا المنصب هو حموه المهندس حسين سرى رحمه الله .

كان هاشم من أغنياء محافظة القليوبية ، لكنه كان من قلة الشباب الأغنياء الذين عنوا جداً بالدراسة ، فحصل على الشهادات التى أهلته لأن يكون مدرساً بكلية الحقوق ، ومع هذا فإن تقاليد الأسر الموسرة فى الماضى قد غيرت مجرى حياته العلمية ، إذ كان لابد أن يشرح نفسه لعضوية البرلمان لى يكون نائب دأترته .. حدث هذا فى يناير سنة ١٩٤٥ ، وكان فى الثلاثين من عمره ، فتغير منذ ذلك التاريخ نشاطه من الحياة الجامعية إلى الحياة البرلمانية التى لمع فيها اللمعة التى أهلته ، إلى جانب ثروته ، لأن يصاهر أحد رؤساء الوزارات المصاهرة التى دفعت به إلى منصب الوزارة ..

ويوم تولى هاشم منصب الوزارة انصب عليه كل هجوم الصحف

التي كانت تعارض حماء لدرجة أن صحيفة أخبار اليوم كتبت ذات يوم مقالا عريضاً بعنوان (اخرج أيها الوزير الصغير) .

لكن الوزير الصغير برهن على قدر كبير من الكياسة .

حرف الواو

وفد :

أن أخطر (واو) في التاريخ السياسي للجبل الماضي هو واو (الوفد) .. ففي شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ تألفت هيئة من السادة ، سعد زغلول ، علي شعراوي ، عبد العزيز فهمي ، محمد علي علوبة ، عبد اللطيف المسكباتي ، محمد محمود ، أحمد لطفي السيد — للدفاع عن حقوق الوطن وطلب إلغاء الحماية البريطانية على مصر وإعلان الاستقلال .. ولم تسم هذه الهيئة نفسها حزباً حتى تحصل على إجماع الأمة .. وهي بالفعل الهيئة التي وقع ملايين المواطنين على توكيلها في هذا الدفاع .. لكن خمسة من هؤلاء السبعة الموكلين من الأمة قد شكلوا بعد أربع سنوات حزب الأحرار الدستوريين ، وكان علي شعراوي « باشا » قد توفي في هذه الفترة ، فلم يعد في (الوفد) من السبعة الذين وكلتهم الأمة ، إلا سعد زغلول . وكان سعد كان قد استحوذ على عواطف الجماهير كما كان الوفد قد ضم إليه أعداداً أخرى من الساسة . فظل بزمامة سعد . هو حزب الغالبية إلى آخر حياة سعد في سنة ١٩٢٧ كما ظلت هذه الغالبية ممتدة ، بعد سعد زغلول ، إلى جيل آخر ..

— ١٦١ —

وقد تولى حزب الغالبية — أى الوفد — الحكم خلال الفترة الواقعة بين أوائل سنة ١٩٢٤ وأوائل سنة ١٩٥٢ ، أى خلال ثمان وعشرين سنة ستة مرات .

وفى كل وزارة من هذه الوزارات قامت مفاوضات مع الإنجليز لتحقيق الجلاء — وقد فشلت كل هذه المفاوضات عدا مفاوضات سنة ١٩٣٦ ، التى اشتركت فيها الأحزاب جميعاً وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التى ألغتها حكومة الوفد نفسها على أثر نشاط الفدائيين فى منطقة القناة حيث كانت توجد القاعدة العسكرية البريطانية .. وذلك فى خريف سنة ١٩٥١ بالرغم من أن المدة المحددة لهذه المعاهدة كانت عشرين عاماً .



الياب الثاني

ألف باء الصّحافة

مهنة البحث عن المتاعب

ليس معقولا أن أكتب هذه الحلقات كلها من « الأرشيف الصحفي » دون أن يرى القراء في هذا الأرشيف صورة الصحافة ذاتهم .. أننى سأقدم في هذه الحلقة وما يليها جانباً من أرشيف للمهنة بكل ما يمكن عرضه من أسرارها . ولحسن الحظ أن ما من مهنة لها من الصلة بالناس ، كإحدى الصحافة من الصلات ، أنها للمهنة التي تطرق الباب على كل مواطن .. فمن حق كل مواطن أن يعرف بعض ما يعرفه الصحفيون عن مهنتهم بالقدر اللازم للحياة العامة وللعلومات العامة التي تعتبر في هذه الرحلة من تاريخ حياتنا زاداً نستقبل به الأحداث لنفهمها ولنعضها ولنعرف كيف تقدم الصحافة هذا الزاد إلينا . وفي هذه الحلقة وما يليها كل ما أستطيع عرضه على القراء أو ربطه بالقراء ابتداء من الألف إلى الياء .

حرف الألف

إفتتاحية :

كل جريدة لها سياسة ولا تظهر هذه السياسة كما تظهر في مقالها الافتتاحي أى في مقالها الرئيسى .. وقد كان المقال الرئيسى في صحف الجيل الأسبق يشغل الصفحة الأولى بكاملها .. ثم تطور حجم هذا

المقال مع تطور الطباعة ، فأصبح يشغل النهرين الأولين - إلى اليمين - من الصفحة الأولين . ومع تعدد مدارس الإخراج الصحفي انتقل للمقال الافتتاحي من اليمين إلى اليسار في الصفحات الأولى .. فلما ظهرت جريدة السياسة اليومية في آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ اتخذت للمقال الافتتاحي مكاناً آخر ، هو يمين صفحة اليسار من صفحتي الأخبار الداخلية في قلب الجريدة ، ثم صار هذا المكان تقليداً اتبعته جريدتا الأهرام والبلاغ ، وظلت الصحف الأخرى محتفظة بمكان المقال الافتتاحي على الصفحة الأولى ..

ولعل أخطر مقال افتتاحي ظهر في الجيل الماضي هو مقال أمين الرافعي صاحب جريدة الأخبار « الأولى » في خريف سنة ١٩٢٥ نادياً فيه بأن البرلمان للنحل آن له أن يعقد - بنص الدستور - في موهد انعقاده بأخريات شهر نوفمبر طالما قصرت الحكومة في دعوة الناخبين لتشكيل برلمان آخر في المدة التي حددها الدستور ..

لقد رج هذا المقال جميع الدوائر السياسية في مصر وبريطانيا .. وأخذ به سعد زغلول ومن معه ، فعقدوا اجتماعاً لبرلمانهم .. البرلمان للنحل .. تنفيذاً لأحكام الدستور التي نههم أمين الرافعي إليها بكل تفاسيرها الفقهية .. واضطرت الحكومة إلى دعوة الناخبين لتشكيل برلمان جديد ..

الإخراج :

أهم ما امتازت به صحافة مصر ابتداء من سنة ١٩٣٦ عن صحف ما قبل هذا التاريخ هو ظهور فن الإخراج الصحفي على صفحاتها:

كان الإخراج الصحفى قبل سنة ١٩٣٦ متروكاً لرؤساء المطابع يتفننون فيه بدوتهم فى حدود تعليمات للشرفين على التحرير من تقديم وتأخير .. لكن للصحافة المصرية ، ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة ظهور جريدة « للمصرى » ، بدأت تضع فن الإخراج موضع المنافسة فيما بينها ، وفى سبيل هذه المنافسة بدأ ظهور المحررين للتخصصين فى فن الإخراج .. وكان الزميل جلال الحماصى من أبرز أولئك المحررين ..

الاعلانات :

لم تجد الصحافة مورداً يقيم أودها ، حتى الآن ، كمورد الإعلانات .. يكفى أن تعلم أن جريدة نيويورك تيمس . كبرى الصحف الأمريكية ، كانت إلى منتصف سنة ١٩١٧ ضد الصهيونية ، وضد مشروع وعد بالفور الذى أعلن فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .. لكن الإعلانات الصهيونية استطاعت أن تحول جريدة نيويورك تيمس من النقيض إلى النقيض ، فلا توجد الآن صحيفة فى الدنيا تسند الصهيونية كما تسندها جريدة نيويورك تيمس وإن أخذت طابع الاستقلال ..

وفى مصر .. كان أكبر متخصص فى الإعلانات الصحفية رجلاً يهودياً اسمه البيرانكونا .. كان البيرانكونا حجة فى هذا الفن .. وقد شغل منصب مدير الإعلانات بدار الهلال عشرات السنين .. إلى أن فر من مصر بعد صدور قانون تنظيم الصحافة فى مايو سنة ١٩٦٠ ..

يكفى لى تعرف بروز هذا الرجل فى فن الإعلان الصحفى أن أن منتهى المذهب الإدارى الجديد فى الصحافة المصرية ، وهو الدكتور سيد أبو النجا ، حينما انتقل من كراسى التدريس بجامعة اسكندرية

إلى كرسى الإدارة فى الصحافة اليومية رأى لزماً عليه أن يدرس كل
تحرركات البيرانكونا ..

ويتما كان سيد أبو النجا يجلس على كرسى الإدارة بإحدى
المؤسسات الصحفية منذ عشرين عاماً جاءه شاب صحفى يقول له : لقد
تخرجت فى كلية الآداب ، واشتغلت محرراً بمرتب قدره خمسة عشر
جنيهاً . بينما أرى أن موظفى الإعلانات الذين ليست لهم ثقافة مثل ثقافتى
يربحون ربما أضعاف هذا المبلغ — فكيف يحدث هذا ؟؟ ودخل
فى هذا الأثناء شاب مغلط الجنسية يحمل فى يده حقيبة ليقدم — للسيد
المدير جسيمة يومه . . فإذا بها ألوف ، وإذا بنصيه من هذه الألوف
عشرات الجنيهات .. فى يوم .. فالتفت أبو النجا للشاب المحرر للثقف
قائلاً أما آن للشبان المصريين أن يدركوا أن هناك ثقافة أخرى لها صلة
بدنيا الأعمال ؟؟ ومنذ هذا اليوم تحول الشاب « المحرر » إلى منتج
إعلانات .. وقبل مضى عام كان دخله فى الشهر أكثر من دخله كمحرر ،
فى السنة كلها .. هذا الشاب هو الأستاذ عبد الله عبد البارى مدير
إدارة الإعلان بجريدة الأهرام ..

سألنى بعض الأصدقاء عن «الإعلانات» هل تعتبر الإعلانات مادة
صحفية تستحق أن تقاسم المسادة التحريرية حيزها على صفحات
الجريدة ؟ . . والجواب نعم .. ليس فقط لأن الإعلانات هى المورد
الأساسى للصحف . بل أيضاً لأن الإعلانات قد أصبحت فى عصر النهضة
للصحفية مادة إعلامية يفيد منها القراء .. لقد ارتفعت الإعلانات فى
مستواها الفنى أحياناً إلى مستوى التحقيقات الصحفية . بل إن بعض

هذه التحقيقات التي يتمتع بها القارئ تنشر أحياناً من باب الإعلانات . .
 إن بين يدي الآن العدد الأخير من جريدة « شيكاغو تريبيون » وهو
 عدد ممتاز يتألف من ٣٦٠ صفحة . . وقد أحصيت الإعلانات في هذا
 العدد فوجدتها تستغرق ٢٧٩ صفحة من صفحاته اثلاثمائة وستين .
 لكن بعد أن كنت قد قرأت الكثير من هذه الإعلانات وكأنها مادة
 تحريرية . . وقد رأيت أن أوضح هذه الحقيقة الفنية الحديثة في مهنة
 البحث عن المتاعب . قبل أن انتقل إلى حرف الباء .

حرف الباء

بنات :

ليس في حرف الباء بأرشفة مهنة الصحافة ما هو أهم من كلمة
 (بنات) . . . فالبنات كصحفيات محترفات عنصر جديد في الصحافة
 العربية وقد ظهر هذا العنصر . على استحياء بقيادة الزميلة الأستاذة
 أمينة السعيد في منتصف الثلاثينات ، وكان من أسباب إنتشار هذا
 العنصر : اعتماد أخبار اليوم ، منذ ظهورها في سنة ١٩٤٤ نصف الاعتماد
 على البنات وإنشاء قسم الصحافة بكلية آداب جامعة القاهرة في سنة
 ١٩٥٤ وتخرجه مئات البنات للثقافة ثقافة صحفية ابتداء من سنة ١٩٥٨ . .
 هذه حقيقة بالنسبة للجيل الصحفي المعاصر . . أما الحقيقة بالنسبة لتاريخ
 الصحافة فهي أن البنات المصرية قد أقدمت على ميدان الصحافة منذ سنة
 ١٨٩٢ — حيث أنشأت السيدة الشابة هند نوفل مجلة (الفتاة) بمدينة
 الاسكندرية . ثم أخرجت المحامية الشابة الآنسة منيرة ثابت مجلة (الأمل)
 في سنة ١٩٢٦ . . على أن هناك فارقاً واضحاً بين بنات الصحافة في

الجيلين .. كانت بنات الجيل القديم لا يجدن صحفا تقبلهن محررات .
 فينشأن الصحف لحسابهن .. أما بنات جيلنا فإن جميع أبواب الصحف .
 قد فتحت أمامهن كمحركات .

حرف التاء

تحقيق :

من المواد المعروفة المقروءة في الصحف مادة التحقيقات الصحفية .
 وهناك ظن خاطيء بأى (التحقيق الصحفى) من مبتكرات جيلنا ..
 الواقع أن أول وأخطر تحقيق صحفى ظهر فى الصحافة المصرية ، حتى
 الآن ، هو التحقيق الصحفى الذى قامت به جريدة الاواء لصاحبها
 مصطفى كامل ، وفى شهر يونيو سنة ١٩٠٦ .. وهو التحقيق الصحفى
 الخاص بحادث دنشواى وتعليقات مصطفى كامل عليه لى انتهت
 بسحب أخطر (معتمد) بريطانى وهو اللورد كرومر .

تصحیح :

(فن التصحيح) هو صناعة جنود المجهولين فى الصحافة .. فنحن
 الذين نكتب فنسهب عن كثير . فإذا بالمصحح هو الذى ينقد الموقف
 أمام القارئ : . . ولقد تسببت آلة اللينوتيب فى كثرة الأخطاء .
 للطباعة التى تنسب للمصححين سواء كانوا مخطئين أو مظلومين . . أما
 فى الماضى فقد ظهر عدد من المصححين الأفذاذ .. أذكر منهم — على

سبيل المثال — للرحوم الأستاذ عبد الرحيم محمود .. إن غالبية كتب الدكتور هيكل مذبذبة بكلمات الثناء على هذا المصحح الجليل .
على أن كلمة (تصحيح) لها في الصحافة وجه آخر ، هو تصحيح الوقائع من جانب العالمين ييوطن الأمور لما اضطر إلى نشره ، متضباً ..
وأنا أفضل أن نسمى هذا التصحيح بكلمة (تصويب) ..

توزيع :

لم تظهر إدارات التوزيع وشركاته في دور المصحف إلا في الثلث الثاني من القرن العشرين .. كانت (التوزيع) قبل ذلك صناعة « للتعهدين » .. وكان أخطرهم هو المرحوم (الفهلوى) — لقد كان (للعلم الفهلوى) رجلاً لا يقرأ ولا يكتب .. لكن مقدرات مهنة الكتابة والقراءة كانت بين يديه إن شاء حقق لها الزواج ، وإن شاء حقق لها الكساد .. وكثيراً ما كانت بعض حكومات الطفيان تلجأ إلى أمثاله للقضاء على رواج أية جريدة .. لكن كثيراً أيضاً ما كانت وطنية أولئك الرجال تمنعهم من إجابة هذا الطلب اختياراً .

حرف الثناء

ثورة :

كانت صناعة الصحافة في الماضي هي صناعة الغنى بالنسبة لأصحاب الصحف وصناعة الفقر بالنسبة لمحريها .. لقد كان مرتب المحرر في

جريدة المقطم في العشرينيات ثلاثة جبهات ، بينما كان رصيد صاحب الجريدة في البنوك وغيرها ثلاثة ملايين من الجنيهات .
 لكن ما من ثورة من ثوراتنا التاريخية منذ مائة عام إلا وكانت الصحافة أحد أضلاعها .. عرابي احتضن جريدة (الطائف) لعبد الله النديم .. مصطفى كامل أنشأ صحيفة اللواء قبل أن ينشئ حزبه .. سعد زغلول كان في مقدمة ما اهتم به عند قيام ثورة سنة ١٩١٩ أن يعقد اتفاقاً مع جريدة (الأهالي) لعبد القادر حمزة .. وثورة سنة ١٩٥٢ أنشأت جريدة الجمهورية .. الخ ..

حرف الجيم

جريدة :

لم تنشأ كلمة (جريدة) من النشأة الأولى للصحافة العربية .. كان الصحفيون العرب الأوائل يستخدمون الكلمة الأفرنجية .. كلمة (جورنال) .. بل إن جريدة الوقائع الرسمية التي كانت تصدرها الدولة في مقدمة القرن التاسع عشر بمصر كان اسمها الأول (جورنال الحديوى) .. لكن كلمة (جريدة) أخذت مكانها اللغوية كما ينبغي لها أن تكون منذ أنشأ لطفى السيد جريدة (الجريدة) .

جمع :

في الصحافة تأخذ كلمة (جمع) معنى غير معناها في مختلف الأوساط الأخرى .. فكلمة (جمع) في الصحافة تعني جمع حروف للطبعة في

كلمات وجمع الكلمات في أسطر ، ثم جمع الأسطر في صفحات .
 كان جمع الحروف في مطابع الصحف قبل حيل يتم بيد العامل ، ..
 أما الآن فيتم بواسطة آلات اللينوتيب .

لقد أحدثت آلات اللينوتيب انقلابا اقتصاديا واجتماعيا في دنيا
 الصحافة .. كانت مجموعة صناديق حروف للطباعة قبل عصر اللينوتيب
 تقدر بحوالى ثلاثين جنيا بينما يقدر ثمن آلة اللينوتيب الواحدة
 بثلاثة آلاف جنيه ، ولا أقل من عشر آلات لينوتيب في أية مطبعة
 من مطابع الصحف . ولكل مؤسسة صحفية الآن أكثر من مطبعة ..
 وكان عامل الجمع قبل عصر اللينوتيب يتقاضى عشرة قروش ، كحد
 أدنى . في عشر ساعات . بينما عامل اللينوتيب يتقاضى الآن سبعين قرشا
 كحد أدنى في سبع ساعات .. كان عامل الجمع القديم يرتدى جلبابا
 وينتعل قبقا . بينما عامل اللينوتيب الحديث يرتدى القميص والبنطلون
 ومنتعل حذاء حديثا ..

ثمن الجريدة :

ولا يفوتنى أن أذكر شيئا ونحن في حرف الثاء من أرشيف مهنة
 الصحافة .. هذا الشيء هو .. ثمن النسخة الواحدة من الجريدة .
 كان هذا الثمن — إلى ما قبل مقدمات الحرب العالمية الثانية خمسة
 مليات .. أى أن ثمن النسخة من الجريدة اليومية للمصرية ظل حوالى
 سبعين سنة نصف قرش ولا يزيد ولا ينقص .. ثم زاد في الثلاثين سنة
 الأخيرة من نصف قرش إلى قرش ونصف قرش ثم إلى قرشين ،

وكان القارىء فى هذه الزيادة هو الرابع ، لأن زيادة عدد الصفحات ابتداء من سنة ١٩٤٥ ومضاعفة مواد الصحف نتيجة لحروف المطبعة الصغيرة يوازى عشرة أمثال ما كان يحصل عليه القارىء حينما كانت النسخة الواحدة من الجريدة اليومية بخمسة مايمات .

وبصرف النظر عن أن أسعار بيع الصحف فى مصر تعتبر أقل أسعار العالم كله فإن ثمن النسخ المباعة للقراء أقل .. وأحيانا أقل بكثير . من ثمن ورق هذه النسخ .. أنه بالتقريب يوازى ثمن الخبر فقط .. وبهذه المناسبة ندخل الآن فى حرف الحاء ..

حرف الحاء

حبر :

ليس هناك ما هو أهم من « حاء » الحبر فى أرشيف مهنة الصحافة ، فالحبر بالنسبة للصحافة كالماء بالنسبة للزراعة . وكما أن الزراعة بغير الماء مستحيلة ، وللأسف نجد أن صناعة الحبر إلى ما قبل النهضة الصناعية فى بلادنا عبر الخمسينيات كانت لا وجود لها عندنا .

إن المهتمين بفنون الإحصاء كثيرا ما يتحدثوا عن صلة الصهيونية العالمية ، أو اليهودية العالمية . بصحافة العالم الغربى وتمكن هذه الصلات بالكثرة من مؤسسات هذه الصحافة .. كل إنسان عادى إذا قرأ هذه الإحصاءات يحسب أن الصلة هنا صلة النشر .. مع أن هناك ما قد يكون أحيانا أخطر من النشر .. هناك الحبر ..

ذات يوم من أيام سنى الحرب العالمية الثانية ، وكنت حينئذ رئيساً لتحرير جريدة السياسة الأسبوعية ، قيل لى أن مخزون الجريدة من الحبر قد انتهى أو أوشك على النهاية ، وأن أحداً لا يريد أن يبيع لجريدتنا حبراً . . وعجبت لماذا لا يبيعوا لنا حبراً ؟ ثم تبين لى أن السبب يرجع إلى مقال عنيف كتبه ضد الصهيونية .

كانت الصهيونية تحاربنا بالحبر . . والحمد لله أنها لا تستطيع الآن أن تحاربنا بهذا السلاح أو غيره إلا وتصدينا لها :

حروبى :

كانت الحرب دائماً عنصراً من عناصر اللادة الصحفية . . وكانت صحافة الجيل الأسبق تعتمد فى أنباء الحروب على وكالات الأنباء الأجنبية . . أما صحافة جيلنا فقد أدخلت على تخصصات المحررين تخصصاً جديداً هو تخصص المراسل الحربى . . لقد ظهر المراسلون الحريون المصريون لأول مرة فى حرب فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨

لقد كان مراسلون الحريون إذ ذاك يتدربون تدريباً عسكرياً لبضعة أسابيع ويلبسون ثياب ضباط الاحتياط .

وعلى أية حال كانت الصحافة دائماً فى مقدمة المهن للمشاركة فى المهام الحربية . . وكانت صحافتنا بالذات فى عداد أسلحة النصر على العدوان الثلاثة سنة ١٩٥٦ وهى التى تكشف الآن خطط العدو وتحركاته وأهدافه وتنضم إلى أسباب الاعداد لإذابة هذه الخطط .

حبس :

لقد كان الحبس صفة من الصفات للمقترة بصفات العمل الصحفي في النصف الأول من القرن العشرين .. إنما لا نكاد نجد في تاريخ الصحافة خلال هذه الفترة صحفياً متفرغاً ذا قلم وعقيدة إلا وعرف الحبس ولو مرة واحدة ، لقد تم في الماضي حبس الصحفيين الكبار عباس محمود العقاد ، ومحمد التابى ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمود عزمى وغيرهم ، وحبس الصحفيين الشبان : إحسان عبد القدوس ، وأحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفتحى رضوان وغيرهم .. بل لقد حبست الصحفية السيدة روز اليوسف بضعة أيام .. وهؤلاء الذين نذكرهم ليسوا إلا نماذج لعشرات من أمثالهم ممن عرفتهم السجون وعرفوها في سبيل مهنة البحث عن المتاعب .

حرف الخاء

خبر :

أول خاء في أرشيف مهنة الصحافة هو خاء كلمة « خبر » :

فالخبر في الصحافة هو الزاد اليومى الذى تقدمه للقراء . وهما كانت للسادة التى تحتوى عليها الصحيفة فإن القارئ إذا لم يجد بها خبراً يهيمه قال إن صحيفته اليوم ليس فيها شيء .

إن الخبر الذى يقرؤه القارئ فى أقل أو أكثر من دقيقة قد يكلف الجريدة مئات الجنيهات أجور طائرات وبرقيات ومواصلات

أخرى لعدد من المحررين .. بل قد يكلف بعض المحررين حياتهم .
لقد نشرت في جريدة القاهرة مساء يوم ١٣ يولييه سنة ١٩٥٨
خبراً ، ولكن هذا الخبر كان قد احتاج منى بضعة أشهر للحصول على
المعلومات .. وكان هذا الخبر هو « العراق على أبواب الثورة » ..
وبعد منتصف الليل قامت ثورة العراق فعلاً .. فكان أبرز خبر فى
هذا الموسم .

خبطة :

ابنكر الصحفيون للصريون للعاصرون تعبيراً صحفياً جديداً هو
« خبطة صحفية » . ومع أن هذا التعبير غير متكامل من ناحية الفصاحة
اللغوية ، إلا أنه قد أصبح المفهوم الفنى فى الصحافة للعادة الصحفية التى
تحدث ضجة فى رأى العام .. ولعل أول « خبطة » من هذا الطراز
فى جيلنا الصحفى هى خبطة « أخبار اليوم » عن تعديل وزارة صدقى
فى سنة ١٩٤٦ لقد نشرت الجريدة أنباء هذا التعديل قبل أن يعرض
على مجلس الوزراء فقامت حول هذا التعديل ضجة سياسية انتهت
بالعدول عن التعديل ، ولعل هذا العدول كان مقصوداً من وراء
الكواليس السياسية إذ ذاك ..

خط :

لم يكن لفن الخط أية صلة رسمية بالصحافة فى الأحيال السابقة
إلا فى يوم واحد هو يوم إنشاء الجريدة وكتابة « رأس الجريدة »

بواسطة الخطاط .. لكن فن الخط أصبح الآن من فنون الصحافة لدرجة أن قانون نقابة الصحفيين قد اعتبر الخطاط محرراً وعضواً في جدول الصحفيين لما جد في الصحافة من النحام بين فن الإخراج الصحفي وبين فن الخط الذي تكتب به الآن :

في صدر هذه المرحلة كانت الصحف تستعين بالخطاطين « العموميين » أما بعد ظهور مدرسة تحسين الخطوط وتخرج الإخصائيين للتقنين ثقافة عالية فقد ظهرت طبقة جديدة من الخطاطين الشبان للتخصص في العمل الصحفي . اذكر منهم المرحوم محمود السخيلي خطاط « الأخبار » الراحل ، ومحمود إبراهيم ، وقدرى عبد القادر خطاط الأهرام ، أولئك وزملاؤهم يشكلون الآن مدرسة خط صحفية تشارك الزملاء الصحفيين في تجديد معالم الشكل الصحفي .

حرف الدال

دمعة :

ورقاً كان حرف الدال من الحروف الفقيرة في دنيا الصحافة .. لكن هذا الحرف قد تغير وضعه منذ عشرين عاماً حينما استصدر قانون « لقد كان هذا التعبير شيئاً جديداً .. غريباً على المفاهيم الصحفية إلى سنة ١٩٥٠ .. فحين بدأ تطبيق هذا القانون كان موظفو إدارات الصحف يجادلون على التخلص منه .. أما الآن فإن أولئك الموظفين يضربون بدمغة الصحافة قبل المطالبة بالمبالغ للمستحقة ذاتها .

دواية :

كانت مكاتب الصحفيين القدامى لا بد من تزويدها بالمخابر التي كنا نسميها باسم « الدويان » . . كانت « الدواية » هي « المهدة » الوحيدة التي يتسلمها المحرر من إدارة الجريدة ثم يسلمها لهذه الإدارة إذا ترك عمله . . وكان المحررون يفرون من استخدام الجبر في الكتابة .. كان « القلم الرصاص » أفضل في نظرهم . . لكن عددا من كبار المحررين كانوا يرفضون استخدام الأقلام الرصاص لأنها لا تتفق مع مكاناتهم وقدرتهم على الكتابة دون تشطيب « وكان سلامة موسى أبرز محرر متمسك بالكتابة وبواسطة « الريشة » التي يغمسها في الدواة .. كان سلامة موسى والملازني أقدر كاتبين على الكتابة بل والترجمة بغير شطب .



حكايات من سر المهنة

ثبت لى أن حرف الرء من أغنى الحروف فى أرشيف مهنة الصحافة .. ربما وردت منه فى الحلقة السابقة أشياء ، و بقيت أشياء لقد بقيت على الأقل الرءاءات التى تدخل فى قاموس العمل الإدارى فى الصحف ، وأهمها رء كلة « رواج » .. فرواج الصحيفة هو الشغل الشاغل لمديرها .. ومن أهمها كلة « رزمة » فقد كانت الصحف الصغيرة فى الماضى لا تعرف وزن الورق بالطن ، كان للعروف عندها هو « الرزمة » .. وكانت رزمة الورق هى أحد الأركان الأربعة التى ينشئ عليها صحفى الأقاليم جريدة أسبوعية أو شهرية أو جريدة مناسبات .. هذا موضوع آخر بهم دارس الصحافة .. فلنعد بحرف الرء إلى ما بهم القراء :

حرف الرء

رسم :

الرسم فى الصحافة هو رسم الكاريكاتير .. وكانت الرسوم الكاريكاتيرية فى الصحف قبل خمس وأربعين سنة شيئاً ساذجاً لا يقوم به فنانون مختصون على النحو الذى كان يظهر فى مجلة (خيال الظل) التى كان يصدرها فى العشرينيات أحمد حافظ عوض صاحب جريدة

كوكب الشرق (لقد كان حافظ عوض يرى أن هذه الرسوم لاثليق
بجريدته اليومية فأنشأ لها مجلة أسبوعية ١) .

كانت رسوم الكاريكاتير على هذا النحو من البدائية ثم ظهرت
إذذاك ^{١٩٢١} مجلة الكشكول سنة ١٩٢١ واستقدمت رسام الكاريكاتير
الأسباني (سانتس) الذى لفت الأنظار برسومه فى هذه المجلة إلى
خملر الكاريكاتير فى العمل الصحفى . . لقد كانت مجلة الكشكول
تعيش على رسوم سانتس ، وبعد سانتس جاء صاروخان الأرمنى الذى
لاتزال رسومه تظهر فى صحافتنا حتى الآن . وبين مدرسى سانتس
وصاروخان ظهر نبت جديد مصر فن الكاريكاتير ، وهو محمد
عبد النعم رضا . . وغدت الرسوم الكاريكاتيرية سلاحا سياسياً خطيراً
تمسكه الصحافة المصرية .

على أننى أذكر للحق أن الرسم الكاريكاتيرى لم يعد سلاحاً إلا
بالمشاركة الفكرية من كبار المحررين الذين كانوا يضعون الفكرة
لرسامين قبل أن تصبح للرسامين مفاهيم سياسية كما هو حاصل الآن ..
ولعل أبرز الصحفيين الذين شاركوا بالفكر فى التسليح الصحفى
بالكاريكاتير هو الأستاذ محمد التابعى . . لقد كانت كتاباته فى الثلاثينيات
تشكل أفكاراً كاريكاتيرية . . ومنها وصفه لابتسامة رئيس الوزراء
إسماعيل صدقى . . لقد سمي التابعى هذه الابتسامة باسم (الكليشية)
الذى يصفه صدقى على وجهه ، فإذا بهذه الفكرة تتحول إلى رسم
كاريكاتيرى يتألف من قفل فيه فرجة كالابتسامة وفوق هذا القفل
طربوش إسماعيل صدقى إن هذا الرسم ما كان يظهر فى أية صحيفة

حتى يعلم القراء أن الكلام هنا عن السياسى الخطير اسماعيل صدقى
ولو لم يذكر اسمه تحت هذا الرسم ..

رياضة :

إن اهتمام الصحافة بفنون الرياضة اليومية ليس شيئاً حديثاً كما قد
يظن بعض ناشئة الجيل .. إن هذا الاهتمام يرجع إلى نشأة الألعاب
الرياضية الحديثة بين شبابنا وهى نشأة يرجع تاريخها إلى فترة الحرب
العالمية الأولى بين سنتى ١٩١٤ - ١٩١٨ .

وللحقيقة أذكر أن أنباء الرياضة فى هذه الفترة كانت لا تعدى
خبراً أو خبرين صغيرين .. هكذا كان حجم الرياضة نفسها إذ ذاك ..
أما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فى أواخر سنة ١٩١٨ فقد بدأ
يظهر بالتدريج نوع من التخصص الصحفى فى النقد الرياضى وكان أول
من اقترح هذا اللبدان من قدامى الزملاء هو للرحوم ابراهيم علام
الذى كان يوقع مقالاته بتوقيع (جهينة) .. وقد احتفلت نقابة الصحفيين
فى ٦ مارس سنة ١٩٦٧ بمرور خمسين سنة على اشتغال علام بالتحرير
الرياضى ..

ويجىء فى صف علام من المحررين الرياضيين محمد شمس الناقد
الرياضى . بجريدة الجازيت .. واشتغال شمس بالتحرير الرياضى فى
جريدة تصدر باللغة الإنجليزية يعطى فكرة عنه ، فهو فى مقدمة
الصحفيين الرياضيين فى الاهتمام بالشئون الدولية للرياضة . وهو للمصرى
الذى حصل على عضوية المحافل الرياضية الدولية ، وهو لم يحقق هذا

كاه إلا يذل الكثير . ومن هذا البذل أنه ترك وظيفة « مدير في » إحدى إدارات وزارة الشؤون الاجتماعية كي يتفرغ للتحرير الرياضى .

حرف الزاى

زنزانة :

يؤسفنى أن حرف الزاى فى أرشيف مهنة البحث عن المتاعب ليس فيه أشهر من كلمة « زنزانة » والزنزانة هى غرفة الحبس الانفرادى الذى عاناه غالبية الصحفيين فى النصف الأول من القرن العشرين .. وكأحد نزلاء هذه الزنازين سابقاً أرجو أن تعرف منى أنها كانت غرفة لا تزيد مساحتها عن مترين طولاً ومثلها عرضاً .. وهى ذات باب يغلق على من فيها من الخامسة مساءً إلى السابعة صباحاً ولا توجد قوة فى الأرض تستطيع فتح هذا الباب فى غير المواعيد المقررة .. وهى ذات شباك واحد يقارب سقف الممرقة شباك عليه قضبان حديدية وأسلاك شائكة . ثم هو شباك لا يغلق لا ليلاً ولا نهاراً أيّاً كانت الأحوال الجوية ، وبين الباب والشباك أرضية من الأسفلت ليس عليها إلا فراش من الخيش وكرسى من الحديد وجردلان أحدهما ماء للشرب والآخر للفضلات ..

حرف السين

سر المهنة :

أول سين في هذا الأرشيف المهني هو سين (سر المهنة) سر المهنة يعني أن هناك أشياء لا يجوز الإفصاح عنها أو إفشاؤها وكم من صحفي لو أفشى في الماضي سره لخلص من العقاب ، لكن قداسة سر المهنة كانت حائلًا دائماً دون هذا الإفشاء .. ومن أسرار المهنة التي لم يعد إفشاؤها الآن غيباً ، لأنها أصبحت تاريخاً قد يكون العيب في إغفاله أسرار بعض المقالات التي كانت تنشر بأسماء مستعارة أو غير مستعارة وتنسب خطأ إلى بعض الصحفيين .

كان سعد زغلول يكتب بنفسه بعض المقالات في الصحف الوفدية بتوقيع س ٢ .. وظلت هذه المقالات تنسب ، ربما حتى الآن . إلى عباس محمود العقاد بغير علمه .. وكان السياسي الوزير نجيب الهلالي يكتب في الصحف الوفدية مقالات دون توقيع .. وكانت هذه المقالات ، وربما حتى الآن تنسب لزميلنا الراحل أحمد قاسم جوده .. وكان حفي محمود « باشا » ينشر في جريدة السياسة مقالات ثم ينسبها للمرحوم عبد الجليل أبو سمرة « باشا » الذي صار في الأربعينيات وزيراً مع حفي محمود ، لكن عبد الجليل أبو سمرة كان يقرأ هذه المقالات في الصحف كغيره من القراء .. وكانت الصحف الوفدية في العشرينيات تنشر مقالات حامية بتوقيع المجاهد الوطني سينوت حنا فيقابل في الحافل الوطنية بالتصفيق لهذه المقالات ، مع أن البعض منها كان بأقلام آخرين ومنهم مكرم عبيد « باشا » .

سكرتير التحرير :

على أن أخطر سين في وظائف الصحافة هي سين (سكرتير التحرير) إن .. سكرتير التحرير هو الصحفي الذي يملك في اللحظة الأخيرة السابقة على تمام العمل في إخراج الجريدة أن يحذف من مادتها ما يشاء طبقاً لمقتضيات المهنة .. لقد كتب الصحفي العظيم محمود عزمى مقالا في جريدة الأهرام حينما كان مستشاراً صحفياً لها في الأربعينيات يشكو فيه إلى الله من ديكتاتورية سكرتير التحرير ..

ومع أن سكرتيري التحرير غالباً ما يكونون من شباب الصحافة الناجحين لأن طبيعة عملهم فيها الكثير من العناء والسهر — فقد وجد من سكرتيري التحرير رجال بارزون لعل أبرزهم في الماضي هو الأستاذ إميل خوري الذي شغل في الثلاثينيات وظيفة سكرتير تحرير الأهرام .. ثم انتقل من هذه الوظيفة مباشرة إلى وظيفة سفير لبنان في بعض بلاد أوروبا وكان من السفراء اللامعين الذين تعز بهم حكوماتهم .



المصور الصحفي الذي

كاد يفنئه الملك

أليس عجيب أن أول حرف من حروف الكلمة التي يلمث وراءها والألوف وربما الملايين من الناس ، هو أفقر حرف في أرشيفنا المهني ؟ .. أنه حرف الشين الذي تبدأ به كلمة « شهرة » وقليل جداً من الناس هم الذين يرفضون الشهرة .. إنها كلمة لها جاذبية خاصة ، لكن أصحاب الجاذبيات . ناساً كانوا أو كائنات من الممكن جداً أن يكونوا ظالمين ولو بالرغم منهم . فالشهرة - مثلاً - لازمة من لوازم الصحافة ، ومع هذا فبين صفوف زملائنا الصحفيين جنود مجهولون كثيرون بعضهم أكثر أهمية للعمل الصحفي ، أو أكثر أهمية لمجتمعهم الخاص من مشاهير الصحفيين .

حرف الشين

شهرة :

إن الصحافة ، كفن أو عمل أو هواية هي في ظن الكثيرين أقرب الطرق المهنية إلى الشهرة ، ولعل هذا هو السر الحقيقي في كون

الكثيرين من الناشئة يكتشفون في أنفسهم بلا مبرر ظاهر ، أن لديهم ميولاً أو مواهب صحفية .. الصحيح الصريح أن التي لديهم هي ميول أو مواهب شهوية ، ومع هذا فإن هذه الميول حق لهم . فلولاً مثل هذه الميول لما ظهر كتاب صحفيون لاعمون كثيرون .. إن أكبر مثل على هذه الحقيقة يتمثل في فكرى أباطة .. كان فكرى أباطة محامياً ناهياً من سنة تخرجه ، سنة ١٩١٧ ، إلى سنة انتخابه عضواً في مجلس النواب سنة ١٩٢٦ .. عشر سنوات من العمل بكفاءة في المحاماة لم تحمق له الشهرة التي تطلع إليها شبابة ، لكنه ما كاد يكتب مقالاته في الصحف ، وبخاصة في « المصور » حتى أصبح بعد سنة واحدة من المشاهير .. إلى درجة أن الباعة كانوا ينادون على « المصور » قائلين : فكرى أباطة — للمصور .

ومع هذا يغرف الشين حرف فقير !

حرف الصاد

صورة :

أهم صاد في أرسيفنا المهني هي صاد كلمة « صورة » .. ولقد كانت الصورة في الخمسين سنة الأولى عن عمر الصحافة المصرية أما صورة تأخذها الصحافة من يد صاحبها كأية صورة تذكارية يهديها أى إنسان إلى أصحابه ، وإما أن تكون صورة منقولة عن الصحف والمجلات الأجنبية الكبرى .

كانت الصور في صحافتنا القديمة صوراً لا حركة فيها ، ولا تنشر

الصحف اليومية منها إلا صورة أو صورتين كل يوم أو كل يومين ، تاركة نشر « المواضيع » للصورة للصحافة الأسبوعية التي كانت منحصصة في نشر هذه المواضيع ، وكانت مجلة « الطائف » في سنى الحرب العالمية الاولى تعتمد في معظم صورها على صور الحرب للنقولة من مراجع أجنبية :: فلما قامت ثورة سنة ١٩١٩ : وجدت الصحف اليومية ان وصف التجمعات السياسية لا تكفى فيه الكلمة فبدت تستعين بالمصورين :: ثم ظهرت مجلة « المصور » في سنة ١٩٢٤ فأوحى الإقبال عليها للصحف اليومية ان تنشئ بها اقساماً للتصوير :: وما زالت هذه الأقسام تكبر وتتطور حتى أصبحت أجهزة لها استديوهات داخل مباني للؤسسات الصحفية وأصبح من تواجدها إنشاء قسم للحفر « الزنكغراف » وأصبحت الصور تشغل جميع صفحات الجريدة بعد أن كانت في الأحيال السابقة مجرد صورة واحدة ، ربما كانت مستعارة لتحلية الصفحة الأولى في بعض المناسبات فقط :: وهكذا أصبح للمصور الصحفي عضواً له أهميته في أسرة تحرير الجريدة .

وكما للمحررين الصحفيين ذكرياتهم — كذلك للمصورين الصحفيين ذكرياتهم :: ومن أطراف هذه الذكريات أن المصور الصحفي ذهب ذات ليلة قبل خمس وعشرين سنة ، الى صحراء الماطة لمشاركة زميله المحرر في أعداد تحقيق صحفي عما كان ينتشر في هذه الصحراء من مواقف العشاق :: وبينما كان المصور يصبو عدسته إلى سيارة من سيارات أولئك العاشقين — إذا به يفاجأ بسلاح ماصوب إلى صدره لقد كان في هذه السيارة ، من حيث لا يدرى « الملك فاروق » .

وفي ليلة مقتل رئيس الوزراء أحمد ماهر في البهو الفرعوني بدار البرلمان في فبراير سنة ١٩٤٥ كان المصور الصحفي ينتظر في هذا البهو رئيس الوزراء لتصويره بمناسبة البيان السياسي الخطير الذي كان أحمد ماهر يلقيه يومئذ .. وأقبل رئيس الوزراء أحمد ماهر ، وصوب للمصور عدسته إليه ، وإذا به يفاجأ بمسدس مصوب من جهة أخرى إلى صدر أحمد ماهر لينطلق وليسقط أحمد ماهر قتيلًا . وفي نفس اللحظة هرع الحراس إلى البهو الفرعوني فالتفوا بالذى صوب إلى أحمد ماهر للمسدس والذي صوب إليه عدسة التصوير .. وقبض على المصور الصحفي مع قاتل أحمد ماهر رئيس الوزراء ولم يفرج عنه إلا بعد التحقيق أياماً .. وبعد التأكد من آلة التصوير التي معه ليست بها أسلحة نارية .

حرف الضاد

ضمير :

حرف الضاد في أرشيفنا المهني يتجسد في كلمة « الضمير الصحفي » إنها كلمة جديدة في قاموس الصحافة العالمية كلها .. ولم تظهر هذه الكلمة إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من ظهور ميثاق الأمم المتحدة الذي يعتمد من نصوصه على « الضمير الإنساني » .. وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة لم ينجح إلا قليلاً في تحريك الضمير الإنساني فإن المواقف للبرمة بين الصحفيين قد نجحت ، من الناحية النفسية ، في تحريك الضمير الصحفي بدليل هذه القرارات التي تصدرها

مؤتمرات الصحافة العالمية بتأييد جميع حركات التحرير .. لقد استطعنا في أحد هذه المؤتمرات أن نستصدر قراراً باعتبار يوم ١٥ مايو يوماً لمساندة القضايا العربية من جانب الصحافة الحرة والصحافة الاشتراكية في العالم كله .

إن أول تجربة لنا في تحريك الضمير الصحفي كانت في سنة ١٩٤٧ عند ما كانت قضية مصر معروضة على مجلس الأمن .. ومع أن الطرف للضاد في هذه القضية إذ ذاك كان حكومة لندن — فإننا أبرقنا باسم نقابة الصحفيين في مصر ، إلى نادى الصحفيين في لندن ناشدكم الضمير الصحفي في مناصرة القضية المصرية ، ومع أن صحافة لندن لم تأخذ دور الضمير لهذه القضية بالإجماع — إلا أنها قد امتنعت بعد هذه البرقية ، عن مهاجمة وجهة نظر مصر في مجلس الأمن ، اكتفاء منها بإبراز وجهة نظر بريطانيا .

ولعل أعمق ما قيل يومئذ هو أن جريدة « التيمس » نشرت كلمة تقول فيها إن برقية الصحفيين المصريين إلى الصحفيين الانجليز كانت أكثر أهمية عندهم من الخطاب الذى ألقاه رئيس وزراء مصر إذ ذاك أمام مجلس الأمن ، وهو محمود فهمى النقراشى .

لكن .. هل كل صحفي له ضمير ؟ الصحيح إن كل صحفي يتمتع بأن يكون له ضمير ، لكن هناك أشياء فوق إرادة الانسان ، أى إنسان . ذات مرة قبل خمس وعشرين عاماً تلقيت خبراً عن قاتل وقتيل .. كان المتهم بالقتل من قريتي ، وكنت أعرف أنه أقل قدرة عن قتل

ذبابة . لكن للراجع العليا ، كانت ترى وجوب القيام بحملة ضده
 لتهدة نائرة الطائفة التي ينتمى إليها القتل .. كنت مضطراً للمصلحة
 العامة ، أن أخالف ضميري ، فإن أحداً من المسؤولين يومئذ لم يكن
 يشفع عنده أن براءة اللهم ستثبت فيما بعد .. ولئن كان لهذا الحادث
 وصلته بالضمير الصحفي وجهان أحدهما مقبول ، فإن هناك مواقف
 أخرى لم يكن لها غير وجه واحد .. وجه كان يقبض فيه على ضمير
 الصحفي بأمر المنافسة الصحفية في الفقرات التي كانت تتحكم فيها تجارة
 الصحافة في رسالتها وليس لشيء إلا لزيادة عدد طبعات الجريدة ..
 وهذا ما سنتحدث عنه في حرف الطاء .



سبع طبقات لاند الزوى

حرف الطاء

طرائف :

من طرائف الصحافة أن أول باب أغلقه التجديد الصحفي هو باب « طرائف » . . كانت صحف ومجلات الجيل الأول من القرن العشرين تخصص صفحة أو نصف صفحة أو أقل للأخبار أو الحوادث غير المعتادة تحت عنوان « طرائف » . وكانت بعض الصحف والمجلات تسمى هذا الباب « ملح — بضم الميم — وطرائف » لتضيف إليه بعض النكت الباسمة . . لكن أزمات الثلاثينيات قد أطفأت هذه البسات وأصبحت الطرائف التي للصحفيين أنفسهم أكثر من الطرائف التي ينشرونها عن غيرهم .

ومن هذه الطرائف ما أشرت إليه في الحلقة السابقة عن المصور الصحفي الذي ذهب ليصور للواقف الغرامية الحامية التي كانت تنتشر في الجيل الماضي على صحراء مصر الجديدة ففوجئ بالملك الذي كاد أن يقتله . . الطريف أن صاحب فكرة هذا الموضوع الذي صاحبه للمصور ، وهو الزميل لطفي رضوان المحرر بدار الهلال ؛ قد اتهم

— ١٩٤ —

يومئذ بأنه « دسيسة » على أسرار صاحب الجلالة وظلت هذه التهمة تلاحقه إلى أن زالت للملكية من مصر . .

طحميض :

فن من فنون التصوير هو فن « الطحميض » أى غسل الأفلام للصورة بالأحماض كي يتحول سوادها إلى يياض . . والكلمة أصلها « تمحميض » . لكن هكذا ينطقونها .

كان عبده خليل مصور مجلة « للصور » فى الأربعينيات ينتظر رئيس الوزراء أحمد ماهر فى البهو الفرعوى بدار البرلمان كي يصور عقب إلقائه أخطر بيان فى حياته « وهو بيان اشتراك مصر فى الحرب العالمية الثانية . . وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٤٥ . . وحينما أقبل الدكتور ماهر أطلق قاتلة الرصاص ، وأقبل رجال الحرس البرلمانى وقبضوا على اللوجودين فى البهو ومنهم للصور الصحفي . .

كان عبده خليل قد استطاع أن يلتقط صورة لرئيس الوزراء أحمد ماهر فى لحظة سقوطه على الأرض . . أنها صورة نادرة يدفع فيها أى مصور صحفى جانبا من حياته . ولما أحس بأنهم سيقبضون عليه أعطى « الفيلم » خلسة إلى زميله الذى تسلل به فى كثير من البراعة إلى دار الجريدة وأودعه حوض « الطحميض » . لكن رجال الشرطة كانوا يتعقبونه فأخرجوا الفيلم من حوضه ، وأصبحت هذه الصورة دليل اتهم لمصورها .

الطريف أن للصور لم يكن مهتما بالتهمة قدر اهتمامه بتصوير جنازة رئيس الوزراء في اليوم التالي ، فكان طلبه الوحيد من للحق أن يسمح له بالخروج ليصور هذه الجنازة ثم يعود .. يعود لأنه كان واثقاً من براءته التي ثبتت فعلاً بطبيعة الحال ..

طباعات

إن الجريدة الناجحة هي التي تطبع في اليوم الواحد أكثر من طبعة واحدة .. لقد انقضى الزمن الذي كان عمل المحرر ينتهي بإتهاء الطبعة الأولى ، فبعد إتهاء الطبعة الأولى نجد أحداث تجعل من هذه الطبعة شيئاً قديماً . والصحافة هي صناعة الجديد دائماً .. ولهذا أصبح من « الروتين » في كل صحفنا اليومية أن تعد الطبعة الثانية دائماً بمجرد إتهاء العمل في الطبعة الأولى ، وهذا هو التفسير الذي ينبغي أن يعرفه القارئ القادم من أية منطقة خارج القاهرة وفي يده نسخة من أية جريدة ، فإذا وصل إلى قلب العاصمة وجد نسخاً أخرى تحمل عناوين أو أخباراً أخرى .

ولكي أعطيك فكرة عن الطباعات التي تلي الطبعة الأولى أذهب بك إلى لندن حيث تظهر طباعات الصحف للتهمة بالباريات الرياضية في أعقاب كل شوط من هذه الباريات بينما يكون النظارة مازالون على مقاعدهم أمام حلبة للباراة .

وليس شك أن صحافتنا قد عرفت أسلوب الطباعات المتوالية من

قديم . . على الأقل من سنة ١٩١٩ حينما كانت جريدة « الأهالي » تدور آلات الطبع فيها طوال اليوم لتصدر بين ساعة وساعة طبعة جديدة بأخبار الموقف السياسى وما حوله من تحركات الشعب . . ومن أشهر الطبعات الثانية فى تاريخنا الصحفى الطبعة الثانية من العدد الأول من جريدة « السياسة » الصادر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . ظهر العدد الأول صباح ذلك اليوم معلناً ميلاد حزب الأحرار الدستوريين . وكان مؤسسو الحزب مجتمعين فى نفس الصباح بفندق الكونتنتال للاستماع إلى خطاب رئيس الحزب الأول عدلى يكن « باشا » وما أن فرغ عدلى من خطابه فى العاشرة والنصف صباحاً حتى كانت الطبعة الثانية التى تحمل نص هذا الخطاب فى أيدي القراء .

وإذا كانت الطبعات المتكررة مألوفة فى الأحداث السياسية فإن فى تاريخنا الصحفى طبعة ثانية . ربما كانت الأولى والأخيرة من نوعها ، فى حدث أدبى بحث — ألا وهى الطبعة الثانية من عدد جريدة « السياسة الأسبوعية » الصادر بمناسبة « أسبوع شوقي » فى ربيع سنة ١٩٢٧ . . لقد نفذت الأعداد الضخمة التى طبعت فى يوم افتتاح هذا للمهرجان الأدبى . . فصدرت منه طبعة ثانية قبل نهاية ذلك اليوم .

وفى ظنى أن أكثر عدد من الطبعات فى الصحف المصرية المعاصرة هو عدد الطباعات التى صدرت فى الأسبوع الأول من نوفمبر

— ١٩٧ —

سنة ١٩٥٦ . . كانت هذه الطبعات خاصة بالإنداز الروسى الذى وجهه الاتحاد السوفيتى يومئذ إلى دول العدوان الثلاثى على مصر . .
 إننى أذكر أننى قد طبعت من جريدة « القاهرة » التى كنت أتولى
 رئاسة تحريرها إذ ذاك سبع طبعات بين الساعة الواحدة والساعة
 العاشرة مساء . وفى كل طبعة صدى جديد من أصداء هذا الإنداز
 فى مختلف المجالات الدولية .



العمال هم الأخطيئة

قلت لك في حلقة سابقة أن الحروف كالناس منها شقي وسعيد ومنها غني وفقير.. والآن أضيف إلى هذا أن الحروف كالناس منها خفيف الظل ومنها ثقيله .. وربما كان حرف « الظاء » هو أثقل حروف الأرشيف ظلاً إن كلمة « ظل » نفسها تبدأ بحرف للظاء ، والظل عند الصحفيين يختلف نوعاً عن ظل الآخرين ، فالناس قد يرون في الظل راحة لهم من المهجير . أمال الظل في أرشيف مهنة البحث عن للتابع فيعني النسيان ، فحين يقال أن فلاناً الصحفي أو الكاتب أو العظيم قد انتقل إلى الظل يعني أنه قد انتقل إلى البعد عن الحركة .. أو انتقل إلى رحمة الله .. دعنا إذن من هذا الحرف إلى ما بعده .

حرف الدين

عامل :

وكما أنك تجد في الناس ثقل الظل وفي المقعد المجاور له آية من خفة الظل في إنسان — كذلك في هذا الأرشيف للمنى بقدر ما نجد الركود يشمل خانة الظاء نجد الحركة والنشاط وخفة الظل في خانة العين .. يكفي أن نجد في هذه الخانة كلمة « عامل » إن عمال مطابع

الصحف شيء عجيب — لك أن تعد كلمات هذا الكتاب ، ثم تعد حروف هذه الكلمات ، أو تعد عدد المقالات والأخبار والموضوعات في أى عدد من أعداد الجريدة أو الكتاب — إنك ستجد أنك تخطت خانة المئات إلى خانة مئات الألوف ، وهذه المئات من ألوف الحروف قد مرت عليها يد عامل مطبعة الجريدة وكأنها يد ساحر ..

إن العامل يجمع هذه الحروف بأسرع مما تكتبها .. إنه الإنسان الذى يدخل فى منافسة رهيبية مع الآلات .. إن يد العامل للاهر لا بد أن تكون فى سرعة الآلة أو أشد منها سرعة .

ونحن حين نفكر فى مهنة البحث عن المتاعب يتجه تفكيرنا رأساً إلى الصحفيين فى أية مؤسسة صحفية وقد يكونون مائة أو مائتين .. أما عمال الصحيفة فهم دائماً بالمئات .. فمحررو الصحف هم الأقلية . أما عمالها فهم الأغلبية دائماً .. لكنها الأغلبية التى لا تظفى لأنها تعرف باقتناع أنها امتداد لهذه الأقلية التى يتألف منها المحررون .. ونحن من أجل هذا نجد أن التعاون بين هذه الأغلبية وهذه الأقلية يكاد يكون مثالياً فى دنيا الأعمال .

ذات مرة قبل عشرين عاماً — تلقى رئيس مطبعة الجريدة الحزبية التى كنت أعمل بها « خبراً » من مسئول كبير فى الجريدة .. لاحظ العامل الذى يرأس المطبعة أن هذا الخبر ليس صادراً عنى وليست به أية إشارة منى .. قرأه مرة بعد مرة .. تأكد أن نشر هذا الخبر فيه إساءة لى .. فلم يسأل عن (المسئول الكبير) وأخفى الخبر حتى أعود

.. وغبت خارج الدار ساعات. وفي كل ساعة يسأل «المسئول الكبير» عن «بروفة» الخبر .. فلما تأكد أن هذا العامل قد أخفى خبره — استدعاه .. هدهد .. لكنه بكل إخلاص قال له . . . لا أستطيع أن أجمع هذا الخبر قبل أن يعود المحرر المسئول .. وتحمل ما تحمل من الأذى بسبب هذا الموقف .. لكنه ظل صديقي إلى آخر حياته ، وكان كل منا سعيداً بهذه الصداقة التي تمثل الرابطة الحقيقية بين عمال الصحف ومحرريها ..

لقد بلغ من قوة هذه الرابطة مرة أن أحد الصحفيين ، وهو المرحوم كامل مصطفى — وكان سكرتير تحرير الجريدة التي كنت رئيساً لتحريرها — أراد أن يتحول من محرر إلى عامل مطبعة في أوقات الفراغ ، لولا أنني أقنعته بالعدول عن هذه الفكرة حتى لا تتحول صداقتنا للعمال إلى منافسة ..

وعامل المطبعة الصحفية يعتبر المثال الأول لتطور المجتمع العمالي في بلادنا .. نحن حين دخلنا دنيا الصحافة في الجيل الماضي كان عامل للمطبعة « صبياً » يلبس الجلباب والقبقاب ، ويتقاضى عشرة قروش في عشر ساعات .. أما الآن فعامل المطبعة الصحفية أصبح « فناناً » يلبس القميص والبنطلون ويتقاضى سبعين قرشاً في سبع ساعات كحد أدنى بل إن بعضهم يتقاضى الآن مرتباً يصل إلى مائة جنيه أليس هذا مقياساً اجتماعياً دقيقاً لتطور الحركة العمالية ؟

حرف الغين

غيار :

ليس في غين أرشيف العمل الصحفي ما هو أهم من غين كلمة « غيار » .. إن غيار في لغة الصحافة يعنى تغيير مادة صفحة أو أكثر أو أقل عند الانتقال من مطبعة إلى أخرى .. فهذا « الغيار » هو غفريت الصحفيين .. فبينما يكون الصحفي قد أتم عمله واستعد للانصراف أو انصرف فعلاً — إذا برياسة التحرير تستدعيه على عجل .. إن أنباء جديدة مثيرة قد ظهرت فى الاتفاق ، ولا بد أن يتم الغيار عليها .. وأياً كانت الساعة بعد منتصف الليل — فلا بد للصحفي أن يعود إلى عمله ليهدم ما بناه ثم يبنى غيره من جديد فى سبيل .. فى سبيل القارىء .

حرف الفاء

فكاهة :

إن حرف الفاء فى أرشيفنا للمنى حرف مرح .. إنه يبدأ بكلمة « فكاهة » .. فالصحافة التى تقدم للناس كل ما هو جاد ، بما فى هذا كل مأسى الحياة ، لا تنسى أن للقراء ما يرفه عنهم بمختلف الوسائل .. ومن هذه الوسائل النكتة التى تظهر غالباً فى رسوم الكاريكاتير .. إن النكتة الصحفية كانت لها دولة فى الماضى ، دولة ما زالت تكبر

حتى أصبحت لها مجلات متخصصة .. وكانت أشهر هذه المجلات في الماضي هي مجلة « الفكاهة » .

لم تكن مجلة « الفكاهة » أولى مجلات النكتة المصرية .. لقد سبقها صحف صغيرة وكثيرة مثل : السيف والمسامير وأبو قردان والبعكوكه وكثير من الصحف التي كانت كل ثلاث منها تباع بقرش حيث كان القارئ يستمتع بهذا القرش ليلة كاملة في قراءة مرحلة .. ثم جاءت دار الهلال فجملت مزايا هذه الصحف الصغيرة كلها في مجلة كبرى باسم « الفكاهة » .

لقد كان لمادة الفكاهة محررون متخصصون في الماضي ، وكان أبرز أولئك المحررون للرحوم حسين شفيق المصري أول رئيس لمحرري مجلة « الفكاهة » .. ولعل من أعجب المتناقضات في مهنة الصحافة أن هذا الرجل الذي أخضعت مادته ملايين القراء .. الرجل الذي أدخلت فكاهته على الدار التي يعمل بها الألو ف كان راتبه الشهري وهورئيس تحرير — أقل من ثلاثين جنيهاً .. ستة وعشرين جنيهاً على وجه التحديد .. فلما مرضت عيناه من السهر لم يجد العلاج فكف بصره .. ولما مات كدأ قبيل تنظيم معاشات الصحفيين في بداية الخمسينات لم يجد ورثته — ورثة الذي أضحك كل الناس — ما يمسحون به دموعهم .. وظلت هذه حالهم إلى أن غير منها وزير الأوقاف الأسبق للمهندس أحمد عبده الشرباصي بمجرد أن أطلع على سطرين مني .. جزاه الله خير الجزاء .

فن :

وكما نبدأ فاعات أرسيفنا للمنى بفاء « الفكاهة » فإنها تنتهى بفاء
كلمة « فن » .. وشتان بين محررى الفكاهة وبين محررى الفنون
لقد كانت الشهرة ، وأحياناً السلطة الأدبية ، تنتظر محررى الفنون
لأنهم يعملون فى حقل من أروع حقول الصحافة من قديم ..

ولعل أقدم محررى الفنون فى الجيل الأوسط من صحافتنا هو
للرحوم عبد المجيد حلمى الشاب الصحفى للمصرى الذى جعل من
التحرير الفنى تخصصاً تنشأ له صحف خاصة .. لقد أنشأ عبد المجيد حلمى
فى منتصف العشرينات مجلة اسمها « للسرحة » وكان شريكه فى هذه
المجلة محمد التابعى الذى حقق من الشهرة والسلطان الأدبى ما لم يحققه
الكثيرون .

لقد بلغ من السلطان الأدبى فى دنيا الفنون لعبد المجيد حلمى أن
سلطانة « الطرب » إذ ذاك ، وهى السيدة منيرة المهديّة — قد دعته
إلى قضاء الصيف ، على نفقتها ، فى ربوع تركيا .. وكان يقابل ،
معه ، فى تلك الربوع كما يقابل العباقره .. لكنه انتقل من هذه
الرحلة الحبلية ، كخيال ألف ليلة وليلة — انتقل إلى رحمة الله فى ريعان
شبابه .. وكل شىء فى أيجاد هذه المهنة له ثمن وكثيراً ما يكون هذا
الثنى قادحاً فداحة الموت نفسه .

الجامعة من أفق حكاية القراء

قبل أن ندخل في قافات أرشيف مهنة الصحافة أقرر أن فوق هذه القافات كلها قاف « القارئ » فالقارئ هو كل شيء في حياة الصحافة ، فصحافة بلا قراء كأي جسم بلا روح . . كما أقرر أن القارئ هو شريك الصحفي في أهدافه الصحفية . . وأقرر أيضاً أن هناك قراء أجلاء كان لهم فضل كبير على الصحافة ، لا من حيث انتشارها ، بل ومن ناحية إنتاجها أيضاً . . فقراء الصحيفة هم برلمانها الطبيعي . . وعندى أدلة تاريخية على هذا المعنى أكتفي بواحد منها . .

فخذ حوالى سبعين عاماً أرسل « قارئ » إلى جريدتي اللواء وللؤيد يقترح القيام بعمل اكتاب شعبي لإنشاء « الجامعة » . . وقد تضمن اقتراحه استعداده لأن يكون أول للكتبتين بمبلغ كبير . . ونجحت الفكرة بعد أن تبناها الزعيم مصطفى كامل ، وأنشئت الجامعة بفضل أحد القراء الأجلاء . . وكما أن كل قارئ يشعر بأن له في الصحفيين صديقاً روحياً وإن لم يلتقيا إلا على صفحات الصحف — كذلك كل صحفي يعمل للخدمة العامة يشعر بأن له في القراء أصدقاء يحبهم ومحبونه ، ولعل للثل الحى على صداقة القراء للصحفيين يتمثل الآن في الصديق الأستاذ عيسى متولى أمين مكتبة بنك مصر سابقاً الذى يسميه

الصحفيون « أشهر قارئ صحف » وإن كنت أعتقد أن لنا في القراء
أصدقاء كثيرين لا يقلون ، إن لم يفوقوا ، هذا الصديق .

حرف القاف

قضايا الجريمة :

وحين ندخل في قافات المهنة نجد أن أول قافاتها قاف كلمة
« قضايا » . . فالقضايا لازمة من لوازم العمل الصحفي . . أن اهتمامات
الرأى العام تسمى في لغة الصحافة « قضايا الرأى العام » . . والواقع أن
بعض القضايا التي تعرض على القضاء تثير اهتمام الرأى العام كله بالرغم
من أن تكوينها لا يختلف في التكيف القانونى عن مثيلاتها من
القضايا الأخرى إلا أن آثارها النفسية تنعكس على عدد أكبر
من الناس .

وأشهر هذه القضايا قديماً ، وخلال سنى العشرينات القضية التي
عرفت باسم قضية « ريا وسكينة » بمدينة الاسكندرية . . كانت هاتان
للرأتان « ريا وسكينة » قد ألفتا عصاية منهما ومن بعض الشباب
والشابات من معتادى الإجرام . . وكان نشاط هذه العصاية غريباً جداً
في العشرينيات على المجتمع للصرى . . كان هذا النشاط يدور حول
اصطياد بعض الفتيات المراهقات الجميلات الفقيرات بواسطة شباب العصاية
وإغراء بعض العضوات فيها فإذا ما وقعت الصغيرة تحت تأثير المراهقة
في مهاوى السقوط قدمت بالثمن الغالى للأثرياء الشبان الفاسدين وكانت
العصاية تحول رصيد أولئك المراهقات إلى مصاغات لإيهامهن بأن الجماعة

تعمل لحسابهن ، فإذا تضخم حجم اللصاغ تولت للرأتان « ريا وسكينة » قتل الفتاة صاحبة هذا اللصاغ وتقطيع أو صالها بواسطة بعض اللعاونين ، ودفن هذه الجسوم للقطعة تحت أرضية بينهما .. وظل هذا للدفن يتضخم حتى ضاقت أرضية هذا المنزل ، وأسبب أو لآخر ظهرت بعض الأجزاء للدفونة في أفواه الكلاب .. فكشفت عن مكان الجريمة التي هزت وقائعها المجتمع كله .

كانت التفاصيل التي تنشرها الصحف عن هذه القضية حديث كل الناس لمرابها على خيال المجتمع المصرى إذ ذاك ، وقد حققت هذه التفاصيل رواجاً ضخماً للصحف التي كانت تتسابق في نشر هذه التفاصيل التي انتهت إلى أول حكم بإعدام على امرأة مصرية حيث كانت تقاليد القضاء للمصرى حتى ذلك الحين ، توجب إستبدال حكم الإعدام على النساء بالأشغال الشاقة المؤبدة .

على أن أعجب هذه التفاصيل كان يرجع إلى الصحافة ذاتها .. فقد كانت الصحف في هذه الأثناء تنشر تفاصيل قضية سفاح البنات في ألمانيا .. كان هذا السفاح شاباً شاذاً يتصيد الفتيات للراهنات في الغابات ويفرهن بمختلف وسائل الانغراء ، حتى إذا ما قضى معهن وطره قتلهن وترك جثثهن في مجاهل غابات ألمانيا الصناعية .. وقد ظل البوليس الألماني يبحث عن صاحب هذه القفلة أكثر من سنة ، حتى سقط في أيدي رجال الأمن بعد أن بلغ عدد ضحاياه العشرات ، وبعد أن أصبح حديث الصحافة العالمية كلها ..

قضايا الصحافة :

أما من ناحية التاريخ المني — فهناك القضايا التي كان الصحفيون أنفسهم يقفون بها في قفص الاتهام .. وهذا النوع من القضايا يعد بالعشرات بين سني ١٩١٠ و ١٩٥٠ .. لكن أشهر هذه القضايا ثلاث :

قضية الشيخ عبد العزيز جاويز في سنة ١٩١١ بوصفه رئيساً لتحرير جريدة « اللواء » جريدة الحزب الوطني ، وقد حكم عليه بالسجن لاتهامه بالقذف في حق الحديو .. لكنه في يوم الافراج بعد انقضاء أشهر العقوبة وجد على باب السجن آلافاً من الشباب في انتظاره خلف العربة التي كانت تستعد لنقله إلى بيته ، وما أن ركب الشيخ جاويز هذه العربة حتى فك الشباب رباط خيولها وتولوا بأنفسهم جر العربة التي اتجهت به إلى دار جريدة اللواء .. وهناك قدم له الجمهور وساماً من الذهب هدية له باسم الشعب ومن الشعب ..

قضية الدكتور محمود عزمي في سنة ١٩٢٧ بوصفه نائباً لرئيس تحرير جريدة « السياسة » . وكان أيضاً متهماً بالقذف في حق الملك ، بعد أن أخذت هذه التهمة طابعاً قانونياً جديداً وصف في التشريع الملكي إذ ذاك باسم « العيب في الذات الملكية » .. وكانت أبرز نقطة في هذه القضية أن القصر الملكي عرض على اللهم ، بمختلف الطرق ومنها طريق المحكة ذاتها أن يعتذر ويعفي عنه ، لكن عزمي رفض صيغة الاعتذار التي اقترحتها القصر الملكي فحكم عليه .

قضية رؤساء تحرير جريدة « السياسة » في سنة ١٩٣٤ التي اشتهرت باسم « قضية نزاهة الحكم » .. أقول قضية « رؤساء التحرير » بالجمع لأن الحكومة كانت قد أصدرت قانوناً لم يش طويلاً ، لمنع أى صحفى من تولى رئاسة تحرير أية جريدة إذا سئل مجرد مسالة أمام القضاء ولو لم يحكم عليه .. وقد منع هذا القانون الدكتور محمد حسين هيسكل من ممارسة وظيفته كرئيس لتحرير السياسة — إذ ذاك ، فتولاها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى . ثم تولاها الأستاذ حفى محمود الذى صار فيما بعد « باشا » ووزيراً وكان الفرق بين سنة ١٩٣٤ ، سنة هذه القضية وما قبلها ، أن الحكم فى هذه القضية قد صدر بالبراءة ، وقد ترتب على هذه البراءة سقوط الوزارة .

قطار :

قد تبدو كلمة « قطار » أبعد ما تكون عن العمل الصحفى ، لكن الواقع يختلف عن ذلك .. كانت صحف الصباح إلى ما قبل خمسة وعشرين عاماً لا تظهر فى اسكندرية وسائر الأقاليم إلا فى ساعات الضحى أو الظهر حسب موافقت القطارات التى تحمل أعداد الصحف إلى هذه المناطق .. لكن تقدم الحركة الصحفية قد ألجأ هيئة السكة الحديدية إلى تسيير قطار خاص بعد منتصف الليل ، وبالذات فى الساعة الثالثة صباحاً لحمل أعداد الصحف إلى الاسكندرية والأقاليم الأخرى ، وسمى هذا القطار باسم « قطار الصحافة » .. وأصبحت لهذا القطار ميزتان : الأولى أن صحف الصباح تقرأ الآن فى اسكندرية والأقاليم

— فيما عدا جنوب الصعيد — فى نفس الوقت الذى تباع به هذه الصحف فى القاهرة .. والثانية أن هذا القطار قد حل مشاكل للمسافرين الذين يضطرون لأن يكونوا فى الاسكندرية أو غيرها قبل الشروق .

قلم :

ولا أستطيع أن أنرك قافات الصحافة دون الإشارة إلى كلمة « قلم » فالقلم هو العدة الوحيدة فى يد الصحفي بل هو السلاح الوحيد الذى يدخل به كل الممارك ، فهذا « القلم » الذى قد لا يساوى من الناحية المادية ، إلا بضعة قروش أو بضعة ملاليم ، قد يساوى فرقة من المشتركين فى بعض الممارك .. وفى سنة ١٩٥٦ ظهر تعبير جديد فى قاموس الصحافة هو « سلاح القلم » .. وقد حرصت بعض البلاد على أن تضم إلى متاحفها الأقلام التى كان يكتب بها بعض عظماء الكتاب ، وهو تقليد أرخو أن يكون له فى مستقبلنا نصيب ..

حرف الكاف

أول حروف للكاف فى أرشيفنا المهنى الكاف التى تبدأ بها كلمة « كارتون » والكارتون فى صناعة الصحافة إثنان : الكارتون الذى تنصب فيه صفحات الجريدة صفحة صفحة ثم توضع هذه الكارتونات على صينية المطبعة فيخرج منها ألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف من نسخ الجريدة .. أما الكارتون الثانى فهو كارتون الرسم . .

فالرسوم التي يرسمها الرسامون الصحفيون ، وغيرهم ، تسمى في لغة الصحافة الدولية باسم « كارتون » .. وهى الرسوم التي ترسم عادة على ورق يسميه الوراقون باسم ورق الكارتون ..

كاريكاتور :

ومن المعروف أن رسوم الكارتون أنواع ، لكن أخص هذه الأنواع عند الصحفيين هى رسوم « الكاريكاتير » .. ولقد كانت للكاريكاتير إلى سنة ١٩٣٠ صحفه الأسبوعية المتخصصة ، وكان أبرز هذه الصحف جريدتى الكشكول وروز اليوسف .. لكن الصحف اليومية بدأت تفتح صدرها للكاريكاتير بعد هذا .. بعد أن ثبت أنه سلاح صحفى ناجح فى المعارك السياسية الصحفية ، وقد أخذت هذه الظاهرة الفنية صفة التعميم بعد اشتداد معارك الحرب العالمية الثانية فى أوائل الأربعينات .. ومنذ ذلك الحين دخل قاموس الصحافة تعبير جديد هو تعبير « الوجوه الكاريكاتيرية » أى الوجوه التى لها بطبيعتها قوة التعبير الكاريكاتيرى لوجود ميزة خاصة فى تقاسيمها الطبيعية ، وكان أبرز هذه الوجوه فى الحرب العالمية الثانية من الناحية الفنية الكاريكاتيرية وجه الجنرال ديجول الذى صار فيما بعد رئيساً لجمهورية فرنسا .. وكانت هذه اللبزة فى أنف ديجول .. لقد بلغ من تقن الكاريكاتيريين أن كانوا يكتفون برسم أنف ديجول ليعلم القراء أنه ديجول ..

كتب :

ولا أستطيع أن أبرح خانة « الكاف » دون أن أشير إلى مادة

« كتب » .. فالكتب التي تهدي إلى الصحف والصحفيين تعد بالآلاف .. كل مؤلف يتجه ذهنه إلى أصدقائه من الصحفيين ليكتبوا شيئاً عن كتابه .. وقد كانت الصحف في الماضي تعنى بالكتب عناية خاصة .. كل جريدة فيها باب مخصص لنقد المؤلفات الجديدة .. اختفت هذه الظاهرة إلا قليلاً ، لسببين : الأول أن مطابع الكتب أصبحت تخرج عدداً من المؤلفات فوق طاقة أى صحفى أن يتابعه .. والثانى أن النقد الأدبى لم يعد مشاعاً بين الصحفيين كما كان فى الماضى .. أصبح للنقد الأدبى محررون مختصون يخضع النقد لما يعجبهم وما لا يعجبهم .

ومع هذا السيل من المؤلفات فإن مكتبات المؤسسات الصحفية تكاد لا تضم إلا ما يهم الصحفيين .. ونجأة يكشف الصحفى أنه بحاجة إلى كتب فلا يجد .. تماماً كما حدث فى سنة ١٩٧٠ بمناسبة العيد الذهبى لبنك مصر .. لقد بحث عدد من الزملاء عن نسخة من كتاب اشتركت فى تأليفه منذ أكثر من ثلاثين عاماً عن « طلعت حرب » فلم يجدوا منه حتى عندى — ولا نسخة فاستعانوا بالنسخة الوحيدة المحفوظة فى دار الكتب .

الانسان الناجية العشرة

لقد اكتشفت وأنا أبحث في أرشيف مهنة الصحافة أن هناك حروفاً يكون بعضها مع بعض أسرة نائمة بذاتها .. ومن هذه الحروف الأسروية حروف اللام والليم والنون .. أنها بتشابهها الطبيعي تشكل كلمة مستقلة هي كلمة « لن » .. وكأي أسرة فيها من هو ميسور الحال وفيها من هو محدود الدخل .. وفي أسرة هذه الأحرف الثلاثة نجد أن حرف الوسط ، وهو حرف الليم ، ميسور جداً .. أن ثمانى وظائف من وظائف الصحافة وسبعة مصطلحات من مصطلحاتها تبدأ بحرف الليم .. الوظائف هي : محرر ، مدير تحرير ، مترجم ، مراجع مصحح ، مراسل ، مصور ، مندوب .. والمصطلحات هي : مانشت .. مراجع « بفتح الليم » مصادر . معلومات . مكنته . مفاة منافسة .. ولعلنى أستطيع تغطية بعض هذه الليات بعد أن نتحدث عن حرف اللام .

حرف اللام

لسان :

أشهر لام فى لامات الصحافة هى اللام التى تبدأ بها كلمة « لسان حال » .. ربما كانت هذه الكلمة قليلة الاستعمال الآن .. لكنها

كانت متداولة جدا في النصف الأول من القرن العشرين . ويرجع سبب كثرة تداولها إلى ظهور عدد كبير من صحف الأحزاب ، حيث كانت جريدة الحزب تسمى « لسان حاله » .. كانت في بداية الأمر تسميه عرقية لكنها بمضى الوقت أصبحت جزءا من شعار كل جريدة حزبية ، فكان من المألوف أن تقرأ تحت اسم الجريدة كلمة « لسان حال حزب كذا » ومع التطور اللغوي في الصحافة حذفت كلمة « حال » وأصبحت تكتب « لسان حزب كذا »

ولقد تعددت هذه « الألسن » بتعدد الأحزاب في الماضي ، حتى بلغت في بعض الأوقات عشرة ألسنة تشير إلى الخلافات المتعددة في وجهات النظر السياسية في سنتي ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ وهذه الألسنة العشرة هي ألسنة الأحزاب الآتية : الحزب الوطني .. الوفد .. الأحرار الدستوريين .. حزب الاتحاد .. حزب الشعب .. حزب السعديين .. العمال .. مصر الفتاة .. الكتلة .. الإخوان .. وهذا كله عدا تشكيلات أخرى كانت لها « ألسنة » لم تكتب لها الشهرة .

حرف الميم

مانشيت :

الأمانة تقتضى أن أصرح بأن تقليد « للمانشيت » لم يكن إلا نتيجة الحاجة .. وقد ظهرت هذه الحاجة بإلحاح ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة انطلاق المنافسة العنيفة بين الصحف المصرية ، حيث كانت كل

صحيفة تحاول أن تلفت إليها الأنظار .. وليس معنى هذا أن صحافتنا لم تعرف « المانشيت » من قبل .. لكنه لم يكن تقليدا يوميا .. أذكر أن سكريتر تحرير الأهرام قبل هذا التاريخ قدم إلى رئيس تحريره مشروع مانشيت كعنوان لخبر الصفحة الأولى يومئذ ، وكان خبرا هاما — فإذا برئيس التحرير يقول لسكريتر تحريره « وحينما تقوم الحرب غدا ، أو في أي وقت — ماذا يكون حجم عنوان خبر الصفحة الأولى إذا جعلنا عنوان خبر اليوم بعرض الصفحة كلها ١٩ .. وعدل سكريتر التحرير عن المانشيت .

لكن .. حين قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفرضت ظروف الحرب الرقابة على الصحف ، وأصبحت كل صحيفة تشعر بحاجة إلى ما يشد القراء إليها — بدأت تنتشر فكرة المانشيت حتى أصبحت تقليدا صحفيا له تاريخ .. وفي هذا التاريخ لا نجد في العشرين سنة الأخيرة مانشيتا أكثر أهمية من المانشيتات الآتية : (ثورة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) .. «إعلان الجمهورية» في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ .. «جلاء القوات البريطانية» في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ .. «العدوان الثلاثي» في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .. «عيد النصر» في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ .. «إعلان الوحدة بين مصر وسورية» في ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ .. «تنظيم الصحافة» في ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ .. «القرارات الاشتراكية» في ٢١ يوليو سنة ١٩٦١ .. «الحرب بين العرب وإسرائيل» في ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، ثم «تخطيط خط بارليف» في ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وكل

ما عدا هذه الأحداث التاريخية المحلية العشرة في العشرين سنة الأخيرة
كان من الممكن أن تكون لها عناوين كبيرة ضخمة ، لكنها
لا ترتفع إلى مستوى هذه اللانثتات في تاريخ الصحافة وأرشفها .

مدير تحرير :

لا حاجة بي للكلام عن وظيفة « المحرر » فكل صحفي في عرف
القانون « محرر » ، ثم تضاف إليه صفة اختصاصه ، كان يكون محرراً
مسئولاً - أى رئيس تحرير - أو محرراً مترجماً أو محرراً رساماً .. الخ .
لكن الجديد في وظيفة المحرر هي وظيفة « مدير التحرير » .. لقد
كان للأوف في جيل الصحافة الأسبق أن يكون هناك مسئول يسمى
« مدير التحرير والسياسة » أو « مدير التحرير والإدارة » ..
التسمية الأولى للمسؤولين السياسيين عن الصحف الحزبية ، والتسمية
الثانية للمسؤولين اقتصادياً عن الدنيا التجارية . ثم تغيرت الدنيا ،
مع التطور الصحفي ، وأصبح لابد من وجود مسئول فى توسط دائرة
المعمل بين رئيس التحرير وسائر المحررين ، وصمى هذا المسئول
« كمدير التحرير » وكان أول من تولى هذه المهمة بهذا الوصف هو
الدكتور محمود عزمى فى جريدة السياسة منذ خمسين سنة ، وإن كان
الصحفى إذ ذاك لا يعرف إلا باسمه لا بوظيفته كما فعل الآن .

مصدر :

كل صحفى له مصدر يستقى منه أخباره ، ويرتفع شأن الصحفى فى
عمله كلما كان مصدره « عليا يواطن الأمور » .. فمن كان الرؤساء

مصادره فهو من رجال الصف الأول في الصحافة .. ويعتبر الوزراء لحكم مناصبهم ومسئولياتهم ، هو المصادر الطبيعية للصحفيين ، وأشهر « مصدر » من الوزراء للصحفيين في الأربعينيات هو المرحوم دسوقي أبابطة « باشا » .. لقد كانت صداقاته المتعددة للصحفيين مصدرا من مصادر سخائه معهم .

لقد بلغ من هذا السخاء أنني قلت لدسوقي أبابطة « باشا » ذات يوم أن زميلنا فلانا المحرر بجريدة من الصحف الوفدية المعارضة للحكومة التي كان دسوقي أحد وزرائها قلت له أن الزميل سيفقد وظيفته إن لم يستطع مد جريدته بأخبار الحكومة التي كانت تعارضها معارضة تمنع الوزراء من الإدلاء لمحرميها بالبيانات - فإذا بهذا الوزير « الشرقاوى » الكريم يختص الزميل محرر الصحيفة المعارضة بضعف ما كان يدلى به للآخرين . .

مكنة :

لا تكاد تسمع في أروقة الصحف بعد كلمات التحرير أكثر من كلمة « مكنة . . و » ولما كينات « وصحتها باللغة العربية « الآلات » أولها « مكنة التيسر » وهي جهاز استقبال البرقيات الخارجية التي تتألف منها في الصحافة مادة الأنباء الخارجية .
ثانيها « مكنة التبريت » وهي المعروفة باسم « الآلة الكاتبة »

التي يماذ بواسطتها تدوين مقالات المحررين ، والكتاب ذوى الخطوط الرديئة وأنا منهم .

بالمها « مكنة الزنكغراف » وهى « آلة الحفر » التى تدخلها الصور والعناوين لتتحول إلى « كليشيات » يمكن إدخالها على أدوات الطبع .

رابعها « مكنة اللونوتيب » وهى آلة صف الحروف .

خامسها « مكنة الروتاتيف » وهى آلة الطباعة .

وليس شك أن آلة الطباعة هى أهم وأخطر وأغلى هذه الآلات .. جيناً نحن بعضها يزيد الآن على مائة ألف جنيه .. و طراز آلة الطباعة هو الذى يحدد مستوى التقدم الفنى والاقتصادى لكل جريدة وهى فى نفس الوقت أكبر ركن من أركان رأس مال أية مؤسسة صحفية .

لأن أول تنافس فى تاريخ الصحافة المصرية بآلات الطباعة ظهر فى بداية القرن العشرين .. ذلك أن الزعيم مصطفى كامل صاحب جريدة اللواء فى تجواله ييلاد أوروبا وزيارته لدور الصحف بها - كان قد شاهد بنفسه الانقلاب الفنى الكبير الذى أحدثته آلة « الروتاتيف » على النشاط الصحفى فى الخارج ، فبادر إلى التعاقد على شراء أول مكنة روتاتيف « كي تستخدمها جريدة « اللواء المصرية » . ولم يكن الحصول على مثل هذه الآلة إذ ذاك بالأمر اليسير .. إن آلة الروتاتيف التى يتعاقد الشارى على شرائها تبقى كما تبقى للعالم

أو البواخر لضخامتها ، وهذا البناء يحتاج إلى وقت قد يمتد إلى سنة أو سنتين .. وفي هذه الفترة تنبه الشيخ على يوسف صاحب جريدة اللؤيد المنافسة لجريدة اللواء لحظورة التطور الطباعي الذى سيدخل على الجريدة المنافسة ، فاستخدم كل وسائل النفوذ التى يملكها للتعاقد على شراء آلة « روتاتيف » أخرى بشروط منها إنجاز تصنيعها فى أسرع وقت ممكن .. وتم تصنيع الآتين معا .. وبقي السباق على شحن أجزائهما وتركيبهما فى القاهرة ، أيهما يتم تركيبها وتشغيلها قبل الأخرى ..

وكانت هذه أول منافسة من نوعها بين صحف القاهرة .



ورق الصحف في الحرب

لست أدري هل هي الصدفة وحدها ، أم أن هناك سرّاً لا نعلمه وراء الحروف .. فالحروف الأربعة الباقية في هذه السلسلة من حلقات هذا (الأرشيف الصحفي) وهي حروف النون والهاء والواو والياء — حروف تتألف منها كلمة عجيبة ، هي كلمة (يهون) .. فإذا نحن راجعنا تفاصيل الحياة بالنسبة لأي صحفي أو صحفية وجدنا أن كل شيء (يهون) في سبيل هذه للمهنة العظيمة .

وليس مهنة الصحافة عظيمة في نظري ، أو في نظر كل الصحفيين لأنها مهنتنا .. إن كل مهنة في نظر أهلها أعظم للمهن — إنما هي مهنة عظيمة لالتصاقها للبشر بالرأى العام فما من مهنة تتفاعل مع الرأى العام كمهنة الصحافة .. إن الرأى العام الذى يصنعها ، وهى تصنعه أيضاً .. إن الصحافة توجد حيث يوجد الرأى العام فلو لم يكن لنا رأى عام لما كانت لنا صحافة ، لكن الصحافة فى الطرف الآخر من هذه النظرية هى القوة الدافعة التى تحرك الرأى العام مع أنها تستمد منه قوتها التى تدفعه بها إلى ما يريد .. ومن هنا يشعر كل صحفي حر بأن كل شيء يهون فى سبيل هذه للمهنة التى تتصل أنفاسها بأنفاس شعبه اتصالاً مباشراً .. وفى هذه الحلقة من سلسلة هذا الأرشيف سأحاول استعراض بعض جوانب الحروف الأربعة التى تتألف منها هذه الكلمة .

حرف النون

نقابة :

إن نون الصحافة تتمثل أول ما تتمثل في نون كلمة (نقابة) .. كانت الصحافة المصرية منذ فجر القرن العشرين هي الداعية إلى تشكيل كل النقابات في كل المهنة .. ولقد كانت كلمة (نقابة) تعني في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نقابات العمال ، ولا يزال هذا المعنى قائماً حتى اليوم .. فالعمال هم مراكز التجمع التي تحتاج إلى تنظيمات ورعايات نقابية ، لكن فئات المثقفين في أوائل القرن العشرين بمصر وغيرها بدءوا يشعرون بأنهم هم الآخرون بحاجة إلى تنظيم ، ولم يجدوا لهذا التنظيم اسماً خيراً من كلمة (نقابة) .

على هذا الأساس ظهرت أول نقابة من نقابات المثقفين في مصر سنة ١٩١٢ وهي نقابة المحامين ، ومع أن الدعوة لإنشاء نقابة للصحفيين ظهرت في وقت واحد مع الدعوة لإنشاء نقابة للمحامين إلا أن تنظيم مهنة المحاماة بقوانين قديمة ترجع إلى تنظيم هيئة القضاء ذاتها قد جعل من إنشاء نقابة المحامين أمراً سهلاً في هذا الماضى الذي أصبح بعيداً .. أما الصحفيون فقد ظلوا يكافحون للوصول إلى تنظيم مهنتهم بقانون ، غير قانون الطبوعات حوالى ثلث قرن حتى تحقق لهم صدور هذا القانون في ٣١ مارس سنة ١٩٤١ . ومع هذا فقد كانت نقاباتهم ، من الناحية التاريخية ، ثانی نقابات المثقفين في مصر .. وكان إنشاء نقابة

للصحفيين إذناً بإنشاء سائر نقابات المثقفين التي بدأ ظهورها يتوالى منذ سنة ١٩٤١ حتى بلغت الآن إحدى عشرة نقابة وهى نقابات المحامين .. الصحفيين .. الأطباء البشريين .. الأطباء البيطريين .. أطباء الأسنان .. الصيادلة .. للمهندسين .. للمهندسين الزراعيين .. للمعلمين .. العلميين .. التجاريين .. وقد شاركت الصحافة فى الدعوة لإنشاء كل هذه النقابات .. فضلاً عن أنها كانت للنبر العام لعشرات من نقابات العمال والفنيين .. وتعتبر نقابة الصحفيين هى النقابة الوسط بين كل ألوان هذه النقابات .. ذلك أن الصحفيين بطبيعة ثافتهم صف من صفوف المثقفين .. ثم هم بطبيعة سير العمل فى حياتهم اليومية صف من صفوف العمال .. ثم هم فى أكثر من تخصص من تخصصاتهم شركاء للفنانين ..

ولهذا كانت ثافتهم منذ إنشائها فى سنة ١٩٤١ حتى الآن مركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع المثقفين ، ومركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع العمال ، ومركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع الفنانين .. هذا بالإضافة إلى أن نقابة الصحفيين كانت أول نقابة فتحت أبواب مجلسها للمرأة فى مصر .. فبعد عشرين عاماً دخلت أول سيدة فى عضوية مجلس النقابة فى نقابة الصحفيين ، وهذه السيدة هى الزميلة الأستاذة أمينة السعيد التى انتخبت عدة مرات وكيله للنقابة .

نقد :

وإذا كانت نون (النقابة) تخص الصحفيين أنفسهم فهناك نون

أخرى تهم الرأى العام كله ، وهى نون (النقد) .. إن نصف العمل فى الصحافة يقوم على النقد .. ولقد استطاعت الصحافة أن ترتفع بكلمة (نقد) إلى مستوى اللوائىق القومية .. والدليل على هذا ما ورد فى الميثاق الوطنى الصادر فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ عن النقد البناء والنقد الذاتى باعتبارهما ضلعين من أضلاع حرية الصحافة .

ولشدة الصلة بين مفاهيم الصحافة ومفاهيم النقد نجد صعوبة كبيرة فى تحديد للعالم التاريخى لحركة (النقد) فى صحافتنا .. على أننى أعتقد أن أول نقد فى قدمته الصحافة لقراءها يشتمل فى (حديث الأربعاء) الذى كان يكتبه أستاذنا الدكتور طه حسين فى الصفحة الأدبية بمجريدة (السياسة) منذ أكثر من خمسين عاماً ثم أخرجه فى كتاب .. وطبيعى أن تكون الصحافة قد عرفت للنقد قبل هذا التاريخ أصلته بطبيعة عملها .. لكن نقداً الأستاذ الدكتور طه حسين التى بدأت منذ ذلك التاريخ تعتبر فى نظرى القاعدة الفنية الأولى للنقد الفنى بمفهومه العلمى الحديث .

نباة :

ولما كان النقد فى صحافتنا غير مقتصر على النقد الفنى .. بل أنه قد بدأ بالنقد السياسى فإن طبيعة الأشياء فى الماضى قد خلقت جهازاً مضاداً للنقد السياسى ، وكان هذا الجهاز يسمى (نباة للصحافة) .

ذلك أن التحقيق مع الصحفيين فيما كانوا يكتبونه بين الثلاثينيات .

والأربعينيات حينما تزايد حجمه رؤى أن يوكل هذا التحقيق ، مبدئياً ، إلى نيابة متخصصة في قضايا الصحفيين .. ولست أذكر أول تحقيق أجرته هذه النيابة ، لكنني أذكر آخر تحقيق هام . . لأنه كان معي .. وكان موعده قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بقليل .

كان موضوع هذا التحقيق خطبة نشرتها لأحد السياسيين تناول فيها بالشرح ما كانت للمعارضة قد تناولته في عريضتها المقدمة إلى الملك السابق عن تدخل حاشيته في شئون الحكم بغير وجه حق .

كانت التهمة من وجهة نظر النيابة واضحة لأن المادة التي نشرتها كانت في عداد اللواد المنوعة من النشر .. وكان أمامي في هذا التحقيق أحد أمرين إما أن أؤيد ما نشرته ، وهو ما لا سييل إلى إنكاره - ومعنى هذا أنني أؤيد الاتهام .. وإما أن أمتنع عن الإجابة إلى أن يقضى الله أمراً ، وقد اخترت هذا الأمر .

وكان رئيس النيابة الذي يحقق معي للرحوم المستشار الليطاش رجلاً لبقاً ذكياً.. فما أن لاحظ إصراري على عدم الإجابة حتى صرف كاتب الجلسة وتظاهر بأنه قد قفل المحضر ، وأنه يريد أن يتناول معي فنجاناً من القهوة .. ثم أخذ يتحدث إلى حديثاً خاصاً يبدو خارج للموضوع وإن كان في صميمه .. وفي هذا الحديث قلت له (وماذا نشر نحن الآن أكثر مما قاله شيخ القضاة وعبيدهم عبد العزيز فهمي) (باشا)

في خطابه حين كان رئيساً لحرب الأحوار الدستوريين في سنة ١٩٢٣ وهو يهاجم تدخل الحاشية للملكية في شئون الحكم ؟

.. وتهد رئيس النيابة وهو يقول لي : ولماذا لم تقل هذه العبارة منذ البداية .. إنني لا أريد أكثر منها لإقفال المحضر .. وإنهاء التحقيق الذي انتهى فعلاً بتسجيل هذه العبارة ..

حرف الهاء

هواية :

لا تكاد توجد مهنة في الدنيا بأسرها لها طبيعة الهواية كهنة الصحافة فثا من صحفي إلا وقد بدأ صلتها بالصحافة هاوياً.. ومن المعروف في الأوساط الصحفية أن انتشار هذه الهواية يشكل نصف متاعب المحررين المسؤولين ، فكل عشرة هواة عن يرون في أنفسهم كفاءة المحررين لا يكاد يوفق منهم أكثر من واحد في الانضمام إلى (بلاط صاحبة الجلالة - الصحافة) وهذه النتيجة هي التي تشكل المحلات المتابعة التي يتلقاها المحررون المسؤولون من الهواة ، وإن كانت هذه المحلات قد خفت منذ أصبحت الصحافة دراسة يتخرج فيها الشباب من الجامعة فضلاً عن التنفس الكبير للهواة الناشئين في الصحافة المدرسية والجامعية .

لكن غير المعروف أن هذه الهواية تسبب لأصحابها كثيراً من المتاعب

أيضاً .. أليست الصحافة مهنة للبحث عن المتاعب ؟ .. لقد جاءني أحد
 الهواة ذات يوم من أيام فبراير سنة ١٩٤٥ يقترح أن أجربه كمساعد
 برلماني .. وتحت تأثير احترامى لثقافته العالية وإلحاحه قبلت أن يقوم
 بهذه التجربة .. وذهب الشاب إلى جلسة مجلس النواب ، واستطاع
 أن يدخل المجلس بصحبة بعض أصدقائه من النواب .. ويشاء حظه
 أن يقتل في هذه الليلة ، ودخل دار البرلمان رئيس الوزراء أحمد ماهر
 .. وأن يفنئ المحققون عن دخولوا هذه الدار بغير ترخيص . فإذا
 بهذا (الهاوى) في مقدمتهم . وقبض عليه أربعة أيام تحت التحقيق
 واقتضى الإفراج عنه جهداً غير عادى إذ لم يكن هناك سبب يقبله القانون
 لدخوله المجلس بغير الترخيص .. وطلق هذا الصديق هذه الهواية
 طلاقاً بائساً لا رجعة فيه ..

حرف الواو

ورق :

إن الصحافة في منابتها الأولية تعتبر طوراً من أطوار الوراقين ..
 صناعة الذين يقدمون إنتاجهم على صحائف من الورق .. إن اسم
 (الصحافة) ذاته له صلة لغوية تاريخية بكلمات صحفية وصحائف وصحف
 .. فالورق هو عصب الصحافة الذى لا يمكن أن تظهر أو تعيش
 بدونه .. إنه أشبه الأشياء بعجينة الخبز الذى يقدمه الخبازون كل يوم
 إلى الناس .. ولقد أصبح من أصول صناعة الصحافة أن إنشاء صحيفة
 يقتضى أولاً إنشاء مخزن متجدد من الورق .

لكن هذا الورق قد أخذ في الحرب العالمية الثانية سمة أخرى ..
لقد أصبح من (الذخائر) التي تتولى البوارج الحربية نقلها لتزويد
(سلاح القلم) الذي يشترك مع أسلحة الحرب الأخرى بهذه الذخائر
الورقية .

وبالفعل أصبح الورق في الحرب العالمية الثانية (ذخيرة) لا من
الناحية الحربية فقط ، بل من الناحية الاقتصادية أيضاً .. فالصحف
التي تحصل على ورق أكثر هي الصحف التي كانت تحصل على مكاسب
أكثر .. يكفي للإشارة إلى هذه المكاسب أن طن الورق كان داخل
المنسيرة بمبلغ خمسة وثلاثين جنياً ، وخارج المنسيرة بمخمسائه جنبيه ..
والفرق بين هذين الرقين هو الذي يفسر لنا كيف أصبح بعض الصحفيين
في الماضي من أغنياء الحرب ..



يَاءَاتُ الصَّحَافَةِ الْعَشْرَةِ

.. وأخيراً وصلنا إلى حرف « الشماعة » أى الحرف الذى نستطيع أن نضع فوقه كل أخطائنا وكل ما سهونا عنه .. أنه حرف الياء الذى يمكن أن يبدأ به أى فعل مضارع لوصف أى مسمى من مسميات هذا الأرشييف .. ومع أن حرف الياء هو آخر حروف الأبجدية .. إلا أنه يتحدى ويتغنى لقول الشاعر :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

إن ياءات الصحافة كثيرة جداً ، لكن أهمها هذه الياءات العشر :
يحرق .. يختصر .. يشيل .. يطبخ .. يعلق .. يغطي .. يفرك ..
يفرق .. ينافس .. يوضب .. وفى هذه الياءات العشر ياءات فنية
وياءات ذات تاريخ .

الياءات الفنية :

أول ياء فنية فى دنيا الصحافة هى ياء كلمة « يحرق » .. بمعنى أن يسبق محرر زملاؤه فى الصحف الأخرى بنشر خبر ، فيقال أن هذا المحرر قد حرق الخبر على زملائه ..

والياء الثانية هى ياء « يختصر » وللاختصار فى المؤسسات الصحفية

محررون متخصصون يسميهم بعض الزملاء باسم « اللقص » فالحرر المختصر هو الذى يمسك مقصاً يقص به بعض فقرات أى مقال أو خبر حسب للمساحة التى تحددها إدارة التحرير لهذا الموضوع .

والثالثة هى ياء « يشيل » وهى كلمة يختلف معناها العامى العادى عن معناها فى دور الصحف .. فيشيل فى العمل الصحفى تعنى أن الساعة إذا بلغت منتصف الليل فما على سكرتير التحرير إلا أن « يشيل » الصحائف المصبوبة أمامه ، أى يأمر بإدخالها للطبعة مهما كانت هناك أسباب للا انتظار .. أن المواعيد فى العمل الصحفى شىء مقدس ..

والياء الرابعة ياء كلمة « يطبخ » والطبخ فى العمل الصحفى شىء مختلف عن مفهومه عند الناس .. إن الطبخ فى الصفحة يعنى تغيير معالم المادة الصحفية من أخبار إلى مواضيع على النحو الذى يراه القارىء ، وهو لا يدرى أن هذه للمواضيع إنما جاءت طبخة يشترك فيها كل من يطبخون المادة الصحفية .

أما الخامسة فهى ياء « يغطى » ويغطى أيضاً لها معنى آخر فى الصحافة .. أنها تعنى أن المحرر يستجمع كل أركان الخبر أو للموضوع الصغير الذى أمامه كى يقدمه للقارىء عملاً صحفياً متكامل لا ينقصه شىء يسأل القارىء عنه ..

والياء السادسة هى ياء « يوضب » والتوضيب فى العمل الصحفى هو هذا التنسيق الذى تراه بين مواد الجريدة . إن المحرر الذى يوضب

الصفحات هو المهندس الصحفي الذي يقدم لك هذا البناء المتناسق في الصحيفة التي تقرأها .

البيانات ذات التاريخ :

بقيت الباءات الأربع ذات القصص الطريفة في تاريخ الصحافة ، وأولى هذه الباءات ياء « يفبرك » .. لقد كانت « الفبركة » فناً صحفياً مشهوراً في جيل الصحافة الأسبق ، وقد اختفى هذا الفن في جيلنا بعد ظهور آداب المهنة والالتزام بها .. كانت الفبركة هي التي خلقت العبارة التي كانت مألوفاً في الماضي عبارة « دا كلام جرائد » .. ولعل أشهر قصص الفبركة الصحفية في جيل الصحافة الأسبق قصة محرر اللقطة الذي جاءه رئيس المطبعة ليقول له أن الصفحة الأخيرة ينقصها هامود كامل .. فجلس المحرر للنشيط وألف من خياله قصة حريق هائل وقع بمدينة استانبول وأحدث كذا وكذا من الحوادث التي لا أصل لها .. ودفع المحرر بهذا الخبر « الخطير » إلى المطبعة ، لكن رئيس المطبعة وجد أن مادة الخبر تغطي ثلاثة أرباع العمود ، فلجأ إلى رئيس التحرير ، وقص عليه للقصة كاملة فتأدى رئيس التحرير المحرر كاتب الخبر للصنوع وقال له : أكتب تكديماً لهذا الخبر فيما لا يزيد عن عشرة سطور لتكملة الهامود !

وتأتى بعد ياء خبرك ياء « يفرع » وهى أيضاً من الاصطلاحات الصحفية القديمة .. واصطلاح « يفرع » له ناحيتان : ناحية للوضع الذى يكتبه الصحفى ليحدث به ضجة ثم يتبين أن هذه الضجة « زوبعة فى قنحان » .. وناحية فرقة للغزوم فى آلات التصوير القديمة .

كان مصورو الصحف القديمة لا يستطيعون ضبط الصورة إلا بواسطة النور المنبعث من لمبات المغنيزيوم للملحقة بآلة التصوير . . . وذات مرة كان أحد المصورين الصحفيين يلتقط صورة لمجلس وزراء جديد من مجالس الوزراء القديمة التي لم تكن على وفاق مع الشعب ، فأين « فرقع » المغنيزيوم حتى أغشى على رئيس مجلس الوزراء لأنه توهم أن نوار زمان قد استطاعوا اقتحام مجلس الوزراء برصاصهم . . . وكانت أفكوهة تفككت بها الأوساط الصحفية والسياسية لعدة أيام . . . ولياء كلمة « ينافس » قصة . . . ففي سنة ١٩٤٥ كانت هناك صحيفتان قد اشتدت المنافسة بينهما . فإذا نشرت إحداها خبراً أو موضوعاً لا يجده صاحب الصحيفة الأخرى في جريدته إنهاك ذماً على سكرتير التحرير . . . وقرر سكرتير التحرير أن « ينافس » بطريقة لم تخطر يال أى صحفى من قبل ولا من بعد . . .

كان مسموحاً في سنة ١٩٤٥ أن تجري مراقبة الصحف في دار الرقابة نفسها ، وكان هذا يتطلب أن يذهب مندوب خاص من الجريدة بصفحاتها قبل الطبع إلى دار الرقابة . . . فاتفق سكرتير تحرير الجريدة للناسه مع هذا المندوب على أنه في طريق العودة يمر به فيلتقيان وراء نافذة تطل على طريق مظلم مسدود . . . وفي دقائق يكون سكرتير التحرير قد اطلع على صفحات الجريدة للناسه قبل طبع الجريدتين فيلتقط منها ما ينقصه من أخبار .

وظل هذا اللون القبيح من المنافسة غير المشروعة قائماً حتى صدرت لائحة بآداب المهنة فقصت على هذا اللون نهائياً .

— ٢٣٣ —

بقيت الباء الأخيرة وهى ياء « يعلق » .. وأكثر التعليقات حساسية هى التى تكتب فور الساعة .. أحياناً تكتب هذه التعليقات عند الضرورة بينما تكون إجراءات الطبع قد بدأت .. وقد ارتفع منسوب هذه التعليقات ، وكانت غالبية هذه التعليقات على خطب السيد الرئيس التى يلقها فى المناسبات القومية الهامة .

ذات مرة كان خطاب الرئيس أنور السادات سيبدأ بعد التاسعة مساءً وينتهى قرابة منتصف الليل ، أى عند وقت بداية الطبع .. فكان على أن أستمع إلى الخطاب من المذياع .. وكلا وصل الخطاب إلى نقطة حساسة التقطت منها مادة التعليق — فإنا أن فرغ السيد الرئيس من إلقاء خطابه حتى كان التعليق ينتقل من يدي إلى أيدي عمال المطبعة ..

يوميّات :

هذه المصطلحات الفنية التى تتصل بحرف الباء من أرشيف مهنة الصحافة ينقصها مصطلح هام .. المصطلح الذى نسميه « اليوميّات » . فاليوميّات فى الصحف هى مقال الصفحة الأخيرة .. كانت الصفحة الأخيرة فى جيل الصحافة الأسبق إما أن تكون صفحة قصة ، وإما أن تكون صفحة « شذرات » وهى مجموع كبيرة من الأخبار الطريفة التى لا تجد لها مكاناً بين الأخبار « المحلية » ذات الطابع السياسى .

وإمع هذا فإن باب اليوميّات ليس جديداً كما قد يظن بعض الزملاء أو القراء المحذرين .. الجديد فيه هو الأسلوب فقط .. فقد كان

حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » يكتب يوميات جريدته. في العشرينيات والثلاثينيات تحت عنوان « حديث المجالس » .. وكان توفيق حبيب المحرر بالأهرام يكتب يومياته في الثلاثينيات تحت عنوان « الهامش » فقد كانت هذه اليوميات تحتل هامش الصفحة الوسطى إلى اليسار .. ولعل أول من كتب اليوميات بأسلوبها الحديث الذى نعرفها به الآن هو الصحفي الكبير الراحل توفيق دياب ، فقد كان يكتب مقالاته ابتداء من سنة ١٩٢٦ على صفحات « السياسة الأسبوعية » . بأسلوب اليوميات الذى نعرفه الآن .. وكانت أولى هذه المقالات مقالة بعنوان « حر و تراب و طرايش » وقد تناول فى هذا المقال .. هذا المقال القديم مشكلة لبس الطرايش فى فصل الصيف إلى جانب معالجة طريقة لمشكلة النظافة فى القاهرة .

يعين ويسار :

وفى خاتمة أبجدية هذا الأرشيف الصحفي لا بد أن أسجل ظاهرة وثيقة الصلة بحرف الياء .. ظاهرة تقسيم الفكر الصحفي إلى « يعين » وإلى « يسار » .. أن هذه الظاهرة لم تظهر بوضوح إلا خلال الحرب العالمية الثانية .. وبالذات بعد اشتراك الاتحاد السوفيتى فيها .. على وجه التقريب فى سنة ١٩٤٣ .

كان الكتاب الصحفيون قبل هذا التاريخ على الأغلب كتاب « يعين » إلا أن تطور الأحداث العالمية قد خلق أفكاراً جديدة شابة تبناها بعض أعلام الصحافة الجند .. وكانت هذه الأفكار بطبيعة تطور هذه الأحداث أفكاراً إلى « اليسار » .

وكان أول من تصدى لنشر هذه الأفكار من خلال الظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد ثلاثة زملاء هم : المرحوم الدكتور عزيز فهمى الذى يرجح الكثيرون أنه مات فعلاً بتدبير من القصر الملكى .. والمرحوم الدكتور محمد مندور الذى عاش حتى شهد فجر الثورة ومسارها فى الخمسينات وشارك فى المفاهيم الفكرية الجديدة إلى أن توفى منذ سنوات .. والدكتور رياض شمس الحامى الذى اشتغل بالصحافة الوفدية فى الماضى ليبت فيها جانباً من الفكر اليسارى الحديث ، وما زال الاضطهاد يلاحقه حتى ترك الصحافة إلى مهنته الأصلية بين المحامين ..



الباب الثالث

المذاهب الصوفية في مصر

المذاهب الصحفية في مصر

سأحاول في هذه الحلقة من الأرشيف محاولة قد تكون محاولة جريئة من الناحية العلمية . . سأحاول أرشفه تاريخ الصحافة المصرية ذاته في فصل واحد ، وقد تكون هذه المحاولة تجريباً على (العالم) لكنها أفضل من التجنى على (المعرفة) فللعلم بحوثه المستفيضة ، والمعرفة خلاصاتها الخاطفة التي تمشي مع طبيعة العصر ذلك أننا كلما تحدثنا عن نهضة الصحافة المصرية ذهب الحديث ، أو ذهب التفكير فيه إلى ثورة سنة ١٩١٩ أو إلى مقدماتها ونتائجها فحسب ، وهذا ظلم أعتقد أن الأرشيفات الصحفية مسئولة عن إصلاحه . . وقد تكون أرشفة تاريخ الصحافة موضع اهتمام الصحفيين فقط . . لكن التقسيم الجديد الذي سأورد هذا التاريخ إليه يحمل أبعاداً أخرى قد تهم الناس جميعاً . . أننى أقسم منابت تاريخ الصحافة المصرية إلى ثمانية أبواب على النحو الآتى :

الباب الأول

صحف محمد علي :

كان محمد علي يعتمد في دعم سلطانه أحياناً ، ووطنياته أحياناً على مفهوم من مفاهيم السيطرة الإعلامية ، فلم يكن مباحاً في عهده لغير (الوالى) أى لغيره شخصياً أن يصدر صحفاً . . وكانت صحف محمد علي مجرد نشرات تحمل أوامره ونواهيه لعمالة وأركان حربه في كل ناحية

دون أن تكون للشعب أية صلة بهذه النشرات وفي ظل هذا المعنى
أنشأ مجد على الصحف — أو على الأصح النشرات الآتية : —

١ — جورنال الخديوى :

وقد ظهر هذا (الجورنال) سنة ١٨١٣ ولما كانت الطباعة
لم تظهر بالقدر الكافى عند ظهور هذه النشرة فقد ظلت تكتب — على
الكربون أو ما أشبه — بخط اليد إلى سنة ١٨٢١ حيث بدأت تطبع
بمطبعة القلعة الجديدة ، وكانت لغة هذه النشرة فى البداية هى اللغة
التركية التى كانت سائدة على عصر مجد على فى مصر الرسمية .

٢ — الوقائع المصرية :

وقد تطور (جورنال الخديوى) فى سنة ١٨٢٢ إلى جريدة
(الوقائع المصرية) وكان هذا التطور أثراً من آثار الطباعة العربية
الحديثة بالنسبة لما كان ، ولهذا كانت الوقائع هى أول جريدة رسمية
تظهر باللغة العربية إلى جانب ما كان ينشر فيها أصلاً باللغة التركية
من قبل .

٣ — وقائع كريدية :

وهى جريدة ، أو نشرة تركية أصدرها مجد على فى جزيرة كريت
لدعم سلطانه على هذه الجزيرة وإن كانت لم تعيش ، كما لم يعيش سلطانه
فيها إلا قليلاً .

٤ - الجريدة العسكرية :

أصدرها محمد علي سنة ١٨٣٣ لتحمل ما يصدره من (فرامانات) تركية وتعليمات إلى المرتزقة من ضباطه وجنوده الذين بنى على أكتافهم ، أو على الأصح على أكتاف الجيش المصرى ، ما بناه .

٥ - لامينيو أجيسيان :

لقد أنشأ محمد علي هذه الجريدة باللغة الفرنسية في مدينة اسكندرية حيث كانت تقيم قالية الجاليات الأجنبية ، للرد على جريدة (لامنتيو أوتومان) التي صدرت بمدينة اسكندرية أيضاً لحساب السلطان العثمانى . . وذلك في سنة ١٨٣٣ . . وهاتان الصحيفتان كانتا تحملان معنى الصراع الذى كان قائماً حول النفوذ بين السلطان الثمانى وبين الوالى محمد علي .

الباب الثانى

صحف عرابى :

عرف عرابى طريق الصحافة فى ثورته . . ومع أنه لم ينشئ صحفاً إلا أن ثورته كانت تحتضن الصحف الآتية :

١ - مجلة التنكيث والتبكيث :

وقد أصدرها عبد الله النديم سنة ١٨٨١ مع مقدمات الثورة . . وكان يعتمد فى حملته الدعائية بها على النكتة والنقد اللاذع لأعداء الشعب .

٢ — مجلة المفيد :

وقد أصدرها في نفس الوقت حسن الشبمي . . وكانت تعتمد على الأسلوب الجاد الرصين .

٣ — مجلة الطائف :

وقد أصدرها عبد الله النديم بمشورة عرابي عندما اشتد لهيب الثورة سنة ١٨٨٢ فقد أشار عرابي على داعيته الأول عبد الله النديم أن ينشئ صحيفة تجمع أسلوبى الصحيفتين السابقتين لتقف وراء القوات المحاربة .

الباب الثالث

صحف الأفغانى :

حينما قدم جمال الدين الأفغانى بدعوته إلى مصر سنة ١٨٧١ شجع عدداً من حملة الأقلام الوافدين على مصر لإخراج عدد من الصحف التى تدعوه ولأفكاره ولعله مما يعكس ناحية من هذه الأفكار أن مخرجى هذه الصحف لم يكونوا كلهم مصريين ولا مسلمين أول الأمر مما يدل على أبعاد الآفاق التى كان يتجه إليها السيد جمال الدين .^{١٥} وهذه الصحف هى :

— ٢٤٣ —

١ - جريدة (مصر) :

وقد أنشأها أديب أسحق سنة ١٨٧٧ وقد اشترك سليم النقاش مع أديب أسحق في حركته الصحفية من بعد . .

٢ - جريدة أبو نظارة :

التي أصدرها يعقوب بن صنوع سنة ١٨٧٧ .

٣ - جريدة (مرآة الشرق) :

التي أصدرها سليم عنجورى سنة ١٨٧٩ ووكّل تحريرها إلى الكاتب للمصرى المسلم إبراهيم اللقاني .

وكانت هذه الصحف الثلاث تلتقي عند نقطة هامة ، وهى الحملة على الحاكم المصرى أو المتمصر بمعنى آخر .

وكان بعضها يحتّمى فى حملته بتأييد سياسة السلطان العثمانى . . وقد يكون فى مقدمة معالمها أنها كانت إمتداداً لحركة جال الدين الأفغانى بعد نفيه عن مصر .

الباب الرابع

صحف عربية فى الخارج :

بدخروج جال الدين الأفغانى من مصر أخذ يقود حركة إعلامية شرقية فى الخارج ، وقد تمثلت هذه الحركة منه ومن غيره فى :

— ٢٤٤ —

١ - جريدة (مصر القاهرة) :

التي أنشأها أديب إسحق لحساب الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٠.

٢ - جريدة (العروة الوثقى) :

التي أنشأها فى باريس جمال الدين الأفغانى نفسه سنة ١٨٨٤
بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده الذى نفي هو الآخر عن مصر عقب
الاحتلال البريطانى .

٣ - جريدة (منبر الشرق) :

التي أصدرها الشيخ على الغياتى فى لوزان بعد قيام ثورة ١٩١٩
فى مصر لتكون لسان حال المجاهدين الشرقيين فى الخارج . . وكانت
هذه الصحف كلها تصدر باللغة العربية .

الباب الخامس

صحف الثقافة :

كانت الثقافة تسير جنباً إلى جنب مع السياسة فى تاريخ صحافتنا . .
وعلى هذه السيرة ظهرت صحف ثقافية متعددة الألوان فى بواكير
هذا التاريخ وفى مقدمتها المجلات الآتية :

١ - مجلة (يعسوب الطب) :

وظاهر من اسمها أنها كانت مجلة متخصصة في الطب . . . وهى ظاهرة تستحق التسجيل أن تكون أول « مجلة » عربية تظهر في الوجود مجلة متخصصة وقد أصدرها في سنة ١٨٦٥ الدكتور محمد على « باشا » وقد اشتركت بعض الحكيمات في تحريرها .

٢ - نزهة الأفكار :

وتعتبر هذه المجلة أول صحيفة مصرية حملت لواء الثورة الفكرية في جذورها الأولى ، وقد أصدرها للفكران الرائدان إبراهيم اللويلحى وعثمان جلال سنة ١٨٦٩ ، ولهذا لم — يحتمل الحكم الطفاة بقاها أكثر من شهرين .

٣ - روضة المدارس :

التي أصدرها المعلم الأول رفاعة الطهطاوى سنة ١٨٧٠ في أواخر حياته فكانت أول صحيفة من نوعها . . . صحيفة مدرسية . . . ولهذا فقد اقترحت على وزارة التربية والتعليم أن تحتفل في سنة ١٩٧٠ بالعيد المئوى للصحافة المدرسية بمناسبة مرور مائة سنة على ظهور مجلة روضة المدارس . . . وقد نفذ هذا الاقتراح .

٤ - مجلة المقتطف :

وقد أصدرها الدكتور يعقوب صروف في بيروت سنة ١٨٧٦

— ٢٤٦ —

ثم انتقل بها إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ . . وكانت متخصصة في البحوث
العالمية .

٥ - مجلة الهلال :

وقد أنشأها جورجى زيدان فى القاهرة سنة ١٨٩٢ . .
وكانت متخصصة فى البحوث الأدبية والتاريخية العربى والإسلامى .



نشأة الصحافة الحزبية

الباب السادس

بينما كانت أستار الحجاب معدلة على وجه المرأة المصرية تخفى جمالها البدنى كانت هناك ثورة فكرية يضاء ترفع هذا الحجاب عن روح هذه المرأة . . وكان الفضل في هذه الثورة لثلاث سيدات دخلن ميدان الصحافة مبكرات : الأولى هي السيدة هند نوفل التي أنشأت مجلة (الفتاة) بالاسكندرية سنة ١٨٩٢ والثانية هي السيدة السكندرا افرينو التي أنشأت مجلة (أنيس الجليس) بالاسكندرية أيضاً سنة ١٨٩٨ . . والثالثة هي السيدة لبنية هاشم التي أنشأت مجلة (فتاة الشرق) بالقاهرة سنة ١٩٠٦ . . أن هؤلاء الثلاث قد أرسين قواعد الصحافة العربية للنسائية في مصر فسبقن بهضتهن الصحفية جميع النهضة للنسائية الأخرى ، وقد كتبن بهذه النهضة فصلا جديدا في تاريخنا الصحفي هو الفصل السادس في هذا الأرشيف .

الباب السابع

أما الباب السابع في تاريخنا الصحفي فهو باب الصحف السياسية المستقلة التي بدأ ظهورها بظهور فكرة الحياة النيابية في سنة ١٨٦٦

يومئذ بدأ يتوالى ظهور الصحف السياسية التى يملكها الأفراد على النحو التالى :

١ — جريدة (وادى النيل) التى افترن التصريح بإصدارها مع قيام مجلس شورى القوانين فى سنة ١٨٦٦ وإن كانت لم تتمكن من الظهور إلا فى يوليو سنة ١٨٦٧ .. وقد أنشأها عبد الله أبو السعود بمدينة اسكندرية .

٢ — جريدة (الأهرام) التى أصدرها باسكندرية فى سنة ١٨٧٥ الإخوان سليم وبشارة هلا . . كانت أسبوعية ثم تحولت إلى جريدة يومية وكانت سكندرية ثم تحولت إلى قاهرية فى أوائل القرن العشرين .

٣ — جريدة (الوطن) التى أصدرها ميخائيل عبد السيد بالقاهرة سنة ١٨٧٧ .. بدأت قبطية السبت ، ثم أخذت الطابع القومى الكامل .

٤ — جريده (اللقطة) التى أنشأها بالقاهرة سنة ١٨٨٨ المدرسون اللبنانيون الدكتور الثلاثة فارس ثمر ، ويعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، وكانت ميولها انجليزية صريحة ، ثم عدلت عن هذه الصراحة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ .

الباب الثامن

صحف الأحزاب

لقد ظهرت الأحزاب المصرية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من داخل الصحف على النحو التالي :

١ — جريدة (للؤيد) التي أنشأها الشيخ علي يوسف بالقاهرة سنة ١٨٨٩ وانبثق عنها حزب « الإصلاح على المبادئ الدستورية » .

٢ — جريدة (اللواء) التي أنشأها مصطفى كامل بالقاهرة سنة ١٩٠٠ وانبثق عنها الحزب الوطني .

٣ — جريدة (الجريدة) التي أنشأها لطفى السيد بالقاهرة سنة ١٩٠٧ — وانبثق عنها حزب الأمة .

بعد سنة ١٩١٩

تغيرت الصورة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ فبعد أن كانت الأحزاب تنبثق من الصحف أصبحت الصحف تصدر عن الأحزاب — وفيما يلي تسجيل سريع لهذا التطور .

سنة ١٩٢٠

لقد بدأت جريدة (الأهالي) لصاحبها عبد القادر حمزة هذا التطور في سنة ١٩٢٠ . . كانت (الأهالي) تصدر بإسكندرية منذ

سنة ١٩١٠ كإحدى الصحف المستقلة ، لكن اللقاء بين عبد القادر حمزة وبين زعيم الثورة سعد زغلول قد تحولت بها إلى لسان من ألسنة حزبه وأن ظل محتفظاً باستقلاله في الرأي .. إن موقف عبد القادر حمزة يشبه في نفس الوقت موقف أمين الرافعي .. ففي سنة ١٩٢١ أصدر أمين الرافعي جريدة (الأخبار) وأمين الرافعي كان قطباً من أقطاب الحزب الوطنى لكنه آثر أن يكون في صحيفته مستقل الرأي وأن بدت نزعات الحزب الوطنى واضحة للعالم على سياسة صحيفته .

سنة ١٩٢١

وإزاء موقف أمين الرافعي أصدر الحزب الوطنى فى سنة ١٩٢١ جريدة (اللواء الجديد) ووكل تحريرها إلى أحمد وفيق .. وفى سنة ١٩٢١ ظهرت مجلة (الكشكول) - لصاحبها سليمان فوزى وهى أول مجلة تعتمد فى الممارك الصحفية على رسوم الكاريكاتير .. لقد كان وراء هذه المجلة السياسى الداهية إسماعيل صدقى الذى كان قد انشق على سعد زغلول .. وهناك شائعة تقول إن هذه المجلة كانت تصدر لحساب حزب الأحرار الدستوريين . وهو خطأ تاريخى ، فحزب الأحرار الدستوريين لم يظهر إلا فى أخريات سنة ١٩٢٢ ، وكل ما هنالك أن رابطة قوية كانت تربط بين إسماعيل صدقى وبين عدلى يكن أول تولى من رئاسة حزب الدستوريين فكان إتهام صدقى (بأشأ) بمول مجلة الكشكول إلى الأحرار الدستوريين مجرد إتهام إلى شخص عدلى يكن الذى لم تدم رياسته لهذا الحزب إلا شهوراً .

سنة ١٩٢٢ :

أما الجريدة (الرسمية) لحزب الأحرار الدستوريين ، وهي جريدة (السياسة) فقد ظهرت مع الحزب في آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقد أسندت رئاسة تحريرها إلى الدكتور محمد حسين هيكل أستاذ القانون الدستوري في الجامعة المصرية القديمة .

وكانت جريدة (السياسة) أول جريدة تقوم على نظام الشركات فقد كانت شركة يرأس مجلس إدارتها مدحت يكن (باشا) رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، ويتولى شئونها الإدارية الدكتور سيد كامل أحد مديري البنك .

سنة ١٩٢٣ :

نستطيع أن نسمى سنة ١٩٢٣ سنة التصفية في الأساليب التي خلقتها ثورة سنة ١٩١٩ . . وكانت هذه التصفية نتيجة لصدور الدستور في ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ وتحول للمارك الصحفية من الشئون الخارجية البحتة إلى الشئون الداخلية التي خلقتها للمارك الانتخابية .

في هذا الجو حلت جريدة (البلاغ) محل جريدة (الأهالي) لصاحبها عبد القادر حمزة . . وكانت جريدة (البلاغ) بحكمة هذا الصحفي العظيم أقدر الصحف الحزبية ، أو التي كانت حزبية ، على البقاء . . لقد امتد بقاءها من جيل ثورة سنة ١٩١٩ إلى جيل ثورة سنة ١٩٥٢ .

سنة ١٩٢٤ :

إن النجاح الذي حققته جريدة (البلاغ) في تاريخ الصحافة
المسائية قد أغرى أحد حافظ عوض بأن يصدر صحيفة مسائية أخرى
هي جريدة (كوكب الشرق) التي ظهرت في سنة ١٩٢٣ مع تولى سعد
زغلول الحكم . . وقد أضافت (كوكب الشرق) إلى حركة
الإعلام الوفدية عنصر اجديدا .

سنة ١٩٢٥ :

وفي هذه السنة ، سنة ١٩٢٥ حاولت بعض القوى المعارضة للوفد
التي ظهرت ثم اختفت ثم عادت من سنة ١٩٢٢ إلى نهاية سنة ١٩٢٧
أن تقوم بحركة إعلامية جديدة ، فأنشأ هذا البعض جريدة (الاتحاد)
ووكل رئاسة تحريرها إلى طه حسين للأفادة بمجازيته عند القراء . .
لكن إدراك الشعب لمن كانوا وراء هذه الجريدة ، وهم رجال القصر
للملكي قد جعل هذه الجريدة تموت بالسكته منذ نشأتها وخاصة بعد
أن انصرف عنها كبار الكتاب كطه حسين والملازني .

لكن هذه السنة سنة ١٩٢٥ ، كانت ميلادا جديدا للون جديد
في الصحافة الأسبوعية بظهور مجلة (روز اليوسف) . . كانت
(روز اليوسف) أول نشأتها مجلة أدبية في خدمة المسرح ، لكن قوة
الإعلام الوفدية قد احتوتها وجعلت منها المجلة السياسية الكاريكاتورية
التي تنافس مجلة الكشكول . . وقد أثبتت هذه المجلة جدارتها بدليل
بقائها حتى الآن .

سنة ١٩٢٦ :

وإذا قلنا أن سنة ١٩٢٥ كانت بداية الانطلاقة الجديدة في الصحافة الأسبوعية — فإن هذه الانطلاقة قد بلغت قمتها في سنة ١٩٢٦ بظهور جريدة (السياسة الأسبوعية) وقد أغرى نجاح (السياسة الأسبوعية) عبد القادر حمزه بإصدار (البلاغ الأسبوعي) في نفس السنة .
إن تاريخ الصحافة الحزبية ملئ بالأسرار ، وسأحاول كشف بعض هذه الأسرار في الحلقة القادمة .



أسرار الصحافة الحزبية

رأينا في الحلقة السابقة أن الصحف الحزبية في العشرينيات قد بلغت عشرين ، ست صحف يومية ، وأربع صحف أسبوعية ، وأن هذه الصحف العشرة قد أدخلت على تاريخ الصحافة المصرية مفاهيم غير حزبية .. مفاهيم يتصل بعضها بالعروبة وبعضها بالثقافة العامة .

وقبل أن ننقل إلى الثلاثينيات وما بعدها ينبغي أن نذكر أن هذه الحلقة من الزمن كانت بداية مرحلة خطيرة في تاريخ الصحافة ، مرحلة الإخصاب الصحفي غير المنتظم . فإن قيام الأحزاب وتعددنا في هذه المرحلة قد شجع عشرات ، وربما مئات ، ممن اتخذوا الصحافة حرفة لهم ، بكفاءة أو بغير كفاءة ، أن يستصدروا تصريحات بإصدار مجلات أو جرائد لحسابهم . والواقع أن حسابهم هذا لم يكن مستقلا ، فقد كانت هذه الصحف « الفردية » بمثابة « البديل » للصحف الحزبية المعروفة في حالة مصادرتها ، فما تكاد صحيفة منها تصدر في المساء حتى تصدر في الصباح بكامل مواصفاتها لكن تحت أسماء أخرى ، من أسماء الصحف المجهولة التي كان يعدها أصحابها للإيجار ..

سنة ١٩٣١ :

وعلى أية حال فقد توقف سيل إصدار الصحف حوالى خمس

سنوات فيما بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣١ ، ويرجع السبب الأكبر لهذا التوقف إلى أن الحكومة قد أخذت فيما بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٠ في مقاومة هذه (السوق الحرة) لاستصدار الصحف ، وذلك بمراجعة جميع التراخيص الممنوحة للأفراد العاديين بإصدار صحف وإلغاء الكثير منها من لم ينتظم صدورها . وكان قانون المطبوعات ، لا يزال ، يحدد مدة ستة أشهر لظهور الصحيفة بانتظام أو يسقط التصريح بصدورها .

وإزاء هذه المقاومة الحكومية ظهرت مقاومة حزبية بإصدار صحف قوية مساندة للصحافة الحزبية وكان نصيب سنة ١٩٣١ من هذه الحركة صحيفتين يوميتين شهيرتين .

الأولى : هي جريدة (الجهاد) التي أصدرها محمد توفيق دياب على للبادة الوفدية . . والثانية هي جريدة (الشعب) التي أصدرها رئيس الوزراء سنة ١٩٣١ ، وهو إسماعيل صدقي باشا ، واختار لها اسم صحيفة ملغاة من صحف الحزب الوطني التي كانت تصدر من قبل . في سنة ١٩١٣ ثم جرفتها الأحداث في الحرب العالمية الأولى .

وإذا كانت جريدة (الشعب) الصديقة لا تستوقف النظر من الناحيتين التاريخية والفنية أكثر من أنها كانت صحيفة من صحف للنسب السياسية العابرة — فإن جريدة (الجهاد) تعتبر شيئاً آخر ..

إن جريدة (الجهاد) تعتبر من الصحف الثورية . . يكفي في

التدليل على هذا للمعنى أسلوبها الدافق الذى كانت تعالج به أحداث سنة ١٩٣٥ ومن هذا الأسلوب أنها كانت تنشر أسماء الطلبة الذين تقع عليهم اعتداءات السلطات إسمائهم ، وكان من هذه الأسماء إسم الطالب جمال عبد الناصر الذى صار زعيماً ابتداء من سنة ١٩٥٢ .

وجريدة (الجهاد) هى أول صحيفة أدخلت الألوان كجزء يومية من جزئيات الإخراج الصحفى . وأول جريدة جعلت شعارها بيتاً من الشعر . .

لقد كان شعار جريدة (البلاغ) كلمة من كلمات سعد زغلول هى (الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة) أما شعار (الجهاد) فكان قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً

إن الحياة عقيدة وجهاد

سنة ١٩٣٤ :

وفى سنة ١٩٣٤ ظهر أسلوب جديد فى الصحافة الحزبية الأسبوعية بظهور مجلة (آخر ساعة) لصاحبها محمد التابعى . . كان التابعى إلى ذلك الوقت المحرر الأول للمجلة روز اليوسف . . وقد لاحظ فى ذلك الوقت ألد السيدة روز اليوسف صاحبة هذه المجلة بدأت تتحرر من النزعة الحزبية ، فأنشأ مجلة (آخر ساعة) ليستقل عن سياسة روز اليوسف ، وليعلن أن مجلة (آخر ساعة) مجلة (مستقلة) لكن هذا الاستقلال كان أسلوباً جديداً ماهراً فى تأييد حزب الوفد . .

سنة ١٩٣٥ :

وقامت السيدة روز اليوسف بحركة جزئية في هذا الموقف ،
فأنشأت في سنة ١٩٣٥ جريدة (روز اليوسف اليومية) وهي أول
وآخر جريدة يعقد حزب الأغلبية ، حزب الوفد ، اجتماعاً طارئاً
وبكامل هيئته ، ليقرر أنها لا تنطق باسمه ..

سنة ١٩٣٦ :

ولقد تفتى في سنة ١٩٣٦ أسلووان من الأساليب الصحفية ..
أسلوب التابعي في أن تكون هناك صحافة وفدية (مستقلة) . وذلك
بظهور جريدة (المصرى) اليومية التي اشترك التابعي نفسه في تأسيسها
مع صاحبها محمود أبو الفتح .. وأسلوب جريدة (السياسة) بأن تستند
الجريدة إلى شركة .. ففي سنة ١٩٣٦ تحولت جريدة (الأهرام)
نفسها إلى شركة ، ومع أن هذه الشركة قد تألفت من أسرة تقلا ومن
إليها فقط - إلا أنها كانت حركة ظاهرة من حركات المقاومة لانتشار
الصحافة الحزبية .

كانت (الأهرام) لا تهتز لوجود صحيفة صباحية منافسة ، لكن
حينما تكاثرت هذه الصحف .. هذه الصحف الوفدية .. فكر تقلا
(باشا) صاحب الأهرام في أن يقاومها بنفس السلاح الحزبي ، فعرض
على الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير (السياسة) بعد توقيعها
أن يعيد إصدارها على حساب (الأهرام) لتقف في مواجهة الصحف

الأخرى ، لكن هيكل رفض هذا العرض ، فلم يكن أمام تقلا إلا أن
ينشئ شركة تمسك بزمام التوزيع في الأسواق .

سنة ١٩٣٧ :

ويبدو أن زحف الفكرة الصحفية فكرة ظهور صحف حزب
الغالبية حزب الوفد ، وهى مستقلة — لم تعجب القيادة الوفدية فى كل
الأحوال ، فشكل الحزب فى سنة ١٩٣٧ أحد رجاله بإصدار جريدة
وفدية لحماً ودماً لتقف على الأقل فى مواجهة جريدة (البلاغ) التى
تمحلت فى هذه السنة إلى المعارضة وكانت هذه الجريدة الجديدة هى
جريدة (الوفد المصرى) .

سنة ١٩٣٨ :

لكن جريدة (البلاغ) التى كانت فى سنة ١٩٣٨ قد تمحلت إلى
معارضة الوفد لم يوافق صاحبها عبد القادر حمزة على أن تكون لساناً
للمعارضين .. ومن هذا الموقف نبئت الفكرة عند الصحفي محمد خالد
الذى كان من كبار محررى (الأهرام) يؤمن أن يصدر جريدة
جديدة تنطق بلسان (الهيئة السعدية) التى انشقت على الوفد ..
واختار لها اسم جريدة (الدستور) .. ومع أن خالداً قد أخلص
للحزب السعدى الجديد .. ومع أن الحزب كان دائماً الصلة والرعاية
لهذه الجريدة إلا أنه لم يعطها صفة اللسان (الرسمى) له على عكس ما
كان يظن الكثيرون .

وفي سنة ١٩٣٨ ظهرت أيضاً جريدة جديدة أخرى ، هي جريدة (مصر الفتاة) لسان حزب الشباب الذي كان يحمل هذا الاسم . إلا أن هذه الجريدة كانت حلقة من سلسلة صحف الحزب التي كانت تنصب عليها مطاردة السلطات فتختفى واحد تلو الآخر ، وهي بترتيبها الزمني : الصرخة .. الضياء .. الثغر .. مصر الفتاة .. الاشتراكية .

سنة ١٩٤٤ :

وجاءت الحرب العالمية الثانية بكل ظروفها التي أوقفت سيل إصدار صحف جديدة .. لكن ما كادت سحب الحرب تنحصر في أخريات سنة ١٩٤٤ حتى عادت الأحزاب إلى نشاطها الصحفي ، فأعاد حزب الأحرار الدستوريين إصدار جريدة السياسة اليومية .. وأصدر مكرم عبيد (باشا) رئيس حزب الكتلة المنشق على الوفد جريدة جديدة باسم (الكتلة) . وأخذ حزب الهيئة السعدية يستعد لإصدار جريدة (الأساس) التي ظهرت بعد عامين .

وكانت للظاهرة الجديدة في هذه الصحف على اختلاف نزعاتها الحزبية أن رياسات تحريرها قد وكلت إلى الشباب .. فرياسة تحرير (السياسة) قد وكلت إلى ، ورياسة تحرير (الكتلة) قد وكلت إلى الزميلين : جلال الحماصى والمرحوم قاسم جودة ، ورياسة تحرير

(الأساس) قد وكلت إلى الدكتور على الرجال ، وكان رؤساء التحرير هؤلاء جميعاً دون حدود الثلاثين من العمر .

وفي هذا الاتجاه إلى تجديد شباب الصحافة الحزبية — ظهرت صحيفة حزبية من لون يختلف عن هذه الصحف جميعاً ، لون ثوري جديد تمثل في جريدة (اللواء الجديدة) التي أصدرها السياسي الشاب إذ ذاك فتحى رضوان بوصفه رئيس الحزب الوطنى (الجديد) الذى استقل به الشباب عن الشيوخ .

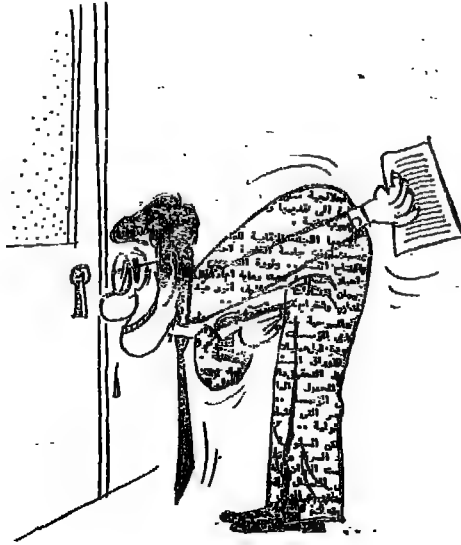
سنة ١٩٤٦ :

وفي سنة ١٩٤٦ كانت المعارك الحزبية قد بلغت الأعماق . . وفي هذه الأعماق اختفت جريدة (الوفد المصرى) التى ظهرت فى سنة ١٩٣٧ وحلت محلها جريدة يومية بديلة عنها هى جريدة (صوت الأمة) ولم تختلف هذه عن تلك إلا فى الاسم فقط . . وعلى سياسة تجديد شباب الصحافة الحزبية وكلت رئاسة تحرير هذه الجريدة إلى الزميل المرحوم الدكتور محمد مندور صاحب سياسة (الطليعة) بين شباب حزب الأغلبية الوفدى . .

وفي تلك السنة ظهرت الجريدة اليومية للأخوان المسلمين .

من هذا العرض السريع للصحافة الحزبية نجد أماننا ترمو متراً دقيقاً لحركات الإعلام الحزبية فى الثلاثين سنة التى تقع بين سنة

١٩٢٠ وسنة ١٩٥٠ .. فقد بلغت صحف الوفد عشراً ثلاث منها صحف أسبوعية ، وبلغت صحف مصر الفتاة للمتابعة خمساً كلها صحف أسبوعية. وهي الصحف التي كان يصدرها أحمد حسين . وبلغت صحف الحزب الوطني ثلاثاً إحداها أسبوعية ، وبلغت صحف السعديين اثنتين إحداها رسمية والأخرى مناصرة . والباقي للتشكيلات الحزبية الأخرى : ومجموعها خمس وعشرين صحيفة في ربع قرن ..



جماعات المصاحفين

للمصاحفون ، ومفردها مصاحف ، يضم اليهم ، هم أنساب أسرة الصحافة وأصهارها . . هم النضمون إلى أسرة الصحافة من غير الصحفيين . . هم المخالطون للصحفيين من أصحاب المهن الأخرى . . هم ذوو الاهتمامات الصحفية دون احتراف للصحافة . . إن الذي ابتكر كلمة (مصاحف) هو أستاذ الصحافة محمود عزمي حينما تولى إدارة معهد الصحافة العالي الذي سبق إنشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة وهو للمعهد الذي اقترح مشروعه الدكتور كمال الدين جلال . . وقد استخدم هذه الكلمة أستاذ الصحافة للرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة في وصف أصدقاء الصحافة ، واستخدمها زميلنا أنور الجندي للتعبير في كتبه عن الشخصيات التي كانت لأصحابها مكانات في الصحف . .

رباعيات الملتزمين :

سأبدأ بمن كانت لمصاحفتهم طابع شبه رسمي ، وقد ظهر هذا الطابع بظهور الأحزاب عقب ثورة سنة ١٩١٩ واختيار كل حزب مصاحفا للتوجيه الحزبي في جريدته وأبرز أولئك المصاحفين ، أربعة وهم :

— ٢٦٤ —

١ — الدكتور حافظ عفيفي :

الذى اختاره حزب الأحرار الدستوريين موجهها فى جريدة (السياسة) عند إنشائها فى نهاية أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . وكانت طريقة حافظ عفيفي لا تعدو أكثر من تناول فنجان قهوة كل مساء بمكتب رئيس التحرير الدكتور هيكل ، وحول فنجان القهوة تناقش سياسة اليوم .

٢ — الدكتور أحمد ماهر :

الذى اختاره حزب الوفد فى أوائل الثلاثينات .وجهها لإحدى صحفه ، وهى جريدة (كوكب الشرق) . وكانت طريقة الدكتور ماهر هى طريقة للمشاركة فى كل أعمال الجريدة سياسيا . . طريقة مسئول له مكتب بدار الجريدة ويباح لكل العاملين فيها بالرجوع إليه .

٣ — مكرم عبيد باشا :

حينما شكل مكرم عبيد حزب الكتلة عقب انفصاله عن الوفد فى سنة ١٩٤٣ أصدر جريدة (الكتلة) وكانت طريقته فى التوجيه طريقة إملائية — كان يعلى بنفسه الأخبار والمقالات بواسطة التليفون من منزله . . وكان يلخص سياسة حزبه فى جملة من سطرين تنشر كل يوم على رأس الجريدة بعنوان (حكمة اليوم) .

٤ — حامد جودة :

حينما شكل الماهريون حزبهم ، باسم الهيئة السعدية ، ثم أنشأوا له جريدة (الأساس) ١٩٤٧ اختاروا الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب موجهها لجريدتهم . . وكان له بدار الجريدة مكتب يكتفى فيه باستقبال رئيس تحرير الجريدة ومدير تحريرها ، ولا يستقبل غيرها إلا عند الاقتضاء .

الموجهون المتطوعون :

يقابل هؤلاء الأربعة أربعة آخرون من رجال الأحزاب قد انطلقوا للنشر في كل الصحف عن طريق صداقاتهم برجال هذه الصحف ، وهم :

١ — عبد الرحمن الرافعي .

قطب الحزب الوطني الذي كان يعمل متطوعا في صحف حزبه منذ كان طالبا بالحقوق على عهد مصطفى كامل ، إلى أن أصبح شريكا في الرأي لأخيه أمين الرافعي في جريدة الأخبار .

٢ — عبد الرحمن عزام :

كان في صدر العشرينيات من دعاة الوفد في جميع الصحف . . إلى أن رأس تحرير جريدة (الكشاف) التي أصدرها صاحب الملايين أحمد عبود (باشا) سنة ١٩٢٦

— ٢٦٦ —

٣ — نجيب الهلالي (باشا) :

كان في الثلاثينيات وزيرا من وزراء الوفد السابقين . . وكما كان خارج الوزارة اتخذ له مجلسا في جريدة (الجهاد) اتى أنشأها توفيق دياب .

٤ — دسوقي أباطة (باشا) :

منذ استقال دسوقي أباطة من وظيفته الحكومية في سنة ١٩١٩ على أثر التحقيق الذي أجراه في حادث عدوان الانجليز ، على بلدي العزيزية والبدرشين وأدان فيه الانجليز ، انطلق إلى امبر الصحافة لينشر مقالاته السياسية المتتابعة ، بتوقيع (الغزالي أباطة) نسبة لبلدته (غزالة) .

الموجهين الاقتصاديون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طائفة من المصاحفين الذين نشروا لأول مرة الاهتمامات الاقتصادية على صفحات الصحف . . وكان في المقدمة منهم .

١ — كامل عبد الرحيم :

الذي كان أول سفير لمصر في موسكو ثم وكيلا لوزارة الخارجية . . لكنه كان من قبل المحرر الاقتصادي للتطوع لجريدة السياسة اليومية في النصف الأول من العشرينيات .

٢ — عباس شوقي :

الذى كان أحد مديري وزارة المالية . . لكن اهتماماته الصحفية قد جعلت منه المحرر الاقتصادى للتطوع لجريدة (السياسة الأسبوعية) فى النصف الثانى من العشرينيات .

٣ — الدكتور محمد أبو طائلة :

الذى كان مفتشاً مديراً للتعاون فى وزارة الزراعة . . لكن اهتماماته الصحفية جعلت منه كاتب الصفحة الاقتصادية بجريدة (كوكب الشرق) .

٤ — محمد هلال :

الرجل الذى كان يجمع بين أسوب الأديب وأسلوب الكاتب الاقتصادى . . وقد سبق هؤلاء جميعاً بمقالاته عن القطن . . القطن فقط . .

المرشدون الدينيون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طرازا من المصاحفين الذين يصدرن فى توجيههم عن الإرشاد الدينى ، وكان أبرزهم أربعة :

١ — الشيخ محمود أبو العيون :

وكان له مكان خاص على صفحات (الأهرام) يتحدث فيه عن

— ٢٦٨ —

خطر البغاء . . وقد أثار الشيخ أبو العيون ضجة كبرى حين نشر إحصاء مفصلا بالأرقام والعناوين عن يوت الدعارة السرية .

٢ — الشيخ النفذازانى :

أول من كتب (حديث الصيام) يوميا على صفحات الأهرام . . لكن صلته بجريدة الأهرام كانت تسمح له بإملاء ما شاء من الأخبار عليها .

٣ — الشيخ عبد المتعال الصعدي :

وكانت له صفحة خاصة في جريدة (السياسة الأسبوعية) حينما كنت رئيسا لتحريرها منذ سنة ١٩٣٨

٤ — على عبد الرازق :

وليس شك أن أكبر وأشهر مصاحف المرشدين الدينيين هو الأستاذ على عبد الرازق الذي فصل من الأزهر والقضاء الشرعي بسبب كتابه (الإسلام وأصول الحكم) في العشرينيات فانطلق إلى كتابة للفتاوى الدينية ، لأول مرة بالمفهوم الحديث ، على صفحات جريدة (السياسة) .

المرشدون الفلاسفة :

يقابل هذا الرباعى عن المصاحفين رباعى الفلاسفة ، وهم :

— ٢٦٩ —

١ — مصطفى عبد الرازق :

الذى كان رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة القاهرة قبل أن يصبح
وزيراً وشيخاً للأزهر . . وقد بدأت مصاحفة مصطفى عبد الرازق
منذ شبابه حينما أسهم بماله وتلمه فى إنشاء جريدة (السفور)
سنة ١٩١٥

٢ — الدكتور منصور فهمى :

الفيلسوف الذى كان له مكان محدد فى بداية كل أسبوع إلى يسار
الصفحة الأولى فى جريدة الأهرام لينشر فيه تعليقاته الفلسفية تحت
عنوان (خطرات نفس) وكان أروع ما كتبه فى هذا الباب مقال
ب عنوان (أنت أنت الله) على أثر وفاة أحد أبنائه .

٣ — أحمد أمين :

عميد الآداب الذى كانت له صفحات ثابتة من صفحات مجلة
الرسالة التى أنشأها الزيات ، وقيل يوم إنشائها أنها تعتمد على قلمى
الزيات وأحمد أمين . .

٤ — إسماعيل مظهر :

أحد أعمدة الفلسفة خارج أسوار الجامعة من العشرينيات إلى
الأربعينيات . . كان يملأ الصحف بمقالاته الفلسفية . . ثم كان له حيز
خاص به على صفحات مجلة (الجديد) .

جماعات المنقبين :

وأقصد بأولئك (المنقبين) فريق المصاحفين الذين كانوا ينقبون عما وراء الأحداث والأخبار من جذور تاريخية . . وكانت لأولئك المصاحفين المنقبين ، وإن اختلفت بصاتهم الفكرية مدرستان : مدرسة العرويين ، أى الذين يردون كل شئ على مسرح الأحداث إلى أصله فى اللغة العربية أو التاريخ العربى . . ومدرسة الاجتماعيين الذين كانوا يملورون الأحداث بلورة تاريخية ذات صلات بالأسلوب الاجتماعى .

العرويون :

١ — أحمد زكى (باشا) :

وليس شك أن أحمد زكى (باشا) كان الأستاذ الأول فى مدرسة العرويين . . لقد كان يلقب بلقب (شيخ العروبة) . . وقد استقال من وظيفة سكرتير مجلس الوزراء فى العشرينيات كى يتفرغ للأبحاث العربية التى كان ينشرها بالتتابع على صفحات (الأهرام) .

٢ — محمد مسعود :

الذى كان مديراً عاماً للطبوعات . . لكنه كان على صفحات جريدة الأهرام التوأم الفكرى لأحمد زكى (باشا) . . وكانت مساجلاتهما المنتظمة على صفحات الأهرام موضع الاهتمام .

— ٢٧١ —

٣ — وحيد الأيوبي :

وقد اشتهر بكتابة المقالات اللغوية على صفحات الأهرام . واشتهرت مقالاته باسم (الطفاطيق) لأنها لم تكن تتجاوز العشرين سطراً ، لكن الأهرام كانت تفرد لهذه (الطفاطيق) اللغوية مكاناً يكاد يكون ثابتاً في بعض الفصول على صفحاتها الأولى .

الاجتماعيون :

١ — الدكتور صبرى السوربوني :

وهو أستاذ هذه المدرسة بغير منازع . . فلا أحد قد تخصص في التاريخ الحديث من أبناء الجيل الأسبق كالدكتور صبرى ، وكانت كل غرف رؤساء التحرير تعرف صبرى السوربوني — نسبة إلى تخرجه من جامعة السوربون .

٢ — راشد رستم :

وهو مثل للصاحف المخلص الدعوب . . فقد كان له مكان ثابت في سهرات جريدة الأهرام ، وكان في هذه السهرات يبادل المحررين الرأي في كل شيء دون أن يكتب شيئاً إلا إذا لم يكن هناك من يحسن كتابته غيره .

٣ — لطفي جمعه :

كان محامياً فذاً جنت عليه الصحافة . فقد غلبت هوايته
للمصاحفة على قدراته الدفاعية كأحد أقطاب المحاماة . . فما من حجة
صحفية قامت للفكر أو الفن أو التاريخ إلا وكان له بمقالاته فيها
النصيب الأوفى .



المذاهب الصحفية

هناك خطأ شائع في كتابة تاريخ الصحافة المصرية .. وهو خطأ
أيض لا يتجنى على الواقع ، ولكنه لا يمثل كل الحقيقة .. هذا الخطأ
الأيض هو أن كل من كتب في تاريخ الصحافة المصرية منذ ثورة سنة
١٩١٩ قد تناول تقسيم هذه الصحافة تقسيماً قائماً على المذاهب السياسية
وحدها .. وهو تقسيم صحيح ، لكنه تقسيم ناقص .. ناقص لأنه يربط
بين الصحف والصحفيين وبين أحزابها وأحزابهم فقط ، مع أن التطور
الصحفي ابتداء من هذا التاريخ كانت له معالم أخرى ، معالم يشترك
فيها الصحفيون على اختلاف أحزابها .. وهذه المعالم تشكل مذاهب
صحفية بختة بصرف النظر عن المذاهب الحزبية أو غير الحزبية التي
كانت تتخذها هذه الصحافة في الثلاثين عاماً التي تبدأ من سنة ١٩٢٠
إلى سنة ١٩٥٠ . وكما قسمت تاريخنا الصحفي في مراحل الأولى التي
تناولتها في حلقة سابقة إلى ثمانية أبواب - فإنني أقسم للمذاهب الصحفية
التي ظهرت بعد ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثمانية مذاهب أو على الأصح إلى
أربعة مذاهب تقابلها أربعة مذاهب أخرى .

١ - مذهب المنطريين :

لا شك أن ثورة الشعب في سنة ١٩١٩ كان من أوليات انعكاساتها
على المفكرين وحملة الأقلام ظهور أصحاب الأفكار .. المتطرفة بالنسبة

لما سبق هذه الثورة ، وإن أصبحت هذه الأفكار هي التي تجارى
تحركات الشعب .. وكان أبرز المنتظرين في صحافة الحزب الوطنى هو
أمين الرافعى ، ويقابله في صحف الوفد عباس محمود العقاد .

كان أمين الرافعى يرى ويكتب أن مجرد الاقتراب من الانجليز
في سياسة البلاد خطيئة .. وكان العقاد يرى أن مجرد المعارضة للزعامة
السعدية خطيئة .. لقد بلغ من تطرف الرافعى أنه لم يكن يعارض
الزعامة فحسب ، بل لقد كان يعارض أحياناً ، أقطاب الحزب الوطنى
الذى كان يدين بمبادئه ، أما العقاد فقد بلغ من تطرفه أنه كان فى بعض
مقالاته يلغى الكثير مما كان فى صفحات التاريخ قبل قيام ثورة سنة
١٩١٩ ، فلما انشق على زعامة الوفد فى منتصف الثلاثينيات اعتبر أن
تفكيره السياسى هو الأصل وأن الزعامة الوفدية النحاسية هي التي
خرجت على هذا الأصل .

ومع تطور الزمن وتطور الأحداث خلال الحرب العالمية الثانية
وبعدها ظهرت مدرسة جديدة من المنتظرين تمثل فى الصحفيين الشبان
الثلاثة : الدكتور عزيز فهمى ، والدكتور محمد مندور ، والأستاذ يوسف
حلمى عليهم رحمة الله ..

لقد كان الدكتور عزيز فهمى إبناً لرئيس مجلس النواب الوفدى
للرحوم عبد السلام فهمى جمعة (باشا) ومع هذا فهو لم يتدد فى
معارضة أبيه .. أما الدكتور محمد مندور فقد سلك طريقاً آخر ، فقد

شكل من بعض شباب حزبه تشكيلاً جديداً باسم (الطلبة الوفدية) .. وقد سكت حزب الوفد على هذا التشكيك لأنه كان يفيد من تنطرفه في معارضة الآخرين .. أما يوسف حلمي فقد انفصل عن كل التشكيلات التي كانت قائمة متوجهاً إلى الفاهيم اليسارية الجديدة التي كانت قبل سنة ١٩٥٢ تعتبر في قمة التنطرف .

٢ — مذهب للمعتدلين :

يقابل مذهب للتنطرفين مذهب المعتدلين .. وكان هذا للمذهب أظهر ما يكون في الصحف غير الحزبية وبالذات في جريدتي الأهرام وللقطم .. ففي أحداث ثورة سنة ١٩١٩ كان داود بركات رئيس تحرير الأهرام يدعو إلى عدم المبالغة .. فلما ثارت المظاهرات على هذه الدعوة وألقت الحجارة على نوافذ دار الأهرام — كتب داود مقالة المشهور بعنوان (آخر خدمة للغز علقه) ولما أحس بأن في هذا المقال شيئاً من التنطرف للضاد وضع على رأس الأهرام شعاراً جديداً هو (الأهرام جريدة مصرية للمصريين) وقد خلفه على رئاسة تحرير الأهرام ، تحت هذا الشعار ، أنطون الجميل الذي اتخذ في الاعتدال أسلوباً أكثر عمقاً هو الامتناع عن الكتابة أصلاً إلا حينما تكون هناك أحداث ينعقد الإجماع على الرأي فيها ..

أما جريده للقطم فكان على رأسها في التحرير خليل ثابت .. وكان خليل أبعد عمقاً .. فكان يبحث في الأعماق عن الأشياء التي

تهم رجل الشارع فى غير السياسة .. فاشتهر بمقالاته الافتتاحية عن
الأسعار والتموين وسائر نواحي العمران .

٣ — مذهب العاطفيين :

وليس شك أن الشعب المصرى بين الحريين العالميتين الأولى
والثانية كان يعيش على عواطفه عيشة كان لها من يمثلها من حملة الأقلام
.. وأحسب أن خير من مثل هذه العواطف فى صحف الجليل الأسبق
هو الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى فى صحافة الوفد ، والشيخ عبدالعزيز
البشرى فى صحافة الدستوريين .. لقد كانت مقالات هذين الكتائبين
قصائد منشورة لا تحرك عواطف القراء فقط بل تحرك عواطف
الزعماء أنفسهم .. وقد بلغ من تأثير سعد زغلول بمقالات المنفلوطى
أنه حين أشار بتعيينه فى وظيفة كبيرة وحين سمع من أحد مديرى
المستخدمين أن المنفلوطى لا يحمل أية مؤهلات دراسية عليها أمسك سعد
زغلول بمجموعة من كتب ومقالات المنفلوطى قائلاً مخاطبته : قل لى من
الذى يحمل شهادات كهذه الشهادات ؟

أما البشرى فكان عالماً أزهرياً (قاضياً شرعياً) .. فلم تكن
هناك غرابة فى تعيينه مديراً للمطبوعات ، ثم مراقباً للمجمع اللغوى .

٤ — مذهب العقليين :

يقابل مذهب العاطفيين مذهب العقليين وقد ظهر هذا المذهب بين
سنتى ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ وبالذات بظهور جريدتى السياسة الدستورية
والبلاغ الوفدية .. كان على رأس (السياسة) الدكتور هيكىل ..
وكان على رأس (البلاغ) عبد القادر حمزة .. وكان كلاهما على ثقافة

قانونية واسعة فكانت مقالاتهما الافتاحية قطعاً من المنطق الذى يحرك العقول والأفهام على الرغم من أن كلا منهما كان غارقاً فى حزينة فكان رد كل منهما على مقالات الآخر متعة للمعتق فى دنيا السياسة ..

٥ — مذهب السفوريين :

ولقد شهد المجتمع المصرى بين الحريين العالميتين الأولى والثانية حركة من حركات التحرير سميت بحركة (السفور) وأنشئت لهذه الحركة بالفعل جريدة باسم (السفور) فى سنى الحرب العالمية الأولى .. كان محرر هذه الجريدة ، عبد الحميد حمدى ، يعنى بسفور للمرأة بعد حجابها الطويل فى الماضى .. لكن حركة السفور ما لبثت أن تطورت فشملت الاتجاه إلى السفور فى الفكر والفن والأدب والسياسة وكان إعدام هذا التطور : محمود عزمى الذى كان ينادى بلبس البرانيط وسلامة موسى الذى كان ينادى بالأدب السافر ومنيرة ثابت التى كانت تنادى بالاختلاط بين الجفسين فى كل التشكيلات الاجتماعية والسياسية.

ما تبقى من المذاهب الصحفية

تعمدت أن أختتم هذا « الأرشيف الصحفي » بالحديث عن « المذاهب الصحفية » بالنسبة لمرحلة من مراحل الصحافة قد أصبحت تاريخاً ، وهى مرحلة ما بين سنتى ١٩٢٠ — ١٩٥٠ . . تعمدت هذا لأرفع الظلم الذى وقع على هذه المرحلة بتقسيم الصحافة فيها تقسيماً حزبياً فقط . . إن التقسيم لابد أن يكون تقسيماً فنياً يبرز ما للصحفيين من أثر مستقل عن زحف السياسات الحزبية فى هذه المرحلة . . ولقد أشرت فى الحلقة السابقة إلى خمسة مذاهب صحفية ، وبقيت من هذه المذاهب ثلاثة هى :

مذاهب المحافظين :

أقد كان هذا المذهب هو الحركة المضادة لمذهب السفوريين الذين نادوا بالسفور فى حياة المرأة وحياة الأدب والثقافة والسياسة أيضاً . .

كان المحافظون فى العشرينيات ينددون بالطفرة فى السفور النسائى أو الأدبى أو السياسى . كانوا يقولون أن سفور المرأة لا ينبغى أن يتعدى العالم الوسطى فى وجه المرأة وأن تعليمها لا ينبغى أن يتعدى التدبير المنزلى والتدبير الصحى ليس غير . . كان من رأيهم أن الأدب ينبغى ألا يكشف عن سوءات الناس . . كفى أدباً فى رأيهم أن يكون

الإنتاج الأدبي متعلقاً بالعظات . مهما قيل في جمود هذا الرأي في الأدب ، فهو على أية حال نداء ، أياً كان نوعه ، إلى الأدب الهادف . . وكان من رأيهم في السياسة ألا تكون مشغلة للناس جميعاً . . أن السياسة في رأيهم كانت فرض كفاية لا فرض عين ، أى لا ينبغي أن يتعرض لها إلا الأكفاء فقط . .

ولقد كان من عمالقة هذا المذهب ، مذهب المحافظين الشيخ رشيد رضا منشئ مجلة المنار الذى كان دائم التحذير من خطر الاندفاع في التجديد على العقيدة الدينية . . كان الشيخ رشيد رضا يرى أن يقف التجديد عند الحدود التى حددها الإمام الشيخ محمد عبده الذى أقام من نفسه خليفة له . .

وكان في الصف الأول منهم محمد المهياوى الكاتب الصحفى الذى كانت مقالاته على صفحات مجلة الكشكول كالمسيط في ظهور دعاة التجديد السياسى . . كان المهياوى يرى أن التجديد السياسى لا ينبغي أن يخرج على تقاليد البلاد . . وكان ينافس المهياوى في هذا الإنجاء حسن الشريف على ما بينهما من خلاف في الثقافات ، فالمهياوى كان في قمة الثقافة الأزهرية وحسن الشريف كان في قمة الثقافة «العصرية» لكنه كان يسخر هذه الثقافة الحديثة الواسعة في مهاجمة الذين يحاولون الخروج على أصول الحكم باسم الديمقراطية . . فكانت مقالاته على صفحات « السياسة » محل إعجاب أنصار الوسط . .

مذهب الخطابين :

لقد كان من آثار ثورة سنة ١٩١٩ ومشاركة المثقفين فيها مشاركة أساسية ظهور فئات لها كوادرها من الخطباء الذين يلهبون بخطبهم حماسة الجماهير . . وكان من أثر الثورة أن انعكت مفاهيمها الخطابية على صحف ما بين العشرينات والثلاثينيات على اختلاف نزعاتها الحزبية نتيجة لمشاركة عدد من نوابغ الخطباء والمتحدثين في تحرير الصحف . . وكان أبرز أولئك الخطباء الكاتبين ثلاثة : توفيق دياب ، وطه حسين وزكي مبارك . .

كانت مقالات توفيق دياب خطباً مكتوبة ، بل لقد كان توفيق دياب إذا أراد أن يكتب مقاله الافتتاحي استدعى أحد معاونيه فيجلسه أمامه بينما يقف هو ليملى عليه فقرات مقاله وكأنه يلقي خطبة على الجماهير . . وكما كان توفيق دياب في موافقه الخطابية يتقدم ويتأخر أو يذهب ويحجى فوق منصة الخطابة — كذلك كانت تصدر عنه نفس هذه الحركات عند إملائه المقال .

أما طه حسين فإن أسلوبه الإملائي ، الذي يجمع بين طبيعته وبين مبسكراته الإلقائية كمحاضر ، كان هو نفس أسلوبه في إملاء مقالاته ، أسلوب المحاضر الذي لا تفارق موسيقاه عباراته التي يملأها في جلسته للعرفه . . فكان القراء يقرأون مقالاته السياسية وكأنهم يستمعون إلى محاضرة من محاضراته التحليلية الشيقة .

وأما زكي مبارك فقد نقل في مقالاته على صفحات جريدة البلاغ التي كان ينونها « الحديث ذو شجون » نفس الطريقة التي كان يخطب

بها طلاب الأزهر في سنة ١٩١٩ — طريقة إعداد أذهان السامعين ،
أو القارئ ، للمعارك التي ظل زكي مبارك يخوضها على مدى العمر
كله إلى آخر نفس فيه .

مذهب الساخرين :

إن مذهب « الساخرين » هو المذهب الثامن . أو للمذهب الأخير
في تقسيم المذاهب الصحفية بين العشرينات والخصينات تقسيماً فنياً
لاطعياً للحزبية السياسية عليه . . لقد تعددت ألوان السخرية الصحفية
في هذه المرحلة من تاريخ الصحافة . . كان بعض الكتاب الساخرين
قادراً على أن يستخفم في سخرية أعلى مستويات الفصحى كالشعري ،
وبعضهم ينزل بسخريته إلى أعماق اللهجة الدارجة . كان بعضهم يعتمد
على النظم وبعضهم يعتمد على النكتة ، كان بعضهم يستمد سخريته
من الأدب القديم ، وبعضهم يعتمد على المبتكرات الحديثة .

وليس شك أن الأسلوب الساخر في الصحافة المصرية له جذور
قديمة ترجع إلى مدرسة عبد الله النديم كاتب الثورة العراقية في
أخريات القرن التاسع عشر ، وقد حاول أحد حافظ عوض صاحب
جريدة « كوكب الشرق » بين العشرينات والثلاثينات من القرن
العشرين أن يحيي هذا الأسلوب . فخصص في جريدته باباً للنقد
الاجتماعي الساخر يحتوى فيه تحت توقيع مستعار هو « عوضين » . .
لكن مجلة الكشكول « قد التقطت منه هذا الحيط وأفردت له
الصفحات الطوال التي كان يكتبها نظماً بالعامية المخملطة بالفصحى كاتب
الفكاهة حسين شفيق المصري . . وكاتب شاب آخر جنى عليه الزمن
هو المرحوم عزيز فهمي . وهو غير الدكتور عزيز فهمي .

فلما ظهرت مجلة « روز اليوسف » لتقف في الطرف المضاد لمجلة الكشكول ابتكر كاتبها محمد التابعي أسلوباً جديداً في السخرية السياسية يعتمد على النقاط الصفات الشاذة في أي سياسي وإبراز هذه الصفات بالأسلوب الكاريكاتوري الجديد .

ولقد توسط فكري أباطة بين هذين الأسلوبين فأنشأ على صفحات (المصور) المقالات التي تعتمد على النكتة المرسلة التي تضرب ولا تجرح .

وحول هذه الأساليب جميعاً ظهر أرقى أساليب السخرية وهو أسلوب المازني . . لقد كان المازني أدبياً عملاقاً ، فاستطاع ان يتحول بمقالاته السياسية إلى قطع من الأدب ، لكنه الأدب الساخر . . ولم تقف سخرية المازني على مقالاته السياسية فقط . . بل تعدتها إلى مقالاته الأدبية أيضاً ، لقد بلغ من سخريته ، وهو الإنسان الرقيق — رقيق النفس ورقيق الجسم معاً ، أن كتب يقول إنه وحده قد صارح فرقه من حملة (الشوم) فصرعهم جميعاً .

سبائيات المنسيين

أعترف بأننى أشعر بشيء من القلق ، لأن هذا الأرشيف لم يوف
 المنسيين من زملائنا السابقين كل حقهم .. إننى أوجه للنسى فى هذه
 الخاتمة نفس النقد الذى وجهته لأقسام للمعلومات فى دور الصحف لأن
 معلوماتها المستوفاة فى كل شيء لا يظهر عليها النقص إلا بالنسبة لأبناء
 المهنة أنفسهم .. وسأحاول فى هذه الحلقة أن أعالج جزئية صغيرة من
 جزئيات هذا النقص بالقدر الذى أقدر عليه . . سأحاول أن أجعل
 من هذه الحلقة الختامية عرضاً سريعاً غير ما سبق عرضه لبعض فئات
 المنسيين من زملائنا السابقين الراحلين . . وهذه الفئات فى نظرى
 ثلاث .. فئة الذين كانت الأضواء مسلطة عليهم فى حياتهم ، فلما انطفأت
 شمعة حياتهم انحسرت كل الأضواء عن أسمائهم .. وفئة الذين نذكرهم
 بعد مماتهم ذكراً خاطفاً وفى بعض المناسبات فقط .. وفئة الذين كان
 النسيان بالنسبة لهم كالأكفان التى لا شيء غيرها لمن فارقوا الحياة ..
 وعلى قدر طاقى سأذكر من كل فئة سبعة وأنا استغفر الله عن قصورى
 وتقصير تاريخنا الصحفى بالنسبة للآخرين .

الفئة الأولى :

فئة الذين أحيطت أسمائهم فى حياتهم بالهالات فلما ماتوا أحبطت
 هذه الأسماء بالصمت الرهيب — أذكر منهم :

١ — جورجى زيدان : إنه منشئ دار الهلال .. وليست دار الهلال هي سبب مجده في حياته ، بل إن سلسلة القصص التي كتبها عن التاريخ الإسلامى ، وهو غير مسلم . كانت تجعله في حياته محط أنظار للمؤرخين وأساتذة الجامعات في الخارج فضلا عن أنظار الأدباء والقراء في الوطن العربى .

٢ — حبيب جاماتى : الزميل الذى كان محط الأنظار في جميع المحافل العربية ومحافل المستشرقين باعتباره الكاتب الصحفى الذى قل الكثير من الفكر العربى إلى اللغة الفرنسية .. لقد كانت مسلسته عن (تاريخ ما أهمله التاريخ) مضرب الأمثال حتى لقد أصبح هذا العنوان من عناوينه اصطلاحاً لغوياً .

٣ — داود بركات : الذى انتقل بجريدة الأهرام من مرحلة إلى مرحلة وهو رئيس لتحريرها .. فلطالما كتب مؤرخو الصحافة في تاريخ جريدة الأهرام عن رؤساء تحريرها إلا القليل عن هذا الصحفى الذى كان أول رئيس لتحرير الأهرام فتح أبوابها للتحركات الشعبية وأول من كتب على رأس جريدة الأهرام أنها (جريدة مصرية للمصريين) .

٤ — عبد العزيز جاویش : الذى يذكر له مؤرخو التطور السياسى في مصر أنه كان أحد مجاهدى الحزب الوطنى دون أن يتناولوا بالتركيز دوره الصحفى كخليفة لمصطفى كامل على رئاسة تحرير

— ٢٨٧ —

جريدة (الواء) مع أن جريدة الواء قد شهدت عهداً رياسته للتحرير من الحركة ما لم نشهده من قبل ولا من بعد .

٥ — عبد المجيد حلمي : الصحفي الشاب للصوى الذى أسس أول مجلة متخصصة فى شئون المسرح منذ خمسين عاماً .

٦ — منيرة ثابت : أول صحفية مصرية تصدر صحيفة يومية مصرية باللغة الفرنسية بجانب مجلتها العربية وهى (الأسبوار) .. لقد كانت فى صباها إذا أقبلت على أى محفل ولو كان من محافل الوزراء تركزت عليها كل الأنواء .

هند نوفل : أول فتاة مصرية أحدثت ضجة فى دنيا الصحافة حين أنشأت مجلة (الفتاة) .. ومضى ؟ فى سنة ١٨٩٢ .

الفئة الثانية :

فئة الصحفيين الراحلين الذين تظهر أسمائهم .. أحياناً .. كأنها وميض خاطف سرعان ما يختفى وأذكر منهم :

١ — أحمد حلمي : الصحفي الذى تحمل وحده عذاب صحافة الحزب الوطنى تحت ظروف قيام الحرب العالمية الأولى .. لقد ذكرته نقابة الصحفيين . فأقامت له لوحة تذكارية .

٢ — أسعد داغر : مؤسس جريدة (القاهرة) فى سنة ١٩٥٣ ولقد ذكرته وأنا أروى تاريخ هذه الجريدة .

٣ — حسنى العرابى الصحفى الذى أسس فى شبابه . سنة ١٩٢٣
الحزب الشيوعى المصرى . . لقد ذكرته وأنا أُمحدث عن هذه
الواقعة . لكن كم عدد الذين يعرفون أنه كان شريك يرم التونسى
فى المنفى .

٤ — عبد الحميد حمدى . آخر من يذكر فى الحركة الفكرية
الجديدة التى قامت بها جريدة (السفور) فى سنى الحرب العالمية الأولى
مع أنه هو الذى أنشأ هذه الجريدة ورأس تحريرها .

٥ — عبد الله أبو السعود : لو لم تقم نقابة الصحفيين عيداً مؤبداً
لصحافة مصر الأهلية — أى غير الحكومية — فى سنة ١٩٦٦ لظل
اسم عبد الله أبو السعود نسياً منسياً . مع أنه مؤسس أول جريدة
سياسية أخبارية فى تاريخ هذه الصحافة الأهلية .

٦ — على الغاباى : إنه مؤسس جريدة منبر الشرق — الجريدة
العربية الثانية بعد جريدة العروة الوثقى التى ظهرت فى أوروبا فى
العشرينات ثم انتقل بها إلى القاهرة فى الأربعينات .

٧ — محمد المهبأوى : الكاتب الصحفى الذى كان سعد زغلول
نفسه يمتنى أن يكون من أنصاره . . لقد كان فى حياته الصحفية عملاقاً
من عمالقة الصحافة بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ :

الفئة الثالثة :

ثمة الصحفيين الراحلين الذين كفهم النسيان مع أنهم كانوا من أولى الناس بالذكران . . وأذكر منهم : —

١ — أحمد وفيق . أكاد أكون واثقاً أن هذا الاسم يكاد يكون غريباً على أسماع الكثرة من القراء والصحفيين أيضاً مع أن أحمد وفيق كان أحد رؤساء تحرير صحف الحزب الوطني بين خواتيم الحرب العالمية الأولى ومقدمات ثورة سنة ١٩١٩ في الوقت الذي كانت هذه الصحف تصدر في الصباح لتصادر في الضحى وتظهر في اليوم التالي صحيفة غيرها . . لقد باع وفيق في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا الصحفي كل ما ورثه ، وكان شيئاً كثيراً ليوصل دفاعه عن مبدئه حتى اضطر أخيراً وبعد تشرد السنين أن يقبل وظيفة رئيس إدارة وقف قاسم باشا بمحافظة القاهرة . . ثم حرم من هذه الوظيفة وهو يدافع عن كرامته على فراش للوت في نهاية الثلاثينات .

٢ — أسعد ولاية : أول صحفي أسس مدرسة التخصص في أبناء البورصة وكانت جريدته (الجريدة التجارية) المدرسة التي خرجت غالبية شباب الصحافة الذين أصبح لهم هذا التخصص .

٣ — توفيق صليب : إنه اسم يذكر في تاريخ الجهاد الوطني فقط مع أنه عاش ومات صحفياً وحينما اشتد الخلاف بين الصحافة والحكومة في معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الحل الموفق لهذا الخلاف هو تعيين الصحفي توفيق صليب مديراً لرقابة النشر .

٤ — حسين شفيق المصرى : أحد شعراء الشعب الذين يتغنى الزجالون بأسمائهم . . أما فى دنيا الصحافة فإن النسيان يلف اسم حسين شفيق المصرى . . مع أننا إذا أردنا أن نؤرخ للصحافة الفكاهية فى مصر خلال الربع الثانى من القرن العشرين فإن هذا التاريخ يبدأ بحسن شفيق المصرى .

٥ — فرج سليمان : أنا واثق أن اسم الصحفى فرج سليمان ليس معروفاً الآن إلا عند بعض القلة من الأحياء من أصحاب الصحف الإقليمية فقط . . مع أن الصحفى فرج سليمان هو صاحب أول خطوة جريئة فى الصحافة الأسبوعية المصورة . . خطوة إزالة الحرج من نشر صور الحسان فى المجلات . . لقد أنشأ لهذا الغرض مجلة (الحسان) التى كانت المجلة الصديقة لكل فتية وفتيات العشرينات . . ومع أن أسلوب هذه المجلة قد تفتى فى كل المجلات المصورة من بعد ، إلا أن صاحب هذا الأسلوب قد توارى اسمه مع الأبدية التى اختطفته من زمن بعيد . .

٦ — محمود رمزى نظم : لقد كان ملء السمع والبصر بين الصحفيين منذ استراكة على عهد صباه فى الحركات الوطنية السرية قبل سنة ١٩١٠ إلى أن توفى بعد سنة ١٩٥٥ . . كان المحرر الأول فى صحافة الأزجال التى اختفت بانهاء العشرينات . . وكان شيخ للتدوين فى الصحف اليومية فى الأربعينات وكان اسمه ملء الإذاعات بوصفه قطباً من أقطاب شعراء الشعب والزجالين . . ثم صار اسمه فى عداد للنسيان ، لكنه النسيان الذى يتفق مع صوفيته ، فقد كان الصحفى

للتصوف الأول الذى يعتقد برضى وإيمان ، أن كل شيء فى هذه
الدنيا إلى زوال .

٧ — محمد صادق عنبر : إن أى صحفى من الجيل السابق علينا لا بد
أن يشعر بالحزن حين يجد أن الجيل اللاحق لا يعرف شيئاً عن
(صادق عنبر) لقد كان صادق عنبر آخر من مثل مجد اللغة العربية
بين مندوبى الصحف . . كان للتدوب الممتاز لجريدة الأهرام الذى
تتسابق الهيئات فى الرجاء بأن يكون هو الصحفى الذى يغطى أخبار
تجمعاتها فى العشرينات . . فقد كان وصف صادق عنبر لهذه التجمعات
قطعاً من الأدب تستحق الحفظ لما وهبه الله من فنون البلاغة التى
استطاع أن يلحقها بصياغة الأخبار ولو أن عنبراً قد طال به العمر إلى
عصر المجمع النخوى لكان من أنجمله اللامعة .



الفهرس

فهرس الأعلام

(ت)

تفتازانى (الشيخ)

(ث)

ثروت باشا

(ج)

جمال عبد الناصر (الرئيس)

جمال الدين الأفغانى (الشيخ)

(ح)

حافظ إبراهيم (الشاعر)

حافظ رمضان باشا

حافظ عفيفى باشا

حامد جوده باشا

حسين رشدى باشا

حسين سرى باشا

حسين هيكل باشا

(ا)

أحمد أمين (الدكتور)

أحمد تيمور باشا

أحمد حسين باشا

أحمد حسين الحامى

أحمد رامى (الشاعر)

أحمد زكى باشا

أحمد عبده الشرباصى (للهندس)

أحمد عرابى باشا

أحمد على باشا

أحمد الزين (الشاعر)

أحمد الكاشف (الشاعر)

أحمد ماهر باشا

أحمد محرم (الشاعر)

إسماعيل صدقى باشا

أنور السادات (الرئيس)

(ط)

طاهر باشا

طاهر لاشين (قصاص)

طلعت حرب باشا

طه حسين (الدكتور)

(ع)

عبد الحميد بدوى باشا

عبد الرازق السنهورى باشا

عبد الرحمن الرافعى بك

عبد الرحمن عزام باشا

عبد العزيز البشرى (الشيخ)

عبد العزيز جاويش (الشيخ)

عبد العزيز فهمى باشا

عبد اللطيف للسكباني باشا

عبد اللطيف حمزة (الدكتور)

عثمان جلال بك

عدلى يكن باشا

عزيز للمصرى باشا

على شعراوى باشا

على عبد الرازق باشا

على ماهر باشا

حقيقى محمود باشا

(خ)

خليل مطران (الشاعر)

(د)

دسوقى أباطه باشا

(ر)

راشد رستم بك

رشيد رضا (الشيخ)

رفاعة الطهطاوى باشا

رياض شمس (الدكتور)

رياض قالى (دبلوماسى)

(ز)

زكى أبو السعود باشا

زكى مبارك (الدكتور)

(س)

سعد زغلول باشا

سيد نوفل (الدكتور)

(ش)

شوقى (الشاعر)

محمد مسعود بك	(ف)
محمد هاشم باشا	فاروق (الملك)
محمد هلال بك	فتحي رضوان (الوزير)
محمد أبو العيون (الشيخ)	هؤاد (الملك)
محمد تيمور (القصاص)	(ك)
محمد كامل المحامى	كامل عبد الرحيم (السفير)
مصطفى المرغنى (الشيخ)	كامل كيلانى (الأديب)
مصطفى الوكيل (الدكتور)	كيلرن (اللورد)
مصطفى عبد الرازق (الشيخ)	(ل)
مصطفى كامل باشا	لطفى السيد باشا
(ن)	لطفى جمعة (المحامى)
نجيب الهادلى باشا	(م)
(و)	محمد تيمور (القصاص)
وحيد الأيوبى بك	محمد على (الوالى)
(ى)	محمد على علوبة باشا
يوسف حلمى (المحامى)	محمد فريد بك
	محمد محمود باشا

— ٢٩٦ —

فهرس السيدات

ليبيه هاشم	الملكة السابقة نازلى
مرىم خالد	انتجونى ملكة جمال العالم
منيره ثابت	أمينة السعيد
هند نوفل	روز اليوسف
	وية وسكينة

فهرس الصحفيين والكتاب

توفيق حبيب	(١)
توفيق دياب	إبراهيم عبد القادر الازنى
توفيق صليب	إبراهيم علام
(ج)	إحسان عبد القدوس
جلال الحماصى	أحمد حسن الزيات
حورحى زيدان	أحمد حلمى
(ح)	أحمد خيرى سعيد
حافظ عوض	أحمد نجيب
حبيب جامانى	أحمد وقيق
حسن الشريف	أسعد داغر
حسين شفيق للمصرى	أليز أيكونا
(د)	أمين الرافعى
داود بركات	إميل اللغورى
(س)	إميل خورى
سلامة موسى	أنطون الجليل باشا
سليمان نورى	أنور الجندى
سيد أبو النجا (الدكتور)	(ت)
	تقلا باشا

كامل مصطفى
كمال الدين جلال (الدكتور)

(ل)

لطفي رضوان

(م)

محمد النابغى

محمد المهيأوى

محمد شميس

محمد مندور (الدكتور)

محمد نجيب

محمد إبراهيم

محمد أبو الفتح

محمد السخيلى

محمد رمزى نظيم

محمد عزمى

(ن)

نجيب هاشم

نجيب ولاية

(ي)

يعقوب صروف

(ص)

صادق عنبر

(ع)

عباس محمود العقاد

عبد الله أبو السعود

عبد الله نديم

عبد الحميد حمدى

عبد الرحيم محمود

عبد المجيد حامى

عبد خلیل

عزيز فهمى

على الغاياتى

(ف)

فارس عمر باشا

فرج سليمان

فكرى أباطه

(ق)

قدري عبد القادر

(ك)

كامل الشناوى

فهرس الصحف

الرسالة	أبو نظاره
السياسة	أخبار اليوم
الصرخة	آخر ساعة
الضياء	الاتحاد
الطائف	الأخبار
المروة الوثقى	الإخوان المسلمون
الفتاة	الأساس
الفكاهة	الاشتراكية
القاهرة	الأهالى
الكتلة	الأهرام
الكشاف	البلاغ
الكشكول	التبكيك والتشكيك
الطائف	الشعر
اللواء	الجديد
المصور	الجريدة التجارية
المقتطف	الجريدة العسكرية
المقطم	الجمهورية
الهلال	الجهاد

— ٣٠٠ —

فتاة الشرق
مرآة الشرق
مصر
منبر الشرق
نزهة الأفكار
وادي النيل
يعسوب الطب

الوطن
الوفد
الوقائع
جورنال الحديوى
خيال الظل
روز اليوسف
روضة المدارس
صوت الأمة

فهرس المواضيع

صفحة	
٣	تقديم
٧	الباب الأول : أسرار صحفية
٨	بعض أسرار الصحافة
١٩	أشهر البخلاء في الجيل الماضي
٢٧	الثورة بين حيلين
٣٧	عجائب حرف الحاء
٤٥	الداير المصرية الستة
٥٣	الاحتفالات السياسية الأربعة
٦٣	إنقاذ ما يمكن إنقاذه
٧٣	سين وجيم
٨١	الصحافة ولغة الضاد
٩٥	العلاج بالضحك
١٠٣	قصة من كفر الصليحة
١٠٩	تاريخ ثلاث رصاصات
١١٩	قافات سعد زغلول

١٢٧	اللورد كيلرن عدو الصحافة المصرية
١٤١	مصر في القرآن
١٤٩	من أسرار معركة بور سعيد
١٥٧	سر وزارة سرى
١٦٣	الباب الثانى : ألفت باء الصحافة
١٦٥	مهنة البحث عن المتاعب
١٦٩	بنات الصحافة
١٨١	حكايات عن سر المهنة
١٨٧	للصور الصحفى الذى كاد يقتله الملك
١٩٣	سبع طبعات للإنذار الروسى
١٩٩	العمال هم الأغلبية
٢٠٥	الجامعة من اقتراحات القراء
٢١٣	للمناشآت التاريخية العشرة
٢٢١	ورق الصحف فى الحرب
٢٢٩	باءات الصحافة العشرة

— ٣٠٣ —

صفحة	
٢٣٧	الباب الثالث : المذاهب الصحفية في مصر
٢٤٧	نشأة الصحافة الحزبية
٢٥٥	أسرار الصحافة الحزبية
٢٦٣	جماعات المصاحفين
٢٧٣	المذاهب الصحفية
٢٧٩	بهية المذاهب الصحفية
٢٨٥	صباعيات المتسعين

(رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٥٧ لسنة ١٩٧٥)

إقرأ فـ مطبوعات الشعب

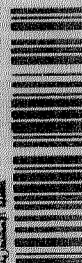
- | | | | |
|----------------------------|-----|------------------------------|-----|
| حتى ننصر | ■ ■ | مقدمة ابن خلدون | ■ ■ |
| السيد فرج | | عبد الرحمن بن خلدون | |
| قراءة جديدة لحادث ٤ | ■ ■ | الامن انقوى | ■ ■ |
| فبراير | | عميد/عبد الكريم نافع | |
| جمال سليم | | تاريخ الطبقة العاملة المصرية | ■ ■ |
| الملف السرى لحرب أكتوبر | ■ ■ | ١٩٢٩ - ١٩٢٩ | |
| محمد جبر | | امين عز الدين | |
| وانطلقت المدافع بعد الظهر | ■ ■ | تاريخ الطبقة العاملة المصرية | ■ ■ |
| اللواء/عبد الحليم ابوغزالة | | ١٩٣٩ - ١٩٣٩ | |
| بشار بن برد | ■ ■ | امين عز الدين | |
| ابراهيم المازني | | الانغاسى لابسى الفسرج | ■ ■ |
| ميلاد شعب | ■ ■ | الاصبهانى | |
| سعيد تيم | | اشراف وتحقيق ابراهيم | |
| حكايات عن عبد الناصر | ■ ■ | الايارى | |
| عبد الله امام | | قضايا ومعارك ادبية | ■ ■ |
| حياة الناس في البلاد | ■ ■ | محمد عبد الحليم عبد الله | |
| الأخرى | | اسماء الله | ■ ■ |
| حسن جوهر | | احمد مخيمر | |
| اطلس تدييات العالم | ■ ■ | بعد التنحية والسلام | ■ ■ |
| د . حسين زين الدين | | عبد الرحمن الابنودى | |
| علم الحيوان | ■ ■ | رسالة الى المسيح | ■ ■ |
| د . محمود البنهاوى | | مصطفى بهجت بدوى | |
| وآخرون | | كتابات سياسية | ■ ■ |
| عجائب مخاوقات الله | ■ ■ | ١٩٦٥ - ١٩٧٠ | |
| حسن جوهر | | د . اسماعيل صبرى | |
| الدعاية الصهيونية في | ■ ■ | عبد الله | |
| أمريكا | | ثورة ١٩١٩ | ■ ■ |
| د . نادية سالم | | عبد الرحمن الرافعى | |

■ ■ ■ عندما يتحدث الأستاذ حافظ محمود - نقيب الصحفيين السابق - عن أسرار الصحافة فمن المؤكد أن حديثه سيكون ممتعا على طريقته الجذابة وبأسلوبه الرشيق الذي طالما أمتعنا به على مدار الفترة الطويلة التي مارس فيها الأستاذ حافظ محمود العمل الصحفي .

■ ■ ■ وفي هذا الكتاب يقدم لنا الأستاذ حافظ محمود أحداث حقبة هامة من التاريخ المصرى بما حفلت به من أحداث سياسية واجتماعية وأدبية بالإضافة الى عرض الشخصيات التي عاصرها الكاتب خلال تلك الحقبة الهامة .

■ ■ ■ ونحن اذ نرجو للفارىء رحلة ممتعة مع هذا الكتاب الذي يعتبر كوثيقة هامة تلقى مزيدا من الضوء على فترة هامة من فترات التاريخ المصرى المعاصر ، نرجو لأستاذنا الجليل المزيد من الصحة وطول البقاء لكي يشرى حياتنا بالمزيد من دراساته ومواقفه المخلصة الشجاعة .

Biblioteca Alexandrina



0253468

الثنى ٧٥ قرشا